القاضي عياض

منهجه وموارده في كتابه ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك

رسالة تقدمت بها

سادسة جلاوي حمود الغرباوي

الى مجلس كلية الآداب / جامعة البصرة

وهي جزء من متطلبات درجة دكتوراه آداب في التاريخ الاسلامي

اشراف

الأستاذ الدكتور

محمد سعيد رضا

١٤١٥هـ ١٩٩٥م

توصية المشرف

أشهد ان اعداد هذه الرسالة الموسومة بـ (القاضي عياض منهجه وموارده في كتاب ترتيب المدارك) جرى تحت اشرافي في جامعة البصرة /كلية الاداب ، وهي جزء من متطلبات درجة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي.

التوقيع :

المشرف : الاستاذ الدكتور محمد سعيد رضا

بناءً على التوصيات أرشح الرسالة للمناقشة

رئيس لجنة الدراسات العليا

١٩٩٥/ /

اقرار لجنة التقويم والمناقشة

نشهد باننا اعضاء لجنة المناقشة اطلعنا على هذه الرسالة وقد ناقشنا الطالبة في محتوياتها، وفيما له علاقة بها، ونعتقد بأنها جديرة بالقبول بتقدير ( ) لنيل درجة الدكتوراه آداب في التاريخ الاسلامي.

التوقيع :
الاسم : د. محمد سعيد رضا
عضوا (المشرف)

التوقيع :
الاسم :
عضوا

التوقيع :
الاسم :
عضوا

التوقيع :
الاسم :
عضوا

التوقيع :
الاسم :
عضوا

التوقيع :
الاسم :
عضوا

صدقت من قبل مجلس الكلية :

التوقيع :

الاسم :

شكـــر وتقديـــــر

لا يسعني بعد استكمال متطلبات رسالتي ان اتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان لاستاذى الفاضل الدكتور محمد سعيد رضا الذى اشرف على الرسالة ومنحني من وقته وجهده وابدائه الملاحظات القيمة والتوجيهات السديدة التي كان لها الفضل في تقويمها واخراجها بهذه الصورة .

كما اوجه جزيل شكرى الى الدكتور قحطان الناصرى عميد كلية الاداب في جامعة البصرة والاستاذ الدكتور فاروق صالح العمر رئيس قسم التاريخ لما قدموه من عون لغرض انجاز رسالتي وكذلك اتقدم بالشكر والتقدير لاساتذة القسم واخص بالذكر منهم الاستاذ الدكتور منذر البكر والاستاذ الدكتورسوادى عبد محمد والاستاذ الدكتور تحسين حميد والاستاذ الدكتور محمد جواد الموسوى لما بذلوه من جهد في اعدادى لهذه المرحلة خلال السنة التحضيرية .

ولا يفوتني ان اتقدم بوافر الشكر وعميق التقدير للاستاذ الدكتور عماد عبد الصاحب الجواهرى رئيس قسم التاريخ في جامعة القادسية لتعاونه المخلص معي طيلة فترة دراستي في جامعة البصرة .

ان من دواعي الواجب ان اسجل لاستاذى الفاضل الدكتور سوادى عبد محمد بالغ التقدير والشكر وان اشيد بجهوده القيمة التي بذلها في رعاية البحث بصدر رحب وكان لتوجيهاته العلمية الاثر البالغ في اظهار البحث بهذا الشكل .

كما ارى من واجب العرفان ان اسجل شكرى وتقديرى للاستاذ الدكتور محمد حسن بشير العامرى استاذ التاريخ والجغرافية في

جامعة الانبار الذى اعارني كتبا ومخطوطات ذات قيمة علمية وكان لمتابعته الشخصية الاثر الكبير في تشجيعي على مواصلة السعي في انجازها .

واقدم خالص شكرى للاستاذ الدكتور شاكر محمود عبد المنعم الذى منحني الكثير من وقته وتفضل بقراءة فصول الرسالة وكان لتوجيهاته القيمة وآرائه السديدة الاثر الكبير في انجازها.

ومن المناسب ان اقدم وافر الشكر للاستاذ الدكتور صالح مهدى في كلية الادارة والاقتصاد/ جامعة البصرة والاستاذ شهاب احمد الناصر في كلية الآداب اللذين تفضلا عليّ بترجمة بعض النصوص الاجنبية ولابد لي ان اسجل الشكر للدكتور عامر عبد محسن لتقويمه لغة الرسالة تقويما انتشل الرسالة من بعض اخطائها وهفواتها اللغوية والاستاذ الدكتور قحطان عبدالستار الحديثي المقوم العلمي والدكتور رعد زهراوى المقوم الفكرى .

وشكرى الى جميع موظفي المكتبة المركزية ومكتبة كلية الآداب في جامعة البصرة والى جميع موظفي المكتبة المركزية والمجمع العلمي العراقي في بغداد..... واخيرا اسأل من الله تعالى الا يكون نصيبي من هذا العمل لمجرد السهر والتعب كما يقول القاضي عياض بل اضافة لها فضلها وقيمتها العلمية تضاف للمكتبة العربية التي لا تزال تفتقر الى المزيد من البحوث والدراسات . ....

ومن الله التوفيق

محتويات الرسالة

الفصل الثاني: منهجه في كتابة ترتيب المدارك

المقدمة

تغطي رسالتنا بحثا مفيدا في موضوع تاريخي شائق من موضوعات المغرب الاسلامي في حقبة النصف الثاني من القرن السادس الهجرى/الثاني عشر الميلادى موضوع يكبر في اطاره ضمن الحيّز الذى شغله في عصره مما لم يترك لي ترددا في اختياره تحت عنوان ((القاضي عياض ـ منهجه وموارده من كتابه ترتيب المدارك وتقريب المسالك))وقد اردد مع نفسي في الاقل مسوغات قامت وراء هذا الاختيار ، ولعل في مقدمتها ما كان يستمد هذا الموضوع اهميته من مكانة القاضي عياض ومنزلته العلمية في بلدان المغرب والمشرق على السواء خلال تلك الحقبة والتأثير الذى تركه في البناء الفكرى والثقافي الاسلامي.

اما ان القاضي عياض ينحو في كتابه منحى تاريخيا في تراجمه فهو لا يقصره على قطر من الاقطار ولا على مصر من الامصار، بل يظهره نسيجا يشدّه فكر موحد فيه من التماسك ما يوفر له قوة جذب على مرّ العصور فتتجه اليه انظار الباحثين المحدثين، غير انني لم اجد الا بعض المحاولات من عدد يسير منهم في جوانب معينة أدبية او فقهية او لغوية او سواها، اجدني اسهم معهم لعلي اصيبت في الجانب التاريخي وما عساني ان اخطو الا خطوة في هذا المجال الرحب الواسع وما توفيقي الا فيما يتمثل بالنظرة الفاحصة والتحليل الموضوعي .

ولابد للقاضي عياض في ترتيب المدارك ان يوفر لنا اساسا لفهم مناهج المؤرخين وادراك اساليبهم في تدوين التاريخ والاهتداء الى مواردهم ومصنفاتهم بغية الوصول بيسر الى المصادر الاساسية لمعلوماتهم

ومـا قدمـوه لاثـراء الاحـوال الفكـرية . ولا غرو ان تشكـل هـذه الانتفـائيـة خطـوة للانطـلاق نحـو استيعـاب التحليـل التاريخي القائـم على الادلـة والاصول والوثائـق والاسانيـد للاحـداث والوقائـع .

وباعتقادنا ان مبررات هذا الاختيار كانت كافية للاقتناع والاقنـاع بأن القاضي عياض في كتابـه (ترتيب المدارك) يقدم زادا ذهنيا للمؤرخين في علم التاريخ ومنهجـه والمحدثين فـي اسـانيـده واسنـاده واجازتـه وضبطـه عن نقلتـه واحوالهم والتابعين وتابعي التابعين وعلم الجـرح والتعديل وللفقهـاء فـي استخراج الاحكام واستنبـاط التشريع ومـا اتصـل من علمي الاصول والفروع وللغـوي في علوم اللغة نحوها وبلاغتهـا وادبهـا ، وعليه اخلـص الى القول بمـا يدفعـني الى ان اطلـق بحق علـى هذا القاضي ((لقـب الموسوعي)) الذى سكـب علمـه وافكـاره في كتابـه حتى اصبح الحجـة بين كتـب التراجم والسيرينشال فضلـه فـي كلقطـر من اقطـار الاسلام .

لقـد اشـرت توزيع هـذه الدراسة على اربعة فصـول اذ تخصـص الفصل الاول في عصر القـاضي عيـاض ، نسبـه وولادته ونشأتـه العلميـة ورحلاتـه وشيـوخـه فـي التفسير والحدث والفقـه وفي اللغة والادب وفـي مصنفـاته وثنـاء العلمـاء لـه وفي تلامذتـه وآرائـه في الاعتزال والتصـوف فضـلا عن دوره السياسـي والادارى ، ويختـم في اشعـاره ونظمـه ووفـاتـه وابنـائـه .

واهتم الفصـل الثـاني بالمنهج الذى انتهجه خطـة ومسـارا وقد عولنـا فـي تحقيق ذلـك على بيـان اسـاب تأليفه للكتاب وتضمينـه

الردود على تحديات خصوم المالكية وكذلك خطة الكتاب ومضمونه بتقسيمه الى احدى وثلاثين بابا وترجيحات النقل والاثر والاعتبار والنظر كما تضمن تنظيمه وترتيبه ذاكرة الطبقات الثلاث من اصحابه الفقهاء الطبقة الكبرى الاولى وتتضمن المعاصرين له في حياته والطبقة الوسطى وهي الثانية وتحوي ممن تفقه بعد هؤلاء وربما جرى بايديهم والثالثة الصغرى ممن كانوا في صحبته وهم صغار السن وقد تكونوا بعد ذلك فقاربوا اتباع اتباعه (١).

وبعد ان ينهي ذكر الطبقات الثلاث الاول يبدأ بطبقة جديدة اطلق عليها اسم (الطبقة الاولى) الذين انتهى اليهم فقه مالك ممن لم يره ولم يسمع عنه (٢). وقد قسمت الى عشر طبقات الاخيرة منها كانت ممن ادرك عصر القاضي عياض (٣). ولما كان كتاب المدارك قد خصص اصلا لتراجم اعلام المالكية فقد تم التركيز على تحديد السمات والعناصر الاساسية للترجمة .

وتجد في الفصل الثالث موارده وقد اعتمدت جملة أسس منها قراءة في المؤلفات السابقة ومدى اعتماده عليها والاشارة الى مصدر النقل وموضعه وبداياته وانتهائه ودقته ، ولعل موارده من كتب التراجم والطبقات وكتب الحديث هي في مقدمة اهتماماته ، فضلا عن موارده المعاصرة في المشاهدة والملاحظة والمشافهة والسماع والمسائلة والمكاتبة والاجازات والخطوط والمؤلفات التاريخية وكتب الرجال المعاصرة .

اما ما اكتسبه كتاب ((ترتيب المدارك)) من أهمية في نطاق العلوم

---

(١) المدارك ـ ٢/٢٨٢ ، ٣٥٦ ، ٥١١

(٢) المصدر السابق ـ ٢/٥٤٨

(٣) المدارك ـ ٤/٨٢٥ ، ٨٢٦

الدينية والحضارة فقد احتواه الفصل الرابع فضلا عن الاختصارات، وانهينا دراستنا بخاتمة جهدنا ان تكون مضامينها ما وفقنا في التوصل اليه مما هو جديد فيها.

وفي سبيل انجاز هذا العمل بما يجعله دراسة موضوعية متكاملة بذلت ما بوسعي في جمع شتات مادته التي تناثرت في مصادر ومراجع مختلفة مغربية ومشرقية تاريخية وادبية ولغوية وفقهية وغيرها كثير، وبحثت في عدد من المخطوطات القيمة نقلت عن القاضي عياض معلومات مفيدة في غاية الاهمية ولعل في مقدمتها الدر المنظم في المولد المعظم لابي القاسم العزفي السبتي مخطوط مكتبة الاسكوريال بمدريد اذ وردت فيه معلومات عن مسائل فقهية ومخطوط ((نزهة البصائر والابصار)) للنباهي المالقي صاحب كتاب المرقبة العليا ومخطوط ((مكانة سبتة العلمية في ظل افكار القاضي عياض)) ونشر المذهب المالكي ((السفر السادس من شرح رسالة أبي زيد الجزولي)) ومخطوط ((جني الجنيتين في خبر الليلتين)) لابي مرزوق صاحب كتاب المسند الصحيح فضلا عن ذلك كان للمصادر النادرة التي يمكن اعتبارها نصوص جديدة والتي نقلت من القاضي عياض اليحصبي السبتي منها كتاب (اختصار الاخبار فيمن كان بثغر سبتة من سني الاثار) لمحمد بن القاسم السبتي الانصاري اذ انفرد بتوضيح بعض الجوانب العمرانية التي اهتم بها القاضي عياض. وكتاب (الاعلام بحدود قواعد الاسلام) للقاضي عياض تحقيق محمد بن تاويت الطنجي وكتاب (جذوة الاقتباس) لابن القاضي المكناسي . ولعل كتاب ((الالماع الى معرفة الرواية وتقييد السماع)) يشكل الاساس في عملنا بعد كتابه (ترتيب المدارك) اذ تتم به معرفة علوم

الحديث المبنية اساسا على معرفة الضبط وتقييد السماع وتصحيح الروايات والطرق والاساليب التي تمكن من دراسة هذا العلم وهو منهاج متكامل للتعديل والتجريح والقبول والرد لما يسمع من نصوص وما يروى من اسانيده.

اما كتابه (مشارق الانوار على صحاح الاثار) فأنه تحقيق للموطأ والبخارى ومسلم بيّن فيه القاضي عياض غاياته من هذا الكتاب وخصوصا في مقدمته الرائعة المعاني والاسلوب (١). كما تحدث فيه عن اعلام الهدى من امته (٢). وفي كتابه (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) تكمن الاهمية البالغة في تحليل شخصية الرسول (ص) خلقيا وعلميا يندر ان نجد في بلاغتها ممن تحدث في هذا الموضوع . وفي ((الغنية)) وهو كتابه الذى خصه معجما لشيوخه وقد الفه قبل ترتيب المدارك على الارجح، نقول ان جميع مؤلفاته تلك كانت لنا عونا في تنوير خطتنا لعملنا الرئيسي في كتاب ((ترتيب المدارك)) موضوع دراستنا.

واستكمالا في رسم الاطار لشخصية القاضي عياض اعتمدنا اقرب المقربين اليه وهو ابنه ابو عبد الله محمد بن عياض بن موسى اليحصبي (ت سنة ٥٧٥هـ/١١٨٠م) في كتابه (التعريف بالقاضي عياض) وما يجعلنا نشير اليه بكثير من الاهمية ، ما كان عليه ابو عبد الله من العلم والادب اذ كان من ائمة وقته في الحديث وفقهه وغريبه كما كان اديبا ونحويا وشاعرا وهو من اكتب اهل زمانه فصيحا تناول أشعار ابيه ونظمه وبرّز اهتمامه في هذا السياق .

---

(١) ((الحمدلله مظهر دينه وحائطه من شبه المبطلين وتحريف الجاهلين))

(٢) مشارق الانوار ـ ط ـ المكتبة العتيقة ـ دار التراث .

وفيما عدا المورخين الذين تناقلوا اخبارا عن القاضي عياض نجدها متناثرة هنا وهناك على صفحات كتبهم ومصنفاتهم وتآليفهم ورسائلهم (١).

نشهد البعض الاخر من هؤلاء المؤرخين وقد وظف كتابه لاخبار القاضي عياض جملة وتفصيلا مثل احمد بن محمد المقرى التلمساني (ت سنة ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م) وكتابه (أزهار الرياض في اخبار القاضي عياض) (٢). واحمد بن محمد الخفاجي المصرى (ت سنة ١٠٦٩هـ/١٧٥٥م) وقد ألف فيه كتابه القيم (نسيم الرياض في اخبار القاضي عياض)(٣). كما ان هناك من المؤارخين من سعى الى احتقار كتاب القاضي عياض (ترتيب المدارك) بأسم (الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب) لبرهان الدين ابراهيم ابن علي بن فرحون اليعمرى (ت سنة ٧٩٩هـ/١٣٩٦م) كذلك مصنفا اخر بأسم ((شجرة النور الزكية)) لمحمد بن مخلوف (من علماء القرن العاشر الهجرى)) حتى يمكن ان نعدهما نسخة منقولة عن (ترتيب المدارك) .

---

(١) ابو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت ٥٧٨هـ/١١٨٣م)
– الصلة – نشر عزت العطار الحسيني – (مصر – ١٩٥٥م) – جزءان
وانظر ايضا : احمد بن يحي بن عميرة الضبي(ت٥٩٩هـ/١٢٠٢م)
– بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس – مطبع مجريط –١٨٨٤م) . وابو عبدالله بن الابار (ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م) –التكملة لكتاب الصلة – (القاهرة – ١٩٥٥م) – جزءان وكتابه – الحلة السيراء– تحقيق حسين مؤنس – ط – (القاهرة – ١٩٦٣م) – جزءان . ولعل اشهر مصنفاته التي اغنت موضوع البحث – المعجم في اصحاب الصدفي – (القاهرة – ١٩٦٧م) . وابو جعفر احمد بن الزبير (ت ٧٠٨هـ/١٣٠٨م) .
– صلة الصلة – تحقيق ليفي بروفنسال – ط ١(الرباط – ١٩٣٧م) .

(٢) (اخصص لدراسة شخصية وآثار القاضي عياض) – الرباط – ١٩٧٨م)

(٣) وصفه في مقدمة كتابه هذا((انه بحر في العلوم النقلية والعقلية وذكر ادبه وبلاغة شعره) ط – (مصر– ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م)– اربعة اجزاء.

كما تصدى لشرح اثاره واقواله من العلماء المشارقة في كتب التراجم والطبقات والتاريخ على سبيل التمثيل .

ابن عساكر (ت سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م) في كتابه (تهذيب تاريخ دمشق) وياقوت الحموى (ت سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) في كتابيه (معجم البلدان ومعجم الادباء) كذلك الحال بالنسبة للحافظ الذهبي (ت سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) في مصنفاته الاربع (تهذيب الكمال في اسماء الرجال، تذكرة الحفاظ ، سير اعلام النبلاء، معرفة القراء الكبار) وابن قنفذ (ت سنة ٨١٠هـ/١٤٠٧م) في كتابيه (الوفيات ، وانس الفقير وعز الحقير) والداودى شمس الدين (ت سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م) في كتابه (طبقات المفسرين جزأين) وحاجي خليفة (ت سنة ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م) في كتابه كشف الظنون واخرين كثرة يطول ذكرهم .

ان هؤلاء المؤرخين ممن نقل اخبار القاضي عياض او جعل كتابه المدارك رهين هذه الاخبار او ممن نقل كتابه اختصارا وذيل عليه ، يعضدون جهودنا في استخلاص صورة اكثر وضوحا مما لم يكن لدينا سوى ((ترتيب المدارك)) ولكننا تجاوزنا الاخذ بغير هذه المصادر(١). لتوضيح النهج

---

(١) ابن القطان علي بن محمد (كان حيا عام ٦٤٦هـ) كتابه نظم الجمان - تحقيق (د. محمود علي مكي - الرباط) والنووى (ت سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م) - تهذيب الاسماء واللغات ، وبن ابي زرع (كان حيا قبل عام ٧٢٦هـ) ـ الانيس المطرب بروض القرطاس - (الرباط - ١٩٧٣م) والقرشي الحنفي المصرى (ت سنة ٧٧٥هـ/١٣٧٣م) - كتابه الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ، طاش كبرى زادة - (ت سنة ٩٦٧هـ/١٥٥٩م) في مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، والزاوى (دون سنة وفاة ، في كتابه (مناقب مالك) ، وعبد الحي الكتاني (دون سنة وفاة) - في كتابه فهرس الفهارس واخرين سوف يأتي ذكرهم في قائمة المصادر الاولية .

الذى عالجنا فيه موضوع رسالتنا التي انطوت على هدف عميق هو ارساء افكار وآراء جديدة يمكن ان تسهم في اغناء البحوث والدراسات الغربية والاندلسية بتوسيع دائرة معرفتها من الطرق والاساليب باعتماد التحليل والنقد التاريخين بغية الوصول الى طروحات يمكن ان يجتني منها القارئ ما يعود عليه بالمنفعة العلمية والفكرية في هذا الاطاره

الفصل الاول

حياته وسيرته العلمية

عصر الطائفي عباس

((سياسة العصر))

طبعت حركة المرابطين الدينية بلاد المغرب الاسلامي بطابعها العام الذي يقوم على تحويل قبائل البربر الى الاسلام ، وذلك في الثلث الاول من القرن الخامس الهجري ، حيث نجحت قبائل لمتونة من الصنهاجين في تطويع معظم قبائل الصحراء بالاقناع تارة وبالسيف اخرى حتى استطاعت في سنوات قليلة من توطيد دعائم الدولة المرابطية الفتية وتثبيت اركانها الاساسية وامتد ((ملكهم من شرق الاندلس ومن مدينة أفراغة الى مدينة اشبونة على بحر المحيط غربا ومن عدوة الغرب من جزائر بين فرغنان الى طنجة الى اخر السوس الاقصى الى جبال الذهب من بلاد السودان))(١).

وبعد ان جاز المرابطون الى الاندلس اصبحت بلاد المغرب وبعض مهاد شبه الجزيرة الايبرية مسرحا لهم وذلك بعد سقوط طليطلة بايديهم في موقعة الزلاقة حيث رأى الاندلسيون في المرابطين المنقذ لهم من حكامهم والحصن الواقي من الخطر المسيحي الذي كان يحدق بهم من جهة الشمال(٢).

لقد اعاد المرابطون الى بلاد الاندلس الوحدة السياسية التي افتقدتها في ظل دولة الطوائف واكتسبت استقرارا يستند الى شخصية

---

(١) محمد كرد علي ، الاسلام والحضارة العربية ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٥٩م) - ج٢/٤٧٢.

(٢) محمد مجيد السعيد - الشعر في ظل بني عباد - (مطبعة النعمان - النجف - ١٩٧٢م) - ص ٢٧ .

يوسف بن تاشفين القوية (١) ومن ثم ابنه علي بن يوسف (ت ٥٠٠ – ٥٣٧هـ/ ١١٠٦–١١٤٢م) الذى ارتسمت انتصاراته على دول الشمال الاسباني في صفحات ناصعة .

ومما يلفت الانتباه ان المرابطين استطاعوا القضاء على الزعامات العسكرية القديمة ولكنهم لم يستطيعوا ان يقضوا على نفوذ الفقهاء حيث كان نفوذهم من خواص الحكم المرابطي (٢) لذلك نسمع كثيرا منهم ممن خلف تأثيراته المزدوجة سياسيا وفكريا في الدولة والحكم والحركات الثورية ، وكان القاضي عياض الذى عاصر الاحداث في طليعة فقهاء هذا العصر وهم ((اصحاب المذاهب)) حيث نشط في نشر المالكية مستغلا رحلاته الى غرب الاندلس وشرقها واتصاله باكابر الشيوخ والعلماء والاساتذة ، الامر الذى ساعد على تدوين المذهب المالكي وظهور مصنفات ومؤلفات في الحديث والتفسير والتأريخ واللغة كان لها اكبر الاثر في شيوع هذا المذهب في هذه البلاد .

---

(١) اجمعت المصادر على وصف يوسف بن تاشفين بالبطولة والشجاعة والعدل والتقشف والاهتمام بمصالح العامة وتفقد الولاة والحكام والقضاة والمحافظة على الشريعة والاخذ بآراء الفقهاء ورجال الدين (ابن ابي زرع – الانيس المطرب بروض القرطاس – نشر محمد الهاشمي الغيلاني بجزئين – الرباط – المطبعة الوطنية – ١٩٣٦م) – ص ٨٧ . ابن الخطيب – اعمال الاعلام – تحقيق المستشرق أ. ليفي بروفنسال – بيروت – ص ٢٢٤ .

(٢) محمد عبد الله عنان – عصر المرابطين والموحدين – جـ ٤١٦/١ .

غير ان حكم المرابطين للمغرب والاندلس لم يستمر طويلا ، حيث انهارت دولتهم وسطوتهم امام قوة جديدة دخلت التاريخ باسم ((الموحدين)) وكان زعيمها محمد بن عبدالله بن تومرت[١] الذى وصف بالعلم والتدين والزهد والورع استطاع ان يحول حركته الدينية الى حركة سياسية استهدفت الاستيلاء على بلاد المغرب والاندلس وبعد وفاته سنة (٥٢٤هـ/١١٢٩م) استطاع تلميذه عبد المؤمن بن علي الكومي (٥٤٢-٥٥٨هـ/١١٤٧-١١٦٢م) ان يحقق اهدافه حيث كان زعيما وقائدا ناجحا والى جانب بطولته وشجاعته كان بليغا فصيحا واديبا شاعرا وعالما في النحو واللغة حافظا للتاريخ وايام الناس فأمتدت سلطته ((من طرابلس المغرب الى السوس الاقصى من بلاد المصامدة واكثر جزيرة الاندلس))[٢]. وكانت الاندلس في هذه المرحلة تعيش حالة تمزق سياسي واجتماعي فثمة من يتمسك بالمرابطين واخرون يدعون الى تحرير الاندلس من حكم البربر ويسعى الى اعادة الوحدة التي افتقدتها منذ ايام الخلافة

---

(١) انظر ترجمته : ابن خلكان وفيات الاعيان - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - (القاهرة - مطبعة السعادة - ١٩٤٨م) - ١٤٣/٤ ، ياقوت الحموى - معجم البلدان - (مصر - ١٣٢٣هـ/١٩٠٦م) - حـ٤٤٥/٢، ابن تغرى بردي - النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة - (مطبعة دار الكتب المصرية - ١٩٣٥م) - حـ ٢٨١/٥ .

(٢) المراكشي - المعجب في تلخيص اخبار المغرب - تحقيق الاستاذ محمد سعيد العريان - (القاهرة - ١٩٦٢م) - ص ٢٣٥ ، الفاسي المكي - المدخل - القاهرة - حـ١٠٩/١ ، لزيادة المعلومات راجع عنه : مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق - ١٩٥٤م - م ٢٩ - حـ ١٠٦/١ .

الاموية ، وغيرهم ممن يسعى الى الاستعانة بالموحدين لتخليص البلاد من المرابطين والخطر المسيحي الذي كان يهددها من الشمال .

ومهما يكن من أمر فقد اتضحت الصورة لبداية الموحدين وتحولهم الى حركة سياسية اعتمدت طريق النضال والحرب من اجل التغير فلم تحل سنة (٥٤١هـ/١١٤٦م) حتى تمكن الموحدون تولي مقاليد السلطة في بلاد المغرب والاندلس معا وبذلك تبدأ مرحلة جديدة في شبه الجزيرة الايبرية فقد قسمها عبد المؤمن بن علي اداريا وولّي عليها اولاده وابناء عمومته ونقل مركز الحكم من اشبيلية الى قرطبة ونظم شؤونها وعمر قصورها واصلح حصونها واسوارها فعم الهدوء والاستقرار في ارجائها وعادت الحياة السياسية والاجتماعية وظهر العلماء والفقهاء والفلاسفة على مسرح الحياة الفكرية وسادت المناظرات العلمية والثقافية بين اصحاب العقائد والمذاهب ، وكان القاضي عياض يشهد البدايات المتأخرة من هذا العصر حيث تكرّست آراء المالكية وتدعمت اسسها منذ العهد المرابطي، وفي ظل هذا الازدهار الفكري توثقت العلاقات بين بلاد المغرب والاندلس من جهة وبين بلدان المشرق الاسلامي من جهة أخرى وخصوصا تلك العلاقات القائمة على تبادل العلم والادب والفن ، وكانت الرحلات التي قام بها رهط من العلماء والفقهاء والمحدثين من المشارقة وغيرهم من المغاربة والاندلسيين الاثر الذي ترك طابعه في الحياة الثقافية والعلمية .

وعلى الرغم من ان الموحدين جهروا بالمذهب الظاهري وجعله مذهبا رسميا لدولتهم وحاربوا المالكية وسعوا الى محوها وازالتها من المغرب

والاندلس (١) لكنهم لم يستطيعوا تحقيق ذلك بفضل علماء المالكية وفي طليعتهم القاضي عياض اذ وضعوا الاسس الكفيلة لضمان بقاء هذا المذهب راسخا لا تتزعزع اركانه بايجاد المصنفات والكتب والمؤلفات . وقد صاحب الهجوم على المالكية نشاط الموحدين بأقامة الحدود على القريب والبعيد وبسط الاحكام الشرعية (٢) وهبوب ريح من الاقتصار والتواضع والتقشف على حواضر الموحدين ، وهذا لا ينسجم مع الحياة في بلاد الاندلس ، اذ يعد تزمتا وعرقلة للتقدم وسحقا لكثير من مظاهر الحضارة والرقي وتحديدا للحرية الاجتماعية والفكرية ، وقد ادى الى قلق الاحوال السياسية واندلاع ثورات محلية بوجه الموحدين وفي الثلث الثاني من القرن السابع الهجري انهارت سلطة الموحدين وسقطت المدن الاندلسية الواحدة تلو الاخرى بيد الممالك الاسبانية الشمالية وبتشجيع من البابا جريجورس التاسع وتأييده (٣) واحتفظ العرب المسلمون بعدد ضئيل منها بدأت تتنفس من جديد فأعادت كيانها وخصوصا في الاقاليم الوسطى والجنوبية حيث ظهرت مملكة غرناطة فأحيت موارد الفكر والتقت مع بلاد المغرب والمشرق وبدأت طلائع الازدهار الفكري تعم البلاد الاسلامية ، وكان الفكر المالكي يتقدمها اصالة وقوة وتترسخ دعائمه مما يتيح لنا القول ان هذا العصر هو عصر سيادة المالكية .

---

(١) المراكشي - المعجب - ص ٢٥٤-٢٥٥ ، ابو الفدا - تاريخ مختصر الدول - ج ٩٦/٢.

(٢) اليافعي - مرآة الجنان - ط٢ - (بيروت - ١٩٧٠م) - ٤٧٩/٣ ، المقري - نفح الطيب - تحقيق احسان عباس - بيروت - ١٩٦٨م - ٣٨٠/٤

(٣) يوسف اشباخ - تاريخ الاندلس - بيروت - ص ٤١٨ .

نسبـــــــه :

أجمعت المصادر على انه عياض بن موسى بن عمر وابن عيـــاض ابن محمـد اليحصبي(١) السبتي المالكي المذهب ، وكنيته ابو الفضل ذكر ولده محمد نسبه قائلا : ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون ابن موسى بن عياض بن محمد ابن عبدالله بن موسى بن عياض اليحصبي (٢) وهو اندلسي الاصل وقد استقر اجداده في القديم بجهة بسطة ، ثم انتقلوا منها الى مدينة فاس ثم الى مدينة سبتة (٣) . قال ولده محمد (كـــان

---

(١) ابو عبدالله محمد ـ التعريف بالقاضي عياض ـ تحقيق محمد بن شريفة ـ وزارة الاوقاف ـ الرباط ـ ص ٢ ، بن بشكوال ـ الصلة ـ (القاهرة ـ ١٩٥٥م) ـ ٤٣٠/٢ ، ابن الابار ـ المعجم في اصحاب الصدفي ـ تحقيق ابراهيم الابياري ـ (بيروت ـ ١٩٨٩م) ـ م٢٠٢/١٦ ، المقري ـ أزهار الرياض في اخبار القاضي عياض ـ تحقيق مصطفى السقا وآخرون ـ (المغرب ـ ١٩٤٢م) ـ ٢١/٣ .

(٢) روى ابو عبدالله عن ابيه كان والده يقول ((لا ادرى هل محمد والد عياض او بينهما رجل فهو جده)) ـ التعريف بالقاضي عياض ـ ص ٢ ، وذكر المقري عن ابي القاسم بن الملجوم قوله ((اجتاز علينا القاضي عياض ....وسألته عن نسبه فقال لي أنما احفظ ((عياض بن موسى ابن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض) وقال احفظ ايضا عن (محمد ابو عبدالله بن موسى بن عياض ، ولا اعرف أن محمدا هذا هو ابو عياض او بينهما احد) .
أزهار الرياض ـ ٢١/٣ .

(٣) المدارك ـ تحقيق ابن تاويت الطنجي ـ الرباط ـ المقدمة ، اللطة ـ ٢ الصلة ـ ٤٣٠/٢ ، المعجم ـ ص ٣٠٢ ، ابن خاقان ـ قلائد العقيان ـ تقديم محمد العناني ـ (تونس ـ ١٩٦٦م) ـ ص ٢٥٥ ، ابن فرحون ـ ١/ الديباج المذهب ـ (القاهرة ـ ١٩٧٤م) ـ ٤٦/٢، أزهار الرياض ـ ٢١/٣ .

اجدادنافي القديم بالاندلس، ثم انتقلوا الى مدينة فاس ، وكان لهم استقرار بالقيروان ، لا ادري قبل حلولهم بالاندلس او بعد ذلك ، وانتقل عمرون الى سبتة بعد سكنى مدينة فاس ، واضاف قائلا ((واما عن سبب انتقال الاسرة الى مدينة سبتة انه كان لعمرون (١) والد جد عياض وابائه بمدينة فاس نباهة فأخذ ابن ابي عامر رهنا من اعيان مدينة فاس فاخذ منهم اخوى عمرون ، عيسى والقاسم ، وخرج عمرون الى مدينة سبتة ليقرب من اخبارهما بمدينة قرطبة ، فاستحسن سكنى مدينة سبتة) (٢) وللاسف لا نعرف شيئا عن اسرته الا النزر القليل من الاخبار ، وهي عبارة عن اشارات لا تسعفنا لاعطاء صورة واضحة عنها..... ولكن بعض المصادر نسبته الى يحصب بن مدرك ابن حمير، كما طالعنا برأيه ابن الاثير (٣) كذلك الهمداني (٤) والخفاجي (٥) برأى

---

(١) (وعمرون هذا كان من اهل الخير، حافظا للقرآن ، ولعله حضر مأساة مكتبة الخليفة الحكم الثاني) - المدارك - المقدمة ، التعريف بالقاضي عياض - ص ٤ ، الديباج - ص ١٦٨.

(٢) التعريف بالقاضي عياض - ص ٢ .

(٣) نسبه لقلعة اندلسية كانت تدعى بيحصب وهي في الاصل قبيلة من حميره واضاف لقوله ايضا منهم :(العلاءبن عيينة اليحصبي من اهل الشام) .

(٤) اللباب في تهذيب الانساب - مصر - ٣٥/٣.

(٤) عجالة المبتدى وفضالة المنتهى في النسب - (القاهرة - ١٩٦٥ م) ص ١٢٤.

(٥) نسيم الرياض في اخبار القاضي عياض - الطبعة الاولى (مصر - ١٣٢٥هـ/١٩٠٦م) - ٣٦/١ ، لزيادة المعلومات راجع عنه - علي القاري - شرح الشفا - هامش نسيم الرياض - ١/ص ٥ ، عباس القمي - الكنى والالقاب - (صيدا - ١٣٥٨هـ/١٩٣٨م) - ص٤٣ ، عبدالله عنان - تاريخ المغرب في العصر الوسيط - ص ١٣٣ ، عمر رضا كحالة - معجم المؤلفين - بيروت - ١٦/٨ .

اخر ان نسبه الى يحصب وهي قبيلة من حمير وهو يحصب بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس ابن وائل بن غوث التي انتسبت اليها خلق كثير نزل معظمهم في بلاد الشام ومصر (١). وبهذا يرتبط القاضي عياض بالامام مالك بطلتي المذهب المالكي من جهة وصلة القربى والانتساب لقبيلة حمير اليمنية ذات الصيت الذائع من جهة اخرى اذ ان نسبة يرتفع الى يحصب ابن مالك بن زيد (٢) ويحصب اخو ذى اصبح الحارث بن مالك بن زيد الذى ينتهي اليه نسب الامام مالك بن أنس الاصبحي.

---

(١) المصدر نفسه - نفس الصفحة

(٢) ابن حزم الاندلسي - جمهرة انساب العرب - مصر - ص ٤٠٨ ، القلقشندى قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان - تحقيق ابراهيم الابيارى - ط ١ - (القاهرة - ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣م) - ص ٢٤٩ ، ذكر لنا المقرى (يحصب بن مدرك وهو تصحيف) - أزهار الرياض - ٢٧/١ .

ولادتــــــه :

ولـد القاضي عياض في مدينة سبتة (١) ببلاد المغرب في منتصـف شعبان سنة (٤٧٦هـ/١٠٨٣م) (٢) وكانت سبتـة قد انجبت غيره من العلماء والادباء والجغرافيين والساسـة والرحالة ، وقد انفرد ابن سعيد المغربي في ذكـر ولادته (٣). ولكن لو أمعنا النظر في رواية لسان الدين بن الخطيب فيمـا يتعلق بسنة ولادته لتبين لنا ان هناك تناقضا في رواياته اذ يذكر في احد مصنفاته ان تاريخ ولادته سنة (٤٩٦هـ/١١٠٢م) (٤) ، فيما نراه يتراجـع

---

(١) مدينـة عظيمـة تقابل الجزيرة الخضراء. البكري ـ المغرب في ذكـر بلاد افريقية والمغرب ـ بغداد ـ ص١٠٢، الحميري ـ الروض المعطـار ـ لبنان ـ ص٢٠٣.

(٢) المدارك ـ ١/ص ١٨ ، الغنية (فهرسة شيوخ عياض) ـ تحقيق د. محمـد عبد الكريم ـ تونس ـ ص ٦ ، الصلة ـ ٢/ص ٤٣٠، ابن ابي دينـــار ـ المؤنس ـ ط٣ ـ تونس ـ ص ١١٥، الداودي ـ طبقات المفسرين ـ تحقيـق علي محمد عمر ـ (مكتبة وهبة ـ شارع الجمهورية عابدين ـ ١٩٧٢م) ـ ٢/ص ٢٢ ، المعجم في اصحاب الصدفي ـ ص ٣٢ ، ابو طاهر السلفي ـ معجم السفر ـ تحقيق د.بهيجة الحسني ـ ١١/ص ٧١ ـ هامش (رقم ٢) ، الذهبي ـ العبر في خبر من غبر ـ بيروت ـ ٤٦٧/ ، الذهبي ـ تذكرة الحفـاظ ـ (بيروت ـ ١٩٥٨م) ـ ٤/ص١٣٠٤ ، الذهبي ـ المقتفى في سرد الكـنى ـ سعودية ـ ج٢ ـ رقم الترجمة (٣٥٧٩) ، ابن الملقن ـ طبقات الاولياء ـ ط ١ ـ(القاهرة ـ ١٩٧٣م) ـ ص ٥٧٥، السيوطي ـ بغية الوعاة ـ مصر ـ ١/ص ١٤٠، ابن العماد الحنبلي ـ شذرات الذهب ـ (القاهرة ـ ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م) ـ ١٣٨/٤ ، لزيادة المعلومات راجع : مجلة المورد ـ العدد الاول ـ ١٩٧٩ ـ ص ٢٤ ، مجلة اوراق ـ العدد الرابع ـ ١٩٨١م ـ ص ١٧١.

(٣) نحو قوله (ولد سنة ٤٧٥هـ/١٠٨٢م) ـ الزركشي ـ تاريخ الدولتـين الموحدية والحفصية ـ (تونس ـ ١٩٦٦م) ـ ص ١٠ .

(٤) ديوان الصيب والجهام ـ (الجزائر ـ ١٩٧٣م) ـ ص ٢٤٠ ، انظر : عبد الله كنون ـ النبوغ المغربي في الادب العربي ـ (بيروت ـ ١٩٧٥م) ـ ص ٩٥.

في مصنف اخر له ويذكر ان سنة ولادته كانت (٤٧٦هـ/١٠٨٣م)(١).

وذكر تلميذ القاضي عياض ابن بشكوال (كتب اليّ القاضي عياض بخطه يذكر انه ولد في منتصف شعبان سنة ٤٧٦هـ (٢) ولكن نرجح الرواية الثانية للسان الدين بن الخطيب استنادا الى رواية تلميذه ابن بشكوال التي تذكر ان ولادته كانت في منتصف شعبان من سنة ٤٧٦هـ وهي السنة التي نشط فيها القاضي عياض علميا وفكريا وكذا الحال لرواية ولده في كتابه التعريف بالقاضي عياض.

---

(١) الاحاطة في اخبار غرناطة – مصر – ص ١٩١ ، نفاضة الجراب – القاهرة – ٢/ص ١٩٠، الحسيني – جمهرة الاولياء – (القاهرة – ١٩٦٧م) – ٢/ص ١١) ابو العباس الغبريني – عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء المائة السابعة بجاية – تحقيق عادل نويهض – ط ١ – (بيروت – ١٩٦٩م) – ص ٣٣ ، اسامة بن منقذ – لباب الاداب – (مصر – ١٩٣٥م) – ص ٣٣٢ ابن قنفذ – كتاب الوفيات – تحقيق عادل نويهض – (بيروت – ١٩٧١م) – ١/ص ٢٨٠، السخاوي – القول البديع – (بيروت – ١٩٦٣م) – ص ٧٣ ، ابن الدباغ السبتي – كتاب الامتاع والانتفاع – الرباط – ص ١٨ ، ٢١ ، ابن دقيق العيد – الاقتراح في بيان الاصطلاح – (بغداد – ١٩٨٢م) ص ٢٢٨.

(٢) الصلة – ٢/ [illegible] المدارك – المقدمة – بغية الملتمس – ٤٢٥.

نشــاتــه العلميــة ورحلاتــــه :

لقد كان من ابرز خصائص الحياة العلمية في مدينته سبتــة خلال عصر المرابطين رواج العلوم الدينية والفقهية حيث اصبحت موطنا لانتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب على وجه العموم. وفي هذه البيئة العلمية والفقهية نشأ القاضي عياض وترعرع خاصة وان سبتــة كانت يومئذ معبرا للقادمــين والذاهبين من الاعلام بين العدوتين الاندلسية والمغربية والقيروان. واجتهد القاضي عياض في طلب العلم منذ صباه حيث نشأ نشأة علمية بسبتة ونهل العلم من شيوخهــا وهو لم يتجاوز العشرين من عمره. وقد اكتملت ثقافته قبــل ان يغادرها الى الاندلس.

والحقيقة ان مواهب القاضي عياض العلمية واشتغاله بالاقراء والتدريس في مدينته سبتــة كان يؤهله قبل غيره من علماء عصره للجلوس لتفسير القرآن كما يؤكد ذلك ولده ابو عبد الله فيما كتبه من تعريف بسيرته قائلا ((كان من حفاظ كتاب الله تعالى، والقيام عليه، لا يترك التلاوة له على كل حالــه، مع القراءة الحسنة المستعذبة والصوت الجهير، والقيام على معانيه واعرابه وشواهده واحكامه وجميع علومه))(١) تعلم في صباه بمدينته سبتة على يــد

---

(١) التعريف بالقاضي عياض – ص ٤ ، انظر : د.حسن الوراكلي – القاضــي عياض مفسرا – ط ١ (الرباط – ١٩٨٥م) – ص ١٥ ، لزيادة الفائدة راجع:
The Encyclopaedia of Islam New edition-
(Leiden - E.J.Brill- 1978) - p- 289
انظر: النباهي – مخطوط نزهة البصائر والابصار – مخطوط مكتبة – دير الاسكوريال – مدريد – تحت رقم (١٦٥٣).
وانظر ايضا: مخطوط السفر السادس من شرح رسالة ابي زيد الجزولــي – مكــانة سبتــة العلمية في ظل افكار القاضي عيــاض ونشر المذهب المالكــي .

القاضي ابي عبدالله بن عيسى ، والفقيه اسحاق بن الفاسي (١). كما انه اخذ عن مجموعة من المقرئين للقرآن الكريم ، ومنهم ايضا محمد بن عبدالله الموروري (٢) كذلك قرأ على عبدالله بن ادريس الاموى السرقسطي (٣).

ولم تقتصر اهتمامات القاضي عياض في طلب العلم على جانب واحد بل كانت متعددة الجوانب اذ درس مختلف انواع العلوم والمعارف مثل الحديث والفقه وعلم القراءة والتفسير والتاريخ والاداب وغيرها.

وعلى الرغم من ان المصادر التاريخية لم تذكر للقاضي عياض بين صفحاتها اشارة الى رحلة علمية مشرقية لكن الظروف على ما يبدو في مدينته سبتة كانت قد اسعفته برحلة علمية صوب الاندلس سنة (٥٠٧هـ/١١١٣م) (٤) التي عدت على عهد المرابطين والموحدين مركزا علميا لا تقل اهميته عن مثيلاته في المشرق، فزار كلا من قرطبة ومرسية والمرية ليلتقي بعدد من الاعلام في غربها وشرقها الذين اجازوا له تآليفهم ورواياتهم من أمثال : ابي الوليد ابن رشد وابن عتاب وابن الحاج وأبي الحسين بن سراج وابن حمدين والحافظ

---

(١) المدارك – ١٩/١ ، الصلة – ٤٣٠/٢ ، أزهار الرياض – ٢١/٣، مجلة المجمع العلمي العراقي – ١٩٨٨م– م١٢٥/٣٩.

(٢) (ت ٥٠٠ هـ – ١١٠٦م) وهو من الشيوخ المتصدرين للاقراء بسبتة مدة عمره، قرأ عليه القاضي عياض عدة ختمات . الغنية – ص ١٥٩ ، القاضي عياض مفسرا – ص١٩.

(٣) يصفه عياض بـ (المقرئ)
الغنية – المصدر نفسه ، انظر – القاضي عياض مفسرا – نفس الصفحة .

(٤) المدارك – ١/ص ١٩ ، المعجم – ص ٣٠١ ، النباهي – تاريخ قضاة الاندلس – بيروت – ص ١٠١ ، تذكرة الحفاظ – ٤/ ص ١٣٠٤ ، ابن ماكولا – كتاب الاكمال – ط ١ – (الهند – ١٩٦٥) – ص ٣١٤ عنوان الدراية – ص ٢١٧ ، لزيادة المعلومات انظر: محمد تاويت الطنجي – تاريخ سبتة – (الدار البيضاء – ١٩٦٥م) – ص ٥٩ ، مجلة المورد – م ٨ – العدد الاول – ص ٢٤.

ابي علي الصدفي الذى سمع عليه الصحيحين (١) ، والمؤتلف والمختلف لابي العباس بن جعفر، مشتبه النسبة لعبد الغني ابن سعيد الازدى القدسي (ت ٤٠٩هـ /١٠١٨م) وكذلك كتاب الشهاب والمواعظ والاداب في علم الحديث للقضاعي المصرى (ت ٤٥٤هـ/١٠٦٢م) ، واجازوه علماء المشرق من القاهرة فكان منهم ابو علي الغساني ، وابو عبدالله الخولاني، وابو بكر الطرطوشي وأبو الطاهر السلفي، كما كتب اليه من القاهرة ابو نصر النهاوندى يستجيزه، وابو عبدالله المازرى من المهدية ايضا، وكتب بعدها يستجيز الزمخشرى (٢) ولكنه رفض اجازته لسبب انقطاعه الى العبادة والتزهد (٣) بعدئذ قفل راجعا الى مدينته سبتة وهو علما لا يدرك شأوه ولا يبلغ مداه في العناية بصناعة الحديث وتقييد الاثار وخدمة العلم مع حسن التفنن والتصرف الكامل في فهم معانيه والاضطلاع بالاداب والنثر ومهارته بالفقه (٤) اذ لم يكن هدف

---

(١) للامام ابو زكريا يحي بن عبد الوهاب بن محمد بن اسحاق بن مندة (ت ٥١١هـ/ ١١١٧م). انظر: مجلة البصائر - العدد السابع - الاتحاد الثقافي في فرنسا - ص ١٣٨ و ١٤٥.

(٢) له كتاب الكشاف عن حقائق التنزيل.
انظر: فهرس مخطوطات المسجد الاحمدى بطنطا - ١٩٦٤م - ص ١٥ .

(٣) المدارك - ١/ص ١٩ ، كتاب الوفيات - ص ٢٨٠ ، أزهار الرياض - ٣/ص ٢١ ، ابو بكر العامرى - بهجة المحافل - المدينة المنورة - ١/ص ٦٠، البغدادى - هدية العارفين - (اسطنبول - ١٩٥١م) - م/١/ص ٨٠٥ ، راجع عنه مخطوط: (مختصر القواعد في اصول الفقه) - ابن ابراهيم اليقورى - برلين - رقم (4380-Lbg-499)

(٤) المصدر نفسه ، المعجم - ص - ٣٠١ ، الاحاطة - ص ١٩١ ، الديباج - ٢/ص ٤٧ ، د. عبد الرحمن باغي - حياة القيروان - بيروت - ص ١٨٤ ، الكتاني - التراتيب الادارية - بيروت - ٢/ص ١٤٠ ، انظر لزيادة المعلومات : مجلة المورد - م ٨- العدد الاول - ١٩٧٩ م - ص ٢٤، للمزيد من التفاصيل راجع :

Handschriften-Verzeichnisse der Koniglichen Bibliothek
ZuBerlin
W. Ahlwardt Berlin 1899.

عنوان دليل مخطوطات برلين

عياض الاساسي من رحلاته ان يرى شيوخه وانما كان يعني ان يقابل افكارهم فيزنها بما تعلمه في بلده من افكار والحرص على اكمال المنهج النقلي والتأكد من صحته والتوسع في الرواية والقراءة والبحث عن الاسانيد العالية .

وظائفه الادارية :

تولى القاضي عياض وظيفة القضاء[1]، في اخر عمره الموحدين ، وعلى الرغم من ذلك كان يمثل العصر المرابطي حق تمثيل، وذلك لان مدينته سبتة كانت قد انتهت الى ذروتها العلمية التي كللها القاضي عياض مفخرة الغرب على الاطلاق ، كذلك استكملت كيانها السياسي مما جعلها تقف موقفا مهيبا ازاء امير الموحدين عبد المؤمن . وقد روى ابن خاتمة عن ولده ابي عبدالله محمد ابن عياض قوله : اجلسه أهل بلده للمناظرة عليه في المدونة ، وهو ابن اثنين وثلاثين عاما ، وبعد ذلك اجلس للشورى ، ثم تولى **وظيفة القضاء في مدينته سبتة**[2]، فأنه ليس غريبا ان يختار عياضا

(١) ذكر الماوردي ان وظيفة القضاء تعني (الفصل في المنازعات وقطع التشاجر والخصومات) الاحكام السلطانية – ط ١ – (مصر – ١٩٦٠ م) – ص ٧٠ ، النباهي – تاريخ قضاة الاندلس – ص ٢ ، ابن خلدون – المقدمة – بيروت – ص ٢٢٢ . اشار القاضي عياض الى الشروط القضائية التي يتم بها القضاء نحو قوله ((لا تنعقد الولاية ولا يستدام عقدها الا بها عشرة : الاسلام ، العقل ، الذكورية ، الحرية ، البلوغ ، العدالة ، العلم وسلامة حاسة السمع والبصر من العمى والصمم ، سلامة حاسة اللسان من البكم ، وكونه واحدا لا اكثر)) – تاريخ القضاة الاندلس – ص ٤ ، انظر: مجلة كلية الامام الاعظم – العدد الاول – ١٩٧٢م – ص ٢١١ ، مجلة البينة – العدد السابع – ١٩٦٢م – ص ١٠٦ .

(٢) المدارك – ١/ص ١٩ – ٢٠ ، راجع التفاصيل في أزهار الرياض – ٣/ص ١٠ .

قاضيا للجماعة ليجلس ببلدته سبتة (١) اولا سنة ٥١٥هـ ، وقد حسنت سيرته فيها فكان محمود الطريقة مشكور الحال، اقام الحدود على ضروبها واختلاف انواعها وذاع صيته (٢) وقد اختاره امير غرناطة يوسف ابن تاشفين لمكانته في توليّ منصب وظيفة القضاء ببلدة غرناطة عام ٥٣١ هـ ، فسار فيها احسن سيرة ، لا تأخذه في الحكم لومة لائم ، وضرب على ايدى العابثين من المقربين للسلطان ، فأشتكوه اخيرا الى اميرهم ابن تاشفين ، فضاق به ذرعا ، واقاله من منصبه (٣).

---

(١) المصدر نفسه – ١/ص ١٩ ، الديباج – ٢/ص ٤٨، أزهار الرياض – ٣/ص ١١ ، (ذكر النباهي ((ان اضافة لفظ القضاء الى الجماعة ، جرى التزامه بالاندلس منذ سنين الى العهد الاموى والظاهر ان المراد بالجماعة (جماعة القضاة) إذ كانت ولايتهم قبل القاضي بالحضرة السلطانية ، كائنا من كان ، فبقي الرسم كذلك)) تاريخ قضاة الاندلس – ص ٢١، المقرى – نفح الطيب – تحقيق محمد محي الدين – بيروت – ٥/ص ١٣١ ، انظر : القضاء الاسلامي وتاريخه – الموصل – ص ٥٩ ، ادم متز – الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى – (بيروت – ١٩٦٧م) – م ١/ ص ٣٩٦.

(٢) المدارك – ١/ص ١٩ ، الصلة – ٢/ص ٤٣٠ ، تذكرة الحفاظ – ٤/ص ١٣٤ ، كتاب الوفيات – ص ٨ ، السبكي – طبقات الشافعية الكبرى – ط ٢ – بيروت – م ٤/ص ٤٤ ، الديباج – ٢/ ص ٤٨ ، أزهار الرياض – ٣/ص ١١.

(٣) المصدر نفسه ، المعجم – ص ٣٠٢ ، العبر في خبر من غبر – ٢/ص ٤٦٧ ، تاريخ قضاة الاندلس – ص ٤ ، لزيادة المعلومات انظر : مجلة آداب المستنصرية – العدد – ١١ – ١٩٨٥ م – ص ٣١٩ ، مجلة البينة العدد السادس – ١٩٦٢م – ص ١٠٦ .

ولعل القاضي عياض كان لا يساير الامراء وقد نتج عن ذلك ابتعاده عن مدينة مراكش. اذ قال ولده ابو عبدالله محمد (كان ابي عياض يلاطف الامراء فأن امتنعوا من الحق تقوى عليهم غير هيوب لهم ، مقداما عليهم)(١).

ورد في المصنف التأريخي والادبي الكبير أزهار الرياض ، نص لرواية (عياضية) كانت قد وردت على لسان احد شيوخه ، المعروف بـ (ابن القصير)(٢) حيث قدوم ابي الفضل عياض الى غرناطة قاضيا ذكر فيها ((لما ورد علينا القاضي عياض غرناطة ، خرج الناس للقائه ، وبرزوا تبريزا ما رأيت لامير مؤمر مثله ، وحزرت اعيان البلد الذين خرجوا لاستقباله ركابا نيفا على مئتي راكب ، ومن سواد العامة ما لا يحصى كثرة (٣). بعدها قفل راجعا الى بلدية سبتة وتولى قضاءها ثانية سنة ٥٣٩ هـ ، فسار سيرته المعهودة ، وفرح به اهل بلدته))(٤).

---

(١) وتحدث عن سيرة والده القاضي عياض في ترجمه كان ((كثير التواضع ، يقبل على المساكين والفقراء، فيسألهم عن احوالهم ويكثر الصدقة عليهم)) – التعريف بالقاضي عياض – ص ٥ – ٧ ، المدارك – المقدمة ،، انظر ايضا:

The Encyclopaedia of Islam-p- 289

راجع عنه:

Kitab AL-hawadit wa-L-bida-p-97

(٢) ترجمته: ابو زيد عبد الرحمن بن القصير بن احمد بن محمد الازدى من اهل غرناطة ، كان فقيها مشاورا مات سنة (٥٧٦ هـ /١١٨٠م) وهو احد تلاميذ القاضي عياض. أزهار الرياض – ٣/ص ١١، ابن سهل – ديوان ابن سهل – تقديم احسان عباس – (بيروت – ١٩٨٠م) – ص ٦٥ ، التراتيب الادارية –٢/ص ٢٠٠ ، احسان عباس – تاريخ الادب الاندلسي – (بيروت – ١٩٦٢ م) – ص ٣٠٧ ، مجلة اوراق – المورد ٤ – ١٩٨١– (بدون صفحة) ، ناطق صالح مطلوب – فهارس شيوخ العلماء في المغرب والاندلس – (القاهرة – جامعة عين شمس – ١٩٧٨م) – ص ٥٨ – رسالة دكتوراه.

(٣) المقرى – ٣/ص ١١ – ١٤.

(٤) الصلة – ٢/ص ٤٣٠ ، تاريخ قضاة الاندلس – ص ١٠١.

وذكر ابن بشكوال في السنة نفسها ان القاضي عياض قدم الينا في قرطبة واخذنا عنه بعض ما عنده وسمعته يقول ((سمعت القاضي ابا علي الصوفي يقول سمعت الامام ابا محمد التميمي ببغداد يقول: ما لكم تأخذون العلم عنّا وتستفيدونه منّا؟ ثم لا تترحمون علينا؟ فرحم الله جميع من اخذنا عنه من شيوخنا وغيرهم))[١].

المعروف ان وظيفتي القضاء والفتيا في الاندلس كانتا تسيران وفق المذهب المالكي واستمر العمل بذلك في عصر غرناطة[٢]. ولم يكن منصب القضاء في العصر المرابطي يقف عند اقامة الحدود والفصل في النزاعات، بل كان يتعداه الى تعيين ائمة المساجد فقد قام القاضي عياض بانشاء (رباط العباد في جبل المنيا[٣]. كما انجز الزيادة الغربية في جامع سبتة[٤]. وقد اشار ولده الى انجازات والده في مدينة سبتة وغيرها[٥].

لقد وصف الفقيه محمد بن حماد السبتي القاضي عياض بقوله: جلس القاضي عياض للمناظرة وله من العمر نحو من ثمان وعشرين سنة، واغاث لقوله، ولم يكن احد بسبتة في عصره اكثر تواليف منه[٦]. كما اثنى عليه العامرى قائلا ((لم يوجد بسبتة في عصر من الاعصار من التعاليق مثل ماله

---

(١) المصدر نفسه – نفس الصفحة

(٢) المدارك – ١/ص ٥٥، ابن طولون – قضاة دمشق – (دمشق – ١٩٥٦م) – ص ٣٤٨ .

(٣) المصدر نفسه – ١/ص ١٩، طبقات المفسرين –٢/ص ٢٠ .

(٤) المصدر نفسه (نفس الصفحة) .

(٥) التعريف بالقاضي عياض – ص ١١ .

(٦) الذهبي – التذكرة –٤/ص ١٣٠٤، ابن قنفذ – الوفيات – ص ٨، ابن تغرى بردى – مجموعة ابحاث – (مصر – ١٩٧٤م) – ص ١٣٥.

وحاز من الرئاسة في بلده ومن الرفعة مالم يصل اليه احد من اهلها وما زاده ذلك الا تواضعا وخشية لله تعالى(١) .

كان الامام القاضي كثير الانصاف ، متواضعا ، لا تأخذه في الحق لومة لائم(٢). كما اولى اهتماما خاصا للقضاء في بلدته سبتة حال جلوسه للتدريس والشورى مما يدل على مكانة القضاء والقضاة واحترام احكامهم واسنادهم من الدولة .

---

(١) العامري – بهجة المحافل – ٦/١ ، السبكي – طبقات الشافعية الكبرى – ٤/ص٤٤ .

(٢) المدارك – المقدمة (كان ابو الفضل بمنزلة من الجد في تعظيم الشريعة والذب عن حرمها ، بحيث ان الفتح بن خاقان الكاتب المشهور ، دخل عليه وهو بمحكمته ، فأحس منه رائحة الخمر ورأى عليه آثار نشوتها فغضب عليه وجرده من ثيابه وحده الحد الشرعي) .

ابن خاقان – قلائد العقيان ص ٢٥٥ ، ابن خاقان – مطمح الانفس ومسرح التأنس – ط ١ – (بيروت – ١٩٨٢م) – ص ٣٨ ، المقري نفح الطيب – ٧/ص ٢٩ ، أزهار الرياض – ٣/ص ١٣ ، الحبتكي – شذرات الذهب – ٤/ص ١٣٩ .

للفائدة راجع : نص الرسالة التي وجهتها جمعية شباب النهضة الاسلامية الى العلماء والمثقفين – بقلم ابو بكر القادري – الرباط – ص ١٣٤ .

دوره السياسي:

أما عن الدور السياسي للقاضي عياض فيتلخص في انحيازه لدولة المرابطين (١)، فكان اول المعارضين لحكم الموحدين وكانت مدينة سبتة في طليعة المدن الاندلسية التي قاومت الموحدين بزعامة القاضي عياض الذى كان حينذاك رئيس المدينة ((بأبوته وعلمه ومنصبه))(٢). حيث قام بمدينة سبتة داعيا بدعوة المرابطين ، راكبا البحر صوب الامير المرابطي ، المعتصم بقرطبة (ابن غانية)(٣) ، مؤديا له البيعة الخالصة ، وطالبا منه واليا على سبتة فبعث معه يحيى بن أبي بكر الصحراوى ليقوم بأمرها (٤) . ذكر بن عذارى ان الموحدين وصلوا الى مدينة سبتة سنة (٥٣٦هـ/١١٤١م) الا ان سبتة استعصت على عبد المؤمن نظرا لمدافعة القاضي عياض

---

(١) المدارك - /ص ٢٣ ، الزركشي - تاريخ الدولتين - ص ١٠ ، المؤنس - ص ١١٥.

(٢) ابن خلدون - العبر - ٦/ص ٤٧٤ ، طبقات المفسرين - ص ٢٠، السلاوى الناصرى - الاستقصا - (الدار البيضاء - ١٩٥٤م) - ٢/ ١١٤، ابن البيذق - اخبار المهدى بن تومرت - (الجزائر - ١٩٧٤م) - ص ١٢٤ - هامش رقم (٢) .

(٣) اسحاق بن محمد بن علي بن يوسف المسوفي ابو ابراهيم ، المعروف كأسلافه بـ (ابن غانية) وهي جدته لابيه صاحب الجزائر الشرقية في الاندلس، وتسمى جزائر الباليار (LLes - Bleares) وعاصمتها ميورقة ، تولاها مستقلا بعد وفاة ابيه سنة ٥٤٦هـ ، وبالغ في مجاملة الموحدين بني عبدالمؤمن ، فكان يهاديهم ببعض ما يغتنم لتشغلهم عنه وهم يدعونه الى الدخول في طاعتهم والدعاء له على المنابر ، ويعدهم ولا يفعل ، الى ان استشهد في بلاد الروم غازيا فمات في مصر سنة (٥٧٩هـ/١١٨٣م) - المعجب - ص ٢٦٩ - (الهامش) ، الزركلي - الاعلام - م ١/ص ٢٩٦.

(٤) المدارك - ١/ص ٢٢ ، ابن الاثير - الكامل في التاريخ - (بيروت - ١٩٦٦م) - م ١١/ ص ٢٣ ، ابن خلدون - العبر - ٦/ص ٤٧٤و ٤٨٤، المؤنس - ص ١١٥ ، الاستقصا - ٢/ص ١١٤.

لهـــا (١). اخيرا قاتلوا عبد المؤمن وهزموه ، حينئذ كانت له الكرة عليهم ، مما اضطر الصحراوي الى الهرب فأرسل يطلب الامان من عبد المؤمن ، فأمنه وبايعه وحسنت طاعته (٢) ، وحينما رأى اهل سبتة ذلك ندموا على ما فعلوه وكاتبوا عبد المؤمن طالبين التوبة وحسن الطاعة له فعفا عنهم ولم يصب مدينة سبتة حينها سوى هدم سورها المنيع (٣) . وأمر القاضي عياض بالاقامة في مدينة مراكش (٤).

---

(١) البيان المغرب – ق ٣ – تاريخ الموحدين – نشر امبروسي هويسي وآخرين – تطوان – ١٩٦٠م) – ٢١/٢.

(٢) المدارك – ١/ص٤٤٢ ؛ ابن ابي زرع – الانيس المطرب – الرباط – ١٩٧٢م) – ص١٢٤ ؛ ابن خلدون – العبر – ٦/ص٢٧٤ ؛ تاريخ الدولتين – ص١٠ ؛ الذخيرة السنية – ص١٢٥ ؛ مجلة حوليات كلية الاداب – اخبار من بعض مظان مغفلة – ١٩٥٥م – م٣ – ص٥٥ ؛ مجلة اداب المستنصرية – بغداد – العدد – ١١– ١٩٨٥م – ص٢١٩ ؛ أدب القضاة بالاندلس في عهد المرابطين والموحدين – بغداد – ص٥٧.

(٣) المصدر نفسه – نفس الصفحة

(٤) الحميري – الروض المعطار – ص٥٤٠.

انتاجـــه ومؤلفـــاتـــه :

عاش القاضي عياض فترة زمنية امتدت من النصف الثاني للقـــرن الخامس الهجري حتى نهاية النصف الاول من القرن السادس الهجري وخلال تلـك الحقبة الزمنية احيط بعلوم عصره ودرسها على شيوخ لهم مكانتهم العلميـة والادبية في بلاد المغرب والاندلس .

فضلا عن ما ناله من دراسة وسماع من والده وهو لا يزال صبيا ، كما انه استفاد من ثقافة عصر المرابطين لاسيما وانه ترك من ورائه انتاجـا عظيما ومستقيما في مختلف العلوم والمعارف ، مثل الحديث والفقه والتفسير والانساب مما يدل على تمكنه من ناصية العلوم ، وتبحره في المنطوق والمفهوم وكلها انتاجات وعطاءات مفيدة تدل على سعة افقه وخصوبة فكره ، وقد نقلت ذكره الى سائر الاقطار الاسلامية وتجلت بعد ذلك عند تلامذته من طلبة العلـم الذين رحلوا اليه للاخذ عنه .

لقد ساهم القاضي عياض بقسط اكبر في صياغة الثقافة المغربيـة وطبعها بطابع خاص ذلك عن طريق مصنفاته التي نهلت منها الاجيال اللاحقـة ، قال اليوسي (المغرب كله حرم لعياض) (١).

لعل اشهر ما قيدته انامل القاضي عياض من آثار علمية اهلتـه من بعد عالما (اذ اعنت رجالات الغرب فضلا عن الاندلس حسب فيهم صدرا) (٢).

خلال استعراضنا لما قدمته بعض المصادر من كتب التاريخ والتراجم من معلومات وافية عن آثاره العلمية يمكن ان يعتد القاضي عياض مـن

---

(١) ابن المؤقت - السعادة الابدية - المطبعة الحجرية بفاس - ص ١٨٠

(٢) ابن الابار - المعجم في اصحاب الصدفي - ص ٣٠١ .

المكثرين في تأليفهم العلمية في بلاد المغرب والاندلس حتى بلغ عددها مـا يربو على اكثر من ٣٢ كتابا في العلوم الدينية والتاريخية وعلوم اخـر بالـرغم من اختلاف الروايات التي تحدثت عنه .

لقد اصاب مؤلفاته ما أصاب حياته من اضطراب ولكن لابد من الاشادة بهـا وان مثل هذه المؤلفات بعضها قد تحقق بفضل الاساتذة والباحثين فـي تاريخ المغرب والاندلس ومتداولة الان بين ايدينا ، ولكن اغلبها لم تطلـعنا لحد الان بالرغم من اهميتها للباحث في دراسة تاريخ المغرب والاندلـس في المجالات كافـة وبعضهـا لا يزال مخطوطـا في كثير من المكتبات العربية والاخرى مفقودة ولم يعثر الاعلى نتـف مغيرة منهـا .

ومهما يكن من امر فمن المؤكـد ان تأثير مؤلفاته قد تجـاوز الى العصور اللاحقـة ، ولعلني لا أبالغ فيما اذا قلت ان عياضا ساهـم بأثاره العلمية الى حـد بالغ الاثر لاسيما وانها اصبحت فيما بعد منهـلا تغرف منه الاجيال .

ذكـر القاضي عياض مؤلفاته فـي كتابه المدارك منها المطبـوع ومنها ما لم يتح للكثيرين الاطلاع عليها ومنها المفقود دلت على قـوة ملكته العلمية منهـا :

١. كتاب الشفـا بتعريف حقوق المصطفى (١) .

٢. كتاب مشارق الانوار على صحاح الاثار في تفسير غريب حديث الموطـأ والبخاري ومسلم .

---

(١) وهو كتاب جليل في سيرة الرسول (ص) والتنويه بشخصه الكريم وخلقه العالية وسيرته المثالي جمع فيه اخباره الشريفة مقارنا بين شخصيته الكريمة وشخصيات اخوانه الانبياء .. مستقصيا اخبارهم مظهرا ميزته بين ولد آدم كما ورد ذلك في الكتاب والسنة والاخبار . المدارك - ١/ص٢٤ .

٣. كتاب بغية الرائد فيما في حديث ام زرع من الفوائد.

٤. كتاب الاعلام في حدود الاحكام .

٥. كتاب الالماع الى معرفة اصول الرواية وتقييد السماع (١).

٦. كتاب الغنية (معجم لشيوخه)

٧. كتاب المعجم في شيوخ ابن سكره

٨. كتاب نظم البرهان على حجة جزم الاذان

٩. كتاب مسألة الاهل بينهم التزاور

١٠. كتاب العيون الستة في اخبار سبتة (٢)

١١. غنية الكاتب وبغية الطالب في التدور والتر سل

١٢. كتاب الاجوبة المحيرة على الاسئلة المتخيرة

١٣. اجوبة القرطبيين

١٤. اجوبته عما نزل في ايام قضائه من نوازل الاحكام

١٥. كتاب سر السراه في أدب القضاة

١٦. كتاب مجموعة خطبه الجمعية

١٧. مجموعة اشعاره (٣)

١٨. كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك (موضوع البحث).

أشار مؤلفه الى اهمية الكتاب في المقدمة ((انه حاو لاسماء الاعيان من المالكية واعلامهم وذكر طبقاتهم وازمانهم وجمع عيون فضائلهم

---

(١) المصدر نفسه - ١/ص ٢٥ ، الضبي - بغية الملتمس - طبعة مصر - ص ٤٢٥ ، سماه حاجي خليفة ((الالماع في ضبط الرواية)).

(٢) هذا الكتاب كثير ما يذكره ابو العباس الحلبي الفاسي في كتابه الدر النفيس في مناقب أدريس ، المدارك - ١/ص ٢٥ .

(٣) المدارك - ١/ص٢٥

واثـــارهـــم (١) . . .

في اغلب الاحيان يواجه الباحث صعوبات لغرض التعرف على أثاره العلمية للاختلاف الذي يقع بين المؤرخين في تثبيت عدد مؤلفاته أو لاتخاذها اسمـــاء متعددة احيانا لذلك نرى ان المصادر وكتب التراجم التي كتبت عن مصنفاتـــه تتباين في ذلك .

أشار ولده ابو عبدالله محمد الى مصنفات ابيه في كتابه (التعريف) مرتبـة علـــى الشكل الاتـــي

---

(١) المصدر نفسه ، ذكره حاجي خليفة انه (تأليف غريب لم يسبق مثلـــه)، البغية – ص ٤٢٥، القلائد – ص ٢٢٢ ، ابن عطية – فهرسة ابن عطية – (بيروت – ١٩٨٠م) – ص ١٨٠ ، وفيات الاعيان – ١/ ص٣٩٢ ، طبقـــــات المفسرين –٢/ص ٢٠–٢١، ابن رشيد الاندلسي – افادة النصيح– تونـــس – ص ١٢ – ٢٢، تاريخ قضاة الاندلس– ص ٢١٩ ، فتاوى الامام الشاطـبي – ص ٩٧ ، طبقات الشافعية الكبرى – ط ٢ – م٤/ص ٢٧٨ ، احمـــــد بابا التنبكتي –نيـل الابتهاج – (هامش الديباج المذهب) – ط ١ – (مصر – ١٣٥١هـ/١٩٣٢م) – ص ٧ ، المزى – تحفة الاشراف – (بـــيروت – ١٩٦٥م) – م١/ص٢٤٧، السخاوى – القول البديع – (ط٢ – بيروت – ١٩٦٣م) – ص ٩٤ ، ابن سودة – دليل مؤرخ المغرب الاقصى – (ط٢ – الدار البيضاء– ١٩٦٠م) – ص ٦٦ ، ابن دقيق العيد – الاقتراح فـــي بيان الاصطلاح – (بغداد – ١٩٨٢م) – ص ٢٤٨ ، بروكلمان – تاريـــخ الادب العربي ٢٧٤/٦ ، فهرس المخطوطات – منشورات مجمع اللغـــــة العربي الاردني – ص ١٤٥ ، الموسوعة العربية الميسرة – فرانكلـــين – ص ١٢٤٦ ، المكتبة العربية الصقلية – ص ٧٠١ ، انظر ايضا : –

The Encyclopadia of Islam - P- 289.

١. كتاب اكمال المعلم في شرح مسلم (١)

٢. كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى

٣. كتاب التنبيهات المستنبطة على المدونة والمختلطة .

٤. كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٢)

٥. كتاب الاعلام بحدود قواعد الاسلام (٣)

٦. الالماع الى معرفة اصول الرواية وتقييد السماع (٤)

٧. بغية الرائد لما تضمنه حديث ام زرع من الفوائد (٥)

٨. كتاب خطبة

٩. الغنية في شيوخه (٦)

١٠. المعجم في شيوخ ابن سكرة (٧)

---

(١) اوله (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا)
انظر: - الفهرس العام للمخطوطات - ق١- مكتبة حس حسني عبدالوهاب
(تونس - ١٩٧٥م) - ص٢٨٠.
ويبدو انه الفه بعد كتابه المشارق وما يزال مخطوطا - المكتبة
الملكية - (الرباط - 2640)

(٢) طبع في لبنان اولا- تحقيق الاستاذ احمد بكير - الطبعة الثانية -
المغرب - تحقيق - محمد بن تاويت الطنجي.
الفه عياض بعد تأليفه لكتاب (جمهرة رواة مالك) وقد اختصره اكثر
من واحد. المدارك - ١/ص ٤٥

(٣) طبع بتحقيق الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي .

(٤) طبع بتحقيق الاستاذ احمد الصقر - (طبعة القاهرة - ١٩٧٠م)

(٥) طبع بتحقيق الاستاذ صلاح الدين بن احمد الادلبي ومحمد عبدالسلام
الشرقاوي - (وزارة الاوقاف - الرباط - ١٩٧٥م) .

(٦) طبع بتونس - تحقيق د.محمد عبدالكريم - ١٩٧٨م- وطبع في اسبانيا
تحقيق الاستاذة (مريا خوصي هرموسيا) ، اورد ابن خير الاشبيلي في
فهرسته هذا المعجم قائلا (انه اخذه عن عياض مشافهة) -
(بيروت - ١٩٨٣م) .

(٧) جمع فيه نحو مائتي شيخ وذكره عياض في الغنية ويظهر من كلام الكتاني
انه اطلع عليه . الرسالة المستطرفة -)(دمشق - ١٩٦٤م)- ص ١٥٧.

١١. مشارق الانوار على صحاح الاثـــار (١)

١٢. نظم البرهان على صحة جزم الاذان (٢)

١٣. مسألة الاهل المشترط بينهم التزاور (٣)

١٤. المقاصد الحسان فيما يلزم الانسان (٤)

١٥. الفنون الستة في اخبار سبتــة (٥)

١٦. غنية الكاتب وبغية الطالب في الصدور والترسيل (٦)

١٧. الاجوبة المجبرة على الاسئلة المتخيرة (٧)

---

(١) ذكره حاجي خليفة قائلا (كتاب مفيد جدا اوله الحمد لله مظهر دينـه على كل دين واختصره ابن قرقول الحافظ ابو اسحق بن يوسف الوهرانـي الحمزى (ت ٥٦٩ هـ) وسماه المطالع وزاد عليه بعضا)).
كشف الظنون - ٢/ص ١٦٨٧ و ١٧١٥ . روى عنه ابن سعيد المغربي قائـلا (كان ابو عمرو المعروف بـ (ابن الصلاح) لا يغيب عن مطالعته وله :

مشارق انوار تجلت بسبتـــة وذا عجب كون المشارق بالغـــرب

وما شرف الارجاء الا رجالهـا والا فلا فضل لترب على اتـــرب

اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلي - ط ٢ (بيروت - ١٩٨٠م) - ص ٣٤.
وأشـار اليه الكتاني قائلا (جمع فيه بين ضبط الالفاظ واختـلاف الروايات وبيان المعنى ، وخصه بالموطأ والصحيحين ، وهو كتـاب لوزن بالجوهر او كتب بالذهب كان قليلا فيه) .
الرسالة المستطرفـــة - ص ١٥٧

(٢) مفقود (٣) مفقود (٤) مفقود

(٥) وردت بأسم (العيون الستة في اخبار سبتة)
المدارك - ١/ص ٢٥ ، الاحاطة - ص ٩١ ، الديباج - ٢/ص ٤٩

(٦) مفقـود

(٧) يبدو ان هذه الاجوبة ضمنها ابو عبدالله عياض في كتابه (مذاهـب الحكام في نوازل الاحكام) ، كما ذكره حاجي خليفة بأسم (الاجوبـة المخيرة على الاسئلة المحيرة) - كشف الظنون - ١/ص ١٢٧.

١٨. اجوبة القرطبين

١٩. سر السراة في ادب القضاة

بهذه الصورة نرى الاختلاف واضحا في تحديد ما رتبه والده عياض وما دونه ولده من بعده في كتابه التعريف اذ وقع الاختلاف في تحديدها بـ (تسعة عشرة كتابا) ، وكذلك في اسماء بعضها .

بما ان كتاب ((التعريف)) لولده محمد يعتبر المصدر الاول وللاعتماد عليه اذا اعتمده من المؤرخين الذين ترجموا للقاضي عياض المقرى في في كتابه (أزهار الرياض في اخبار القاضي عياض ، والكتاني في كتابه (الرسالة المستطرفة) ، وابن فرحون في (الديباج) (١).

على الرغم مما نسبه ولده من مؤلفات لوالده عياض ولكنها تبدو ناقصة ولم يشر الى بعضها ولا اعرف ما هو السبب او التفسير لذلك .؟ لعل ذلك يعود الى جمعها في وقت متأخر بعد المدارك .

يمكننا استعراض قائمة لمؤلفات القاضي عياض التي ذكرها ابن تاويت الطنجي اذ جمعها بعد جهد طويل وتوصل الى ان عدد كتبه بلغت اكثر من ثلاثين كتابا. ولو قارنا بين ما جمعه ولده ابو عبدالله في التعريف وما اشار اليه ابن تاويت الطنجي لتبين لنا ان الفارق العددى في المؤلفات شاسع ، على الرغم من انه لم يورد ذكرها ضمن مصنفاته الاخرى التي اشار اليها ولعل السبب يرجع الى جمعها من مصادر متعددة او من تجزئة الكتاب الواحد.

---

(١) القاضي عياض اديبا - ص ١٤٠.

فيما يأتي بعض الكتب التي ذكرها الطنجي:

١. اخبار القرطبين (١)

٢. اختصار شرف المصطفى (٢)

٣. تاريخ المرابطين (٣)

٤. الجامع في التاريخ (٤)

٥. سؤالات وترسيل (٥)

٦. السيف المسلول على من سبّ الرسول (ص) (٦)

---

(١) للاسف لا نعرف فيما اذا كان هو جزء من كتابه التاريخ.؟

(٢) ذكره الكتاني في الرسالة المستطرفة فضلا عن ثلاثة كتب جاءت باسم شرف المصطفى (لابي سعيد عبدالملك بن محمد بن ابراهيم النيسابوري اما الثالث لابي الفرج بن الجوزي) - ص ١٠٩ ، فهرسة ما رواه عن شيوخه - ص ٢٨٩.

(٣،٤) - ربما الاثنين ذكرا في كتاب واحد. اشار عياض اثناء ترجمته لعبدالله بن ياسين الجزولي (ان له كتابا في التاريخ) . المدارك - ٤/ص ٧٨١

(٥) (للاسف لم اعثر على تعليق له)

(٦) لعله كتاب أخبار العلويين الذى أشار اليه الكتاني في فهرس الفهارس - اعتناء د. احسان عباس - بيروت - ١/ص ٨٦ ، كشف الظنون - ٢/ص ١٠١٨ .

٠٧ الصفا بتحرير الشفا (١)

٠٨ العيون الستة في اخبار سبتة (٢)

٠٩ غريب الشهاب (٣)

٠١٠ كتاب العقيدة (٤)

٠١١ القواعد (٥)

٠١٢ مطامح الافهام في شرح الاحكام (٦)

ليس من الغريب ان تكون بعض كتب قد حظيت بأسماء عديدة أذ ان المعروف عنه كثيرا ما يذكر مصنفاته الا انه لم يشر الا الى كتاب واحد له في التاريخ الذى اتخذ اشكالا متعددة منها:

أ. اخبار القرطبين ، ب. تاريخ المرابطين ، ج ـ العيون الستة في اخبار سبتة ، د ـ الفنون الستة في اخبار سبتة ، هـ ـ الجامع في التاريخ.

لعل تلك الاسماء هي اجزاء لكتاب واحد كما ذكره المؤرخ الذهبي: كان لعياض كتاب في التاريخ أربى على جميع المؤلفات جمع فيه اخبار ملوك المغرب والاندلس استوعب اخبار سبتة وقضاتها

---

(١) اورده الطنجي ولكنه ذكر عقبه مباشرة ان الكتاب في شرح الشفا وهو لغير عياض بل لقطب الدين محمد بن محمد بن الخيضرى (ت ٨٣٤ هـ) . القاضي عياض اديبا ـ ص ١١٤.

(٢) المدارك ـ ١/ص ٢٥

(٣) لم تذكره المصادر المغربية كالديباج والمعجم ـ فيما يبدو ذكره واضحا عند المشارقة فقط.
كشف الظنون ـ ٢/ص ١٢٠٧

(٤،٥) (ربما هو نفسه كتاب الاعلام بحدود الاسلام) ـ القاضي عياض اديبا ص ١٤١.

(٦) كشف الظنون ـ ٢/ص ١٧١٨. (اقتصر ذكرها على المشارقة ولم اعثر على نص مغربي يثبت نسبتها الى عياض).

وفقهائهـــــا (١).

فضلا عما اشير اليه من مصنفات علمية . هناك بعض المصنفات لهـــا اهميتها لكونها كتب تاريخ وتراجم لاعلام ورواة وهو (كتاب جمهرة رواة مـالـك)(٢). ذكره عياض اكثر من مرة في كتابه ترتيب المدارك كما جـاء في مقدمة قوله : (لم اقصد في هذه الورقات ، يعني كتاب الترتيب استيعـاب كل من ذكر لي عنه رواية او مجالسة او سؤال ، اذ قد اودعنا ذلك كتابـــا اخر في جمهرة رواة مالك ، انطوى على اكثر من الف وثلاثمائة راو ، تقصيتها من الكتب المؤلفة في ذلك (٣). وأشار لكتابه هذا فقال: (اقتصرنا فـــي هذه الورقات على ذكر الف اســم منهم تضمنهم كتابه جمهرة رواة مالك ، ممن عرف اسمه وصحت روايته وشهرت صحبته ورأينا ان لا نخلي هذا الديـــوان من هذا القدر لتتم في بابه فوائده ، وتكمل في فنه معارفه (٤) .

مهما يكن من أمر فأن هذا الكتاب يقع ضمن تآليفه التي لا نعـــرف عنها الا اسماءها الا ان اهميته تتجلى بأنه افادنا لانه يشتمل على اكثـر من ١٣٠٠ أســم من اسماء رواة مالك ، ويبدو ان حجمه قريب الى حجـــم كتابه ترتيب المدارك .

بالنظر لاهمية كتابه المسمى (الاعلام بحدود قواعد الاسلام) فقـــد تعددت اسماؤه ، ذكره البعض بأسم (القواعد) وورد ذكره عند حاجي خليفـــة

---

(١) تذكرة الحفاظ ـ ط٣ ـ ٤ / ص ١٣٠٤ ـ ١٣٠٧. (نسب له تواليـــف صغار دون الاشارة الى اسماءها)).

(٢) المدارك ـ ١/ص ٤٥ (المقدمة)

(٣) المدارك ـ ص ٤٦ ـ (المقدمة)

(٤) المصدر نفسه ـ نفس الصفحة .

باسم (الاعلام في حدود الاحكام) (١)، وأشار له أخر بأسم (العقيدة)، والظاهر ان الداودي انفرد بذكر كتاب اخر للقاضي عياض بأسم (الاعلام بأشارات اهل الالهام) (٢) . وفي الوقت الحاضر انفرد بروكلمان بذكر بعض الكتب التي نسبت للقاضي عياض منها كتاب (منهاج العوارف الى روح المعارف) وكتاب (شرح مشكلات الصحيحين) (٣)، وكتاب ((رسالة كتبها عند القبر المقدس) (٤)وكتاب اخر (الشبهات على المدونة) (٥) .

ان مؤلفات القاضي عياض قسمت الى ثلاثة اجزاء

الاول: في علم الحديث وله اربعة كتب منها .

مشارق الانوار على صحاح الاثار(٦) ، وهو كتاب مفيد جدا في تفسير غريب الحديث المختص بالصحاح الثلاثة (٧). والثاني كتاب الإلماع الى معرفة

---

(١) كشف الظنون – ١/ص ١٢٧
(٢) طبقات المفسرين – ٢/ص ٢٠ – ٣٨٧
(٣) الغالب ان هذا الكتاب هو مشارق الانوار على ان المشارق في شرح مشكلات الصحاح الثلاثة ، كما هو معروف لا في شرح الصحيحين فقط . مقدمة المشارق – ص ٧ ، انظر: تاريخ الادب العربي – ٣/ص ١٨٠.
(٤) تاريخ الادب العربي – ٣/ص ١٨٠
(٥) وهو احدى شروح المدونة لسعيد بن سحنون . انظر: تاريخ الادب العربي – ٣/ص ٢٨٢
(٦) يبدو ان عياضا بدأ بتأليف كتابه الاكمال ثم الالماع ثم المشارق مقدمة المشارق – ص ٧ (طبع بمطبعة السعادة – (مصر – ١٣٣٢ هـ) ، وفاء الوفا بأخبار المصطفى – ٢/ص ٣٥١
(٧) النهاية في غريب الحديث والاثر – ٢/ص ١٧٦ وبهامشه الدر النثير – ص ٢٣٦ ، المقتضب – ص ٦٣ ، طبقات المفسرين – ٢/ص ٢٠ و ٣٨٧ ، كتاب الامتاع والانتفاع – ص ٣٠ و ١٢٥ ، القاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة – ص ٦١ ، القنوجي – التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الاخر والاول – (المطبعة الهندية – ١٩٦٣م) – ص ٩٥ ، الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة – ص ٣٩ و ٤٥ ، مجلة المجمع العلمي العراقي – م ٣٩ – ٢/ص ١٢٢ .

اصول السماع)[١]. اما الكتاب الثالث (اكمال المعلم في شرح مسلم) كمل به كتاب المعلم في شرح مسلم للمازرى[٢]. يذهب احد المؤرخين الى انه (اذا كان صحيح مسلم اختص به المغاربة وكثرت عناية علماء المغرب به واجمعوا على تفضيله على كتاب صحيح البخارى فأن الامام المازرى يعد اولهم اعتناء بهذا الكتاب فأملى عليه شرحا وسماه (المعلم بفوائد مسلم ، واقتفى العلماء خطاه فيما بعد مثل القاضي عياض ومحي الدين النووى)[٣].

---

(١) ورد بأسم اخر عند التجيبي (كتاب الالماع الى معرفة اصول الرواية وتقييد السماع) . برنامج التجيبي – ص ١٤٢ ، البغية – ص ٤٢٥ ، التبصرة والتذكرة – ١/ص ٩ ، تدريب الراوى – ص ٩ و ١٤١ ، اسماء الكتب المتمم لكشف الظنون – ص ٢٠٠ ، الرسالة المستطرفة – ص ١٤١ ، قائمة مطبوعات نهضة مصر – ص ٢٦ – ٥٢ و ١٠٩ ، سيرة القيروان – ص ٧ ، مجلة المجمع العلمي العراقي – م ٣٩ – ٢ / ص١٣٢ ، ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين – ص ٣٣٤، مجلة معهد المخطوطات العربية – م ١٨ – ١/ص ٤٣ .

(٢) وهو شرح ابي عبدالله محمد بن علي المازرى (ت ٥٣٩ هـ) وسماه المعلم بفوائد مسلم . طبقات المفسرين – ٢/ص ٢٠ – ٣٨٧ ، قلائد الجمان – ص ٩٥ ، البديع – ص ٩٤ ، الامتاع والانتفاع – ص ٣٠ و ١٢٥ ، انظر:؟ ابن رشيد السبتي – التاج المكلل – ص ٩٥ ، الحسيني – منية الراغبين – (النجف – ١٩٧٢م) – ص ٢٩٧ – تدريب الراوى – ص ٣٧ ، راجع عنه :؟ مجلة اوراق – عياض في فاس – (العدد – ٤– ١٩٨١م/) – دون صفحة .

(٣) عبدالرحمن بن زيدان – الدرر القاخرة – (٣٧ ط – الرباط) – ص ١١٦ – ١٢٠ ديوان ابن الجنان – ص ١٨٣ ، كتاب المدخل – ١/ص ١٠٩ ، راجع عنه مجلة الحياة الثقافية – دراسات اندلسية – العدد ٣–/ص ١٢٩ ، سيرة القيروان – ص ٤٨ .

والكتاب الرابع في الحديث (بغية الرائد لما تضمنه حديث ام زرع من الفوائد)[١] ، ذكره النجيبي بقوله (ان احد تصانيف القاضي عياض قرأت جميعه على ابي الظفر ابن الشيخ الاجل بن الوزير القائد ابي عمرو بن العفية ابي محمد الكلبي [٢] ، كما نشره محمد تاويت الطنجي في مقالة قصيرة نوه بما ضمه هذا المصنف بين دفتيه من آراء نقدية سديدة في مجال النظم والنثر العربي [٣]عد من اهم مصنفاته ذوات الطابع الادبي والاسلوب الفني .

---

(١) برنامج التجيبي — ص ١٤٢ (الكتاب مطبوع — وزارة الاوقاف — الرباط — ١٩٧٥ م) ، ذكر ابن حجر في الفتح قائلا (انه اجمع الشروح واوسعها ومنه اخذ غالب الشراح بعده) ، مجلة المجمع العلمي العراقي — م ٢٩ — ٢/ص ١٣٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ذكره حاجي خليفة بأسم (شرح ام زرع) فقط . م٢/ص ١١٨٦ ، دائرة المعارف الاسلامية — محمد فريد وجدى — ط ٢ — (مصر — ١٩٢٤ م) — ٦/ص٧٩٣ .

(٣) ابن خاقان — القلائد — ص ٢٥٥ ، ابن بشكوال — الصلة — ٢ /ص ٤٥٣ ، خريدة القصر وجريدة العصر — ق٤ — ٥٥٠/٢
ابن خلكات — وفيات الاعيان — ١٥٢/٣ ،
الذهبي — تذكرة الحفاظ — ١٣٠٤/٤
النباهي — تاريخ قضاة الاندلس — ص ١٠١ ، انظر لزيادة المعلومات: مجلة دعوة الحق — العددين السادس والسابع — السنة العشرون — ١٩٧٩م — ص ٩٠

الجزء الثاني ، مؤلفاته في علم الفقه منها .

(كتاب التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة)[١] ، وكتابه (في النوازل)[٢] . اما الجزء الثالث من مؤلفاته في علم التاريخ منها كتاب (ترتيب المدارك)[٣] وكتاب (جمهرة رواة مالك)[٤] (والمعجم في ذكر ابي علي الصدفي وشيوخه وأخبارهم)[٥] ويعد هذا المصنف اكمالا لما ابتداه القاضي عياض في معجمه هذا ، وضع القاضي ابن الابار معجمه الشهير في اصحاب ابي علي الصوفي ، فضلا عن هؤلاء فأن كتابه الرابع في التاريخ - معجم شيوخه المعروف بـ (الغنية) [٦] . وأشار الى اهمية كتابه (الجامع في التاريخ)[٧] الذى سبق ذكره .

---

(١) جمع فيه غرائب وفوائد - كشف الظنون - م٢ - ص ١٢٠٧-١٦٤٤ ، التجاني ، رحلة التجاني - (مصر - ١٩٥٨م) - ص ٢٥٦ ، طبقات المفسرين - ٢/ص ٢٠ و٣٨٧ ، كتاب الامتاع والانتفاع - ص ١٢٥ ، التاج المكلل - ص ٩٥ ، القاعدة الجليلة - ص ٦١ ، اسماء الكتب المتمم لكشف الظنون - ص ٢٠٠ ، الموسوعة الفقهية - ط ١ - ١/ص ٣٦٤ ، دائرة المعارف الاسلامية - ط ٢ - ٦/ص ٧٩٣ .

(٢) جمعها ولده في كتاب واحد ، القاضي عياض أديبا - ص ١١٦ ، (يبدو انه كتابه اجوبته عما نزل في ايام قضائه في نوازل الاحكام) ، المدارك - ١/ص ٢٥ .

(٣) طبع مرتين الاولى - طبعة لبنان - تحقيق احمد بكير - ٤ أجزاء ، ط ٢ - ٨ أجزاء - ١٥ اجزاء تحقيق محمد بن تاويت الطنجي - الرباط ، أما الجزء (٦ و ٧ و ٨) - تحقيق سعيد اعراب -(الرباط - ١٩٨١ م و١٩٨٢م و١٩٨٣م) .

(٤) المدارك - ١/ص٤٥ ، مجلة المجمع العلمي العراقي - م٣٩ - ٢/ص ١٣٤-١٣٩ .

(٥) مقدمة المعجم - ص ١ .

(٦) كتاب تراجم في شرح شيوخ القاضي عياض ممن اجازه باللقاء تحقيق د- محمد عبد الكريم - طبع في الدار العربية للكتاب -١٩٧٨م) انظر: فصل موارده وشيوخه .

(٧) كتاب مفقود ، المدارك - ٤ /ص ٧٨١ ، ذكره الذهبي (انه أربى على جميع المؤلفات) تذكرة الحفاظ - ٤ / ص ١٣٠٥ ، مجلة المجمع العلمي العراقي - م ٣٩ - ٢/ص ٣٨٧ .

وقد تبلورت شخصيته الثقافية بفضل لقداصح للمغرب اتجاهه المذهبي وعمله الذى انصب على تحقيق اهداف معينة لوضع نصوص مصنفات القاضي عياض محققة في الحديث والفقه من جهة وترسيخ جذور المذهب المالكي والرد على خصوم المالكية شرقا وغربا من خلال كتابه ترتيب المدارك فهو بمثابة كتاب دفاعي عن المالكية .

ومن مؤلفاته التي اولت اهمية كبرى في المغرب والمشرق كتاب (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) (١) ، انه كتاب في التعريف بما يجب على المسلم نحو الرسول (ص) لذا ارتأيت ان اضعه في اخر مصنفاته لتعدد نصوصه ومختصراته وشروحاته . كما تضمن فوائد عديدة في الحديث والسيرة النبوية والتفسير الى جانب علوم اخر مثل اللغة والقراءات ، كما انه اكد حقيقة مهملة لسيرة الرسول (ص) من الناحية العقيدية والاخلاقية والعقلية))(٢).

ذكره صاحب الديباج بقوله (ابدع فيه كل الابداع ، وسلّم له اكفاؤه كفايته فيه ، ولم ينازعه احد في الانفرادية ، ولم ينكروا مزية

---

(١) (وهو كتاب جليل في سيرة الرسول (ص) والتنويه بشخصه الكريم وخلقه العالية وسيرته المثلى ، جمع فيه اخباره الشريفة مقارنا بين شخصيته الكريمة وشخصيات اخوانه الانبياء ، مستقصيا أخبارهم مظهرا ميزته بين ولد أدم كماورد ذلك في الكتاب والسنة والاخبار) . المدارك - ١/ص ٢٤ .

(٢) القاضي عياض - الشفا - (الرباط - ط الاخيرة - ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م) - ص ٢و٣ ، الوفا بأخبار دار المصطفى - تحقيق مصطفى عبد الواحد - (القاهرة - ١٩٦٦م) - ٢/ ص ٤٤٩ ، ابن ابراهيم اليماني - الروض الباسم - (بيروت - ١٩٧٩) - ٥٤/١ ، راجع عنه : د. سعد المرصفي - اضواء على آراء المستشرقين - (ط١ - كويت - ١٩٨٨م - ص ١٨٦ ، محمد المنوني - سبتة دورها في اثراء الفكر الاسلامي - (محاضرات المهرجان الثالث - ١٩٧٩م) - ص ١٣١ .

السبق اليه، بل تشوقوا للوقوف عليه ، وانصفوا في الافادة منه، وحمله الناس عنه، وطارت نسخه شرقا وغربا)[١]. أشار الى اهميته الاصبهاني بقوله (نقل عنه اصحابنا الامامية كثيرا، وفيه فوائد كثيرة وتعليقات منيفة واحاديث جليلة في احوال رسول الله (ص) من الولادة الى الوفاة [٢].

وقد قسم الكتاب الى اربعة اقسام وورد في القسم الثالث منه ..... فيما يجب على الانام[٣] من حقوق (ع) وفيه اربعة ابواب .

ذكر بروكلمان ان كتاب الشفا تعبير عن واجبات المسلم نحو الرسول (ص)[٤].

---

(١) ابن فرحون – ٢/ص ٤٩، ابن الابار – المقتضب – (بيروت –١٩٨٢م)– ص ٦٣، طبقات المفسرين للداودى – ١/٣٨و ٢/٢٠ ، ابن شاكر الكتبي – عيون التواريخ – (بغداد – ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧م) – ١٢/٤٣٣ ، السيوطي –الحاوى للفتاوى – ط ٢ – (مصر – ١٩٥٩م) – ٣/١٤.

(٢) روضات الجنات – ٥ /٣٧٧ ، مجلة المجمع العلمي العراقي – م٣٩ – ١/ص١٣٢ ، غرسية غومس – مع شعراء الاندلس والمتنبي – ط٢ – (مصر – ١٩٧٨م) – ص ١٩٣ .

(٣) قال القاضي عياض (وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في اربعة ابواب ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه في سنة وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلاة عليه والتسليم وزيارة قبره (ص) .). الشفا – ١/ص٢-٣ ، المؤنس – ط ٣ – ص ٣١٩ .
كشف الظنون – م٢/١٠٥٢ ، بهجة المحافل – م٢/٢٢١
انظر : فهرس مخطوطات المسجد الاحمدى بطنطا – ص ٢٩ ، فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية – دمشق – ص ٦٥٩ .

(٤) تاريخ الادب العربي – ٦/٢٦٦ – (نشر في القاهرة بثلاثة اجزاء)– تحقيق مصطفى السقا – ابراهيم الابيارن وعبد الحفيظ شلبي .

ان كتاب الشفا للقاضي عياض يمثل علامة بارزة في تاريخـــه الثقافي وفي حياة صاحبه ، اذ أرتأيت في البحث والتقصي عن تاريخ تأليفه لاختلاف المصادر في تحديده ، لذا وجدت في هذه الفقرة من الكتاب نفسه (والقرآن العزيز الباهرة اياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة وثمان وثلاثين (٥٣٨ هـ) لاول نزوله الى وقتنا هذا حجة باهرة) [١].

ويمكن ان نستنتج من خلال كتاب الخفاجي ان القاضي عياض كـــان يكتب الشفا سنة (٥٣٥ هـ) [٢]. كما اوضح اهميته طاش كبرى زادة قائلا ((وهو كتاب نفيس لم يؤلف مثله في بابه)) [٣]. ولكن اهم من اشاد بذكره ووصفه التجيبي قائلا ((سمعت جميعه كاملا بمدينة سبتة في مجالس كلهـــا في شهر صفر سنة (٦٩٠ هـ/١٢٩١م) [٤].

---

(١) الشفا للقاضي عياض - ٢٧٦/١ ، ديوان الجهام - ص ٢٤٠ ، نفاضة الجراب - ٣٢٨/٢.

(٢) نسيم الرياض في اخبار القاضي عياض - ٣٢٥/٢ ، المقرى - ازهـــار الرياض - ١٤/٣ .

(٣) واضاف لقوله ((سمعت من المشايخ ان الاشتغال بكتابه الشفافـــي ايام الوباء نافع مفيد))
مفتاح السعادة ومصباح السيادة - مراجعة وتحقيق كامل كامل بكـرى وعبدالوهاب ابو النور - القاهرة - ج ٢ - /ص ١٤٩ ، العامرى - بهجة المحافل - م٢٢١/١.

(٤) برنامج التجيبي - (تونس - ١٩٨١م) - ص ١٢٧ ، الدلجي - الفلاكـة والمفلوكون - (مصر - ١٣٢٢هـ/١٩٠٤ م) - ص ٦١ ، العمرى - مهذب الروضة الفيحاء في تواريخ النساء - (بغداد - ١٩٦٦م) - ص ٨٤ ، احمد السباغي - الروض النضيـر - ط ٢ - (الطائف - ١٩٦٨ م) - ٥٢١/١ ، ابن خلدون - التعريف بابـن خلدون - (بيروت - ١٩٧٩م) - ص ٢٣ ، التراتيب الادارية - ٤٨/١ ، حسين خوجة - ذيل بشائر اهل الايمان - تحقيق الطاهر المعمـوري - تونس - ص ٢٥٥ .

لقد اشتهر الكتاب من حياة مؤلفه ، فأقبل الدارسون على روايته ، وسمعه على مصنفه كثرة من اعلام الغرب الاسلامي ، وهو يجسم الدور البارز للصلات العلمية الوثيقة والنضج الثقافي للمغرب في بلده سبتة وما جاورها من الاندلس والمغربين الى ما وراء ذلك من البلاد المشرقية .

كما وصفه الخفاجي نقلا عن ديوان المقرئ اليمني الشافعي(١).

ونظرا لاهميته العلمية اشاد بقيمته من بين المصنفات المؤرخ الكبير لسان الدين بن الخطيب بقوله :

أزاهير رياض	ام شفا لعياض
دار ابي الفضل عياض	التي اضحت بريا تفوح

وقال ايضا :ـ

كفاك اعجازا كتاب الشفا	والصبح لا ينكر عند الوضوح
وحلة من طيب الورى	في الجيب والاعطاف منها نضوح(٢)

---

(١) ما بالكتاب هوان لكن الهون   امسى بمن امسى به مكتوبا
نسيم الرياض ـ ١/٢/١ ، المحبي ـ خلاصة الاثر ـ بيروت ـ ص ١٨٥ ، الوادي اشي ـ برنامج الوادي أشي ـ تحقيق محمد محفوظ ـ بيروت ـ ص ٢١٥ ، ورقات عن الحضارة المغربية ـ ص ٢٢٥ ، مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية ـ شفا عياض ـ العدد ٩ـ ١٩٨٧م ـ ص٤٣٥.

(٢) فهرست الرصاع ـ ص ١٠١ ، اضواء على آراء المستشرقين ـ ص ١٨٦ ، وقيل عنه انه قابل به كتاب الشفا لابن سينا ، وقد اسند القاضي عياض في كتاب الشفا سبعة وسبعين حديثا بأسانيده الخاصة عن خمسة وعشرين من مشيخته ، وكان اول حديث اسنده فيه حديث ابي هريرة عن النبي (ص) ((من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة)). نسيم الرياض ـ المصدر نفسه ـ نفس الصفحة .

الشفا واهميته التاريخيـــــة

فضلا عما ذكرناه سابقا عن كتاب الشفا والعلمية فقد اكثر المؤرخون من مختصراته وشروحه منها: مختصر بعنـــوان (لباب الشفا)[(١)]، (مناهل الصفا) [(٢)]. كما اشار الى قيمته من خـــلال شروحه عباس القمي بقوله (اعلم ان الشفا كتاب اعتنى به المحدثون والعلماء وشرحوه شروحا كثيرة وممن شرحه نور الدين علي ابن سلطان محمد الهـــروى المعروف بملا علي القارى [(٣)]، كذلك مناهل الصفا في تخريج احاديث الشفا [(٤)] الى جانب هؤلاء ذكر المدني شروحات اخرى منها شرح السبكي [(٥)] ومن الـــف في شرح الشفا ابن ابي المعالي التميمي الفقيه المفتي [(٦)].

---

(١) لمحمد بن الحسن بن محمد المالقي (ت ٧٧١هـ/١٣٦٣م) – تاريخ الادب العربي – ٦/ص ٢٧٣.

(٢) للسيوطي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) – المصدر نفسه (ذكرها بروكلمان بأجمعها)

(٣) (ت سنة ١٠١٤هـ /١٦٠٥م) – المدارك – ١/ص ٢٤ ، علي القارى – هامش نسيم الرياض – ١/ص ٣-٥ ، ذيل بسائر اهل الايمان – ص ٢٥٥ ، الكنى والالقاب – ٣/٢ص ٤٣.

(٤) للسيوطي (طبع بالاستانة سنة ١٢٩٠، وبالمطبعة العثمانية سنة ١٣١٢ في جزأين ، وبفاس سنة (١٣٠٥و ١٣١٣هـ) .

(٥) الخيـــــارى المدنـــــي – تحفة الادباء – تحقيق رجاء السامرائي – (الاعلام –١٩٦٩م) – ٢/ص ٥٦ ، خلاصة الاثر ١/ص ١٨٥، فضلا عن هؤلاء هناك شـرح الشمني القاهرى (ت ٨٧٢هـ /١٤٦٧م) وشرح محمد بن الشريف الحسني التلمساني.
المدارك – ١/ص ٢٤ ، ابن دقيق العيد – ذيل حاشية مزيل الخفاء عن الفاظ الشفاء – ص ٦٠١.

(٦) عبد السلام بن المطهر بن عبدالله بن محمد بن هبة الله بن سليمان ابن ابي عصرون ابو العباس وله قصيدة مطولة سماها بالزكية في مدح سير البرية (ص) ضمنها من المعجزات المناقـــب .
قلائد الجمان – ٢/ص ١٣٢ ، منية الراغبين – ص ٥٩٧ ، تحفة الاحباب – ص ١٦٤ ، مجلة المناهل – د – محمد بن شقرون – بحث بعنوان – من مظاهر وحدة الثقافة بين دول المغرب العربي الخطيب ابن مرزوق – العدد الاول – السنة الاولى – (١٣٩٤هـ /١٩٧٤م) – ص ٤٢٩.

ونرد القول ان حياة القاضي عياض قضاها بين التأليف والتدريس الى اواخر حياته ، على الرغم من توليته اعباء منصب القضاء وظيفة ادارية في بلده سبتة وغرناطة والتي شغلت وقته ولكنه واصل التأليف والمتابعة حتى في احلك الظروف .

نستنتج من خلال قائمة المؤلفات العلمية التي وردت في كتاب المدارك انها تؤكد ان القاضي عياض كان ذا ثقافة موسوعية ، فهو فقيه ومحدث ومتكلم واديب ..... الخ ، ومن الخطأ القول بأن الفقيه المرابطي كان نشاطه محصورا في مجال الفقه بل ان ثقافة عياض تمثل اصدق تمثيل ثقافة العصر المرابطي .

اقوال العلماء في منزلته العلمية :

اشاد في وصفه تلميذه بشكوال قائلا (كان القاضي عياض من اهل التفنن في العلم والذكاء واليقظة والفهم)(١) . كما ذكره ابن الابار بقوله (كان لا يدرك شأوه ولا يبلغ مداه في العناية بصناعة الحديث وتقييد الاثار وخدمة العلم مع حسن التفنن والتصرف الكامل في فهم معانيه فضلا عن اضطلاعه بالادب ومهارته بالفقه ، وعلى العموم فكان جمال العصر ومعجز الافق وينبوع المعرفة ومعدن الافادة وأذا عدت رجالات المغرب فضلا عن الاندلس حسن فيهم صدرا)(٢).

كما اثنى عليه الحافظ الذهبي بقوله (الحافظ عالم المغرب ، صنف التصانيف التي سارت بها الركبان)(٣). كذلك نوه الامين الصحراوي ابو عبدالله محمد نزيل مراكش في كتابه المجد الطارق والتالد الى منزلته ، كان مقام عياض مثل مقام البخاري والائمة الاربعة ، فهم حملة الشريعة وعلومهم التي يبثونها في صدور الرجال بالتلقين والتأليف)(٤) ، وأضاف

---

(١) المدارك - ٢٠/١ ، الصلة - ٤٣٠/٢ ، معجم السفر - ص ٧١ ، المقتضب - ص ٦٣ ، الاحاطة - ص ١٩١، ديوان الصهب والجهام - ص ٢٤٠ ، خريدة القصر - ٥٠٢/٣ .

(٢) المصدر نفسه ، المعجم - ص ٣٠١ ، ابن تيمية - قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة - ط ٤-(مصر ١٣٦٣ هـ/١٩٤٤(م) ص ٦٠.

(٣) تذكرة الحفاظ -٤/١٣٠٤، النهاية في غريب الحديث والاثر - ص ٢- وبهامشه الدر النثير - ص ٢٣٦ ، التراتيب الادارية - ٢٢/١، ٤٨ ، لزيادة المعلومات راجع عنه:
عنان - عصر المرابطين والموحدين - ق ٦٤٥/١، انظر : سبتة دورها في اثراء الفكر الاسلامي - ص ٣٤ ، مجلة اوراق - العدد الرابع - ١٩٨٠ - (بدون صفحة) ، قسم الفهارس العربية - (فهرس مكتبة قولة -١٩٢٣م، - ق ١٣٤/٤،
انظر ايضا :-
Dozy-Spanish Islam a history of the Moslemin Spain - (London - 1913)-P-167.

(٤) المدارك -٢٠/١، الديباج -٤٦/٢، التبصرة والتذكرة -٢٥/٢

لقوله (انظروا الي عياض فلا تأليف معتبر من تواليف اهل الحديث ولأصحاب السير والفقهاء الا وجدته مشحونا بكلامه ....)(١).

كان قد اجمع على فضله في العلم علماء الفقه واكابر الصوفية واطنب في مدحه ابن العماد الحنبلي نحو قوله:(كان امام وقته في علوم شتى مفرطا في الذكاء)(٢). ومن علماء عصره ابن صعد اشاد في وصفه في كتابه النجم الثاقب (كان عمدة اولياء الله في البلاد المغربية)(٣). وبالجملة فأنه كان عديم النظير حسنة من حسنات الايام ، شديد التعصب للسنة والتمسك بها ، حتى امر بأحراق كتب الغزالي لامر توهمه منها(٤).

وفي رواية لليحصبي بعد ان ذكر نسبه قال (انه كان حافظا علامة مفيدا للطلاب متفننا للعلوم كالحديث والفقه والنحو واللغة والاداب وايام العرب والمعاني والبيان والتواريخ والانساب)(٥). واشاد في علميته المقري نقلا عن الملاحي (كان القاضي عياض بحر علم وهضبة دين وحلم

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) المدارك - ١/ص ٢١ ، شذرات الذهب - ٤/ص ١٣٨.

(٣) المصدر نفسه - نفس الصفحة ، المؤنس - ص ١١٥ ، كتاب الكنى والالقاب - ٢/ ص ٤٣ .

(٤) المصدر نفسه ، لزيادة الفائدة راجع : النووي - تهذيب الاسماء واللغات - مصر - ق ١- ج ٢/ ص ٤٣ ، شذرات الذهب - ٤/ص ١٣٨ ، علي القاري - شارح كتاب الشفا - هامش (نسيم الرياض في اخبار القاضي عياض) - ١/ص ٢ - ٥

(٥) المصدر نفسه - ١/ص ٢٢ ، الروض الباسم - ١/ص ٤١٨ .

، احكم قراءة كتاب الله تعالى بالسبع ، وبلغ من معرفته الطول والعرض ، وبرز في علم الحديث وحمل راية الرأى ، ورأس في الاصول ، وحفظ اسماء الرجال ، وثقب في علم النحو وقيد اللغة ، وأشرف على مذاهب الفقهاء ، وانحاء العلماء واغراض الادباء)(١).

ولعل افضل ما كتب عنه قول الداودى (كان ابو الفضل اماما في الحديث وعلومه ، عالما بالتفسير وجميع علومه ، فقيها اصوليا ، عالما بالنحو واللغة وكلام العرب ، وأيامهم وأنسابهم ، بصيرا بالاحكام ، عاقدا للشروط ، حافظا لمذهب مالك ، شاعرا مجيدا ريانا في علم الادب خطيبا بليغا ، صبورا حليما ، جميل العشرة ، جوادا ، سمحا كثير الصدقة ، دؤوبا على العمل ، صلبا في الحق)(٢). ولعل مركزه الثقافي المرموق جعله يحتل المقام الاول في الوسط الاجتماعي المغربي اذ كان معظما بين الخاصة والعامة .

ومن الجدير بالاشارة الى ان اشادة العلماء من فقهاء وقضاة ومؤرخين بعلميته دليل على ان هؤلاء العلماء كانوا جميعا اما شيوخه او تلاميذه ومعاصريه وتربطهم روابط وصلات شخصية به . ولذلك كان علماء قرطبة يحتفون بالقاضي عياض ومنهم ابن حمدين اذ نقل ولده ابو عبدالله محمد عبارات بقوله (وحقي يا أبا الفضل ، ان كنت تركت بالمغرب مثلك)(٣) .

---

(١) أزهار الرياض – ٣/ص ٧ – ٨ ، نيل الابتهاج – ص ٩ ، للمزيد من المعلومات راجع :

مخطوط (انوار الافكار فيمن حل جزيرة الاندلس من الزهاد والابرار) . لاحمد بن عبد الرحمن بن محمد الخزرجي ابن الصقر (ت ٥٦٩ هـ) – برلين – تحت رقم – (٩٩٩٠٩٥) – (دون صفحة) .

(٢) طبقات المفسرين – ٢/ص ١٩ ، المؤنس – ص ١١٥ ، النبوغ الادبي – ص ٩٥ ، لزيادة المعلومات راجع مجلة معهد المخطوطات – م ٢٢ – ٢/ص ٢٢٠ .

(٣) المدارك المقدمة ، التعريف بالقاضي عياض – ص ١٠٦ .

شيوخه :

لعل اهم مصنفاته في معرفة شيوخه كتابه (الغنية) وهو بمثابة فهرسة لشيوخه في مختلف العلوم والمعارف اذ ترجم فيه لشيوخه من العلماء والفقهاء وممن كانت له وظائف ومناصب ادارية في الدولة وانه يصور الناحية الفكرية والعلمية خلال عصرى المرابطين والموحدين .

وضع منهجه في معجمه على النصوص الاتية ((وأسمي اشياخي الذين اخذت عنهم قراءة وسماعا من الاختصار والايجاز لحكم ما ادت اليه الحال... وذكرت اثناءذلك جّلة لقيتهم وذاكرتهم وجالستهم ولم أرو عنهم وسمعت منهم الا اليسير اما لقاطع قطع او لسبب منع او لانهم لم يكونوا اصحاب رواية واهل اتقان ودراية))(١)، وكان عرضه لشيوخه بحسب حروف المعجم مبتدئا باسم محمد ومنتهيا بحرف الياء الى جانب ذلك صرح في ذكر عدد لا يحصى من شيوخه تضمنها كتابه (الغنية) نحو قوله ((هذه مائة ترجمة ، وذكرناهم وحضرنا مجالس نظرهم من الفقهاء والرواة ممن لم تحمل عنهم الكتب ولا الحديث))(٢) .

يبدو واضحا انه ذكر خلاف ما ورد في اصل فهرسته اذ اشار الى مجموع شيوخه الذين ترجم لهم ثمانية وتسعين شيخا (٣) مما هو في فهرسته. وبعدها

---

(١) الغنية - ص ٨٠

(٢) واضاف ايضا : وقد اجريت من ذكرهم في كتاب معجم الشيوخ.
المدارك - ٤ /ص ٨١٧ ، الغنية - ص ٨٠ - ٨١.

(٣) الغنية - ص ٨١ .

يستطرد قائلا (لعل ترجمتي للشيخين الاخيرين والمكملة لمائة ترجمة قد ضاعتا من النسخ المتفرعة عن النسخة الاصلية الكاملة المحررة في عصر المؤلف بخطه او بأملاء منه).

في اغلب الظن انه عدّ تلميذه ابن بشكوال صاحب كتاب الصلة ضمن طبقة شيوخه لما كان بينهم من المراسلة والمكاتبة والمذاكرة وطبقته في عداد اقرانه كأبن الباذش وغيره وبه تكتمل المائة. ولعل طريقة القاضي عياض في ترجمته لشيوخه تعكس لنا صورة واضحة لحياتهم العلمية وان معظم مروياته يرويها عن قائليها مباشرة او عن طريق الاسناد ويرحم على بعضهم احيانا. كما ان تراجمه قد تطول او تقصر ويختمها في اغلب الاحيان بحديث نبوى او حكمة او بيت شعرى.

في ضوء هذا النمط فاني لم اجد بدا من الركون اليها او هي المادة المفيدة للتعرف على امور تتعلق باتجاهاتهم الثقافية والفكرية واهمية ادوارهم السياسية والاجتماعية من خلال العصر الذى عاشوه فضلا عن تتبع من اخذوا عنه من الشيوخ والعلماء وممن روى منهم من الطلبة فضلا عن النظر في تدوين قد يقصر او يطول باسماء مصنفاتهم وعناوين مؤلفاتهم، لذلك وردت في طليعة ما نفيد منه لغرض استكشاف الموارد التي استقى منها ثقافته الواسعة في علوم القرآن من تفسير وقراءات ، وفي علم الحديث والفقه ، وعلوم اللغة والادب وسائر العلوم الاخرى. كما وانها لا تخلو من الاقوال النقدية في الثناء والنقد لشيخه في بعض الاحيان .

وسيطول الحديث لو انني تتبعت عياضا في لقاءاته مع كل شيخ

قرطبة ولا سبيل الى حصرهم والالمام بهم وربما كانوا النخبة المميزة لعلماء عصره في المغرب والاندلس وهما من المراكز العلمية المرموقة في مضمار العلوم والاداب . لذا سنقتصر على قلة من هؤلاء الشيوخ ممن كان لهم الاثر البالغ في حياته منهم .

شيوخه في تفسير القرآن وعلومه

١. احمد بن محمد بن غلبون الخولاني المعروف بأبن الحصار (ت ٥٠٨ هـ/ ١١١٤م) (١) . لقيه باشبيلية واجازه جميع رواياته وناول بعضها ، ومنها جميع روايات وتأليف ابي عمرو الداني رأس مدرسة القراءفي النصف الاول من القرن الخامس بالاندلس (٢) .

٢. خلف بن ابراهيم بن خلف بن سعيد (ت ٥١١ هـ/١١١٧م) (زعيم المقرئين بقرطبة)(٣) واليه كانت الرحلة في علم في وقته)(٤) وأشار القاضي عياض أنه حدثه بتفسير النقاش المسمى (شفا الصدور)، وناوله كتاب (طبقات القراء) لابي عمرو الداني المقرى)(٥).

٣. ابو علي الصدفي (ت ٥١٤ هـ /١١٢٠م) ، اورد القاضي عياض قائمة بمسموعاته عليه، وفيها كتاب (الناسخ والمنسوخ) لهبة الله بن سلامة البغدادى حدثه به عن الشيخ ابي محمد التميمي الحنبلي عن مؤلفه (٦)

---

(١) المدارك ـ ١/ص ١٩

(٢) الغنية ـ ص ١٧٣ ، انظر : مخطوط الدر المنظم في المولد المعظم لابي القاسم العزفي السبتي ـ مخطوط مكتبة الاسكوريال بمدريد ـ يحمل رقم (1741) عن دلبل ميخائيل الغزيرى اللبناني ـ الورقة ـ ص ب 2 ـ ب 24 .

(٣) الغنية ـ ص ٢٠٩ (٤) المصدر نفسه ـ ص ٢١٠ (٥) المصدر نفسه ـ نفس الصفحة . (٦) المصدر نفسه ـ ص ١٩٦.

ولا شك فيه ان القاضي عياض انتفع بما كان عند شيخه هذا من مروياته عن اساتذته الذين اشتغلوا بالتفسير .

٤. عبدالرحمن بن محمد بن عتاب (ت ٥٢٠ هـ/١١٢٦م) .

كان قد قرأ القرآن بالسبع مقارئ على ابي محمد بن شعيب وجوده واقرأه مدة)(١) وعليه قرأ عياض كتاب (الناسخ والمنسوخ) لابي محمد مكي المقرئ ، كما حدثه بتواليف ابن ابي زمنين ومنها على ما هو معروف تفسيره ومختصره لتفسير ابن سلام(٢).

٥. علي بن احمد بن خلف الانصارى المعروف بابن البيذش (ت ٥٢٨ هـ/١١٣٣م).

قرأ القرآن والنحو على جماعة من ائمة هذا الشأن)(٣) وسمع عياض عنه وكان يقرأ على المقرئين ما فاته من روايات (٤) وهذا ما يؤكد لنا بانتفاع عياض به في هذه العلوم وافادته منه .

٦. عيسى بن محمد بن عبدالله بن عيسى بن مؤمل الزهرى (ت ٥٣٠ هـ /١١٣٥م).

لقبه عياض بسبتة مرات ، واخبره بكتاب (الموقف والابتداء) لابن النحاس ، وبكتابه الاخر المسمى (معاني القرآن) سماعا منه الا ما فاته منه (٥).

---

(١) المصدر نفسه – ص ٢٢٣ ، المراكشي – الذيل والتكملة – تحقيق د– احسان عباس – السفر الخامس – ق١ – (بيروت – ١٩٦٥ م) – ص ١٦٦

(٢) المصدر نفسه – نفس الصفحة .

(٣) الداودى – طبقات المفسرين – ١/ص ٢٢٥

(٤) المصدر نفسه – ٢/ص ١٦١

(٥) الغنية – ص ٢٤٩

٠٧ ابو الحسن شريح بن محمد بن شـريح (٤٥١ - ٥٣٩هـ/١٠٥٩ -١١٤٤م)

شيخ المقرئين المتصدرين في وقته (١) المقرى المشهور في اقطار الارض شرقا وغربا (رئيس العربية والاقراء وكان والده ابوعبدالله احد ايمة المقرئين ايضا في وقته (٢) له من التصانيف البديعة في القرآن واليه كانت الرحلة وقد خلفه ابنه ابو الحسن في ذلك تفاخر الناس بالاخذ عنه ورحلوا اليه واعتمدوا في علو الرواية مسافة (٣) اخذ القراءات عن ابيه ابي عبدالله وخاله ابي عبدالله احمد بن محمد الخولاني واجازه الامام اللغوى ابن سراج والحافظ ابو على الغساني وحدث عنه بالاجازة ابو الطاهر السلفي وروى عنه الجماهير طبقات وأهل الاندلس يكاد قاطبة (٤) كتب للقاضي عياض بأجازة جميع مروياته وتصانيفه (٥).

٠٨ القاضي ابو بكر محمدبن عبدالله العافرى المعروف بابن العربي (ت ٥٤٣ هـ/١١٤٨م) .

وهو احد اعلام الاندلسين الذين تألف باسمائهم تاريخ التفسير في الاندلس خلال النصف الاول من القرن السادس الهجرى ، ومع ان القاضي عياض لا يذكر فيما ذكر من الكتب التي حدثه بها ابن العربي وقراه عليه سواء في سبتة او في اشبيلية وقرطبة مؤنفاته حول القرآن ، الا انه ليس من المستبعد ان يكون عياض انتفع بها خصوصا وانه يشهد بما في مؤلفات

---

(١) المصدر نفسه - ص ٧٣ ، ابن الجزرى - غاية النهاية في طبقات القراء - (مصر - ١٩٣٣م) - ١/ص ٣٢٤ ، افادة النصيح - ص ٨٥.
(٢) المصدر نفسه ، العبر في خير من غير - ٤/ص ١٠٧
(٣) المصدر نفسه - نفس الصفحة
(٤) المصدر نفسه
(٥) المصدر نفسه ، الذهبي - معرفة القراء الكبار - القاهرة - ١٩٦٧م) - ١/ص ٣٩٦.

ابن العربي من ملاحة وحسن فائدة وهذا دليل على أنه اطلع عليها نحو قول (وصنف في غير فن تصانيف مليحة كثيرة ، حسنة مفيدة) (١) .

٥٩ محمد بن عقال السرقسطي (لم تدون سنة وفاته)

وصفه القاضي عياض بالمقرئ . (٢) مما يدل على حذقه للقراءات وبراعته فيها ، ويذكر انه جالسه كثيرا وحدثه بكتاب (تنبيه الغافلين) لابي الليث نصر بن محمد السمرقندي المفسر (٣) .

---

(١) وله في المكتبة القرآنية (احكام القرآن) . (قانون التأويل وناسخ القرآن ومنسوخه ـ الغنية ـ ص ١٣٥ .

(٢) المصدر نفسه ـ ص ١٥٩

(٣) المصدر نفسه ـ نفس الصفحة

شيوخه في الحديث والفقه :

١. ابو علي الحسن بن علي بن طريف النحوى التاهرتي (ت٥٠١ هـ/١١٠٧م) .

كان له سماع ورواية من الفقيه مروان بن عبدالملك والقاضي ابن سهل وسمع من شيخ القاضي عياض ابو علي الصدفي وابي عبدالله ابن عيسى وغيرهما (١).

روى عنه القاضي عياض بقوله (قرأت عليه كتاب (علوم الحديث) للحاكم ابي عبدالله النيسابورى ، وكان قد حدثه بكتاب (مشكل الحديث) لابي بكر بن فورك (٢).

٢. ابو عبدالله محمد بن حمدين التغلبي (٤٣٩-٥٠٨ هـ/١٠٤٧-١١١٤م) .

كان قد تفقه بأبيه وسمع منه كما سمع من ابي عبدالله بن عتاب واجازه ابن عبدالبر والدلائي (٣) التقى به القاضي عياض في قرطبة وجالسه كثيرا وسمع عليه الموطأ ورواية يحيى بن يحيى الليثي (٤) ومن جملة ما اخذ عنه ردوده على احياء الغزالي.

٣. ابو الاصبغ بن حزموت القرطبي (٤٤٤-٥٠٨ هـ/١٠٥٢-١١١٤م)

القرطبي الاصل ، الاستاذ النابه في علوم الفقه (٥) وصفه القاضي عياض (كان فقيها مقدما في مشاورى بلده كثير الحفظ انتفع الناس كثيرا بعلمه وكان قد (التقى به في قرطبة ، كان التفقه غالبا عليه) (٦) .

---

(١) الغنية - ص٢٠٤ ، المعجم - ص٨١ ، بغية الوعاة - ١/ص٥١٣ ، أزهار الرياض - ٣/ص١٥٨.
(٢) المصدر نفسه - نفس الصفحة .
(٣) المصدر نفسه - ص١١٦ ، الذهبي - تذكرة الحفاظ - ٤/ ص ١٢٧١ ، الديباج - ١/ص٢٤٨.
(٤) المصدر نفسه - ص ٩٩
(٥) المصدر نفسه - ص ٢٣٧ و لم اقف على ترجمته في المصادر الاخرى .
(٦) المصدر نفسه - نفس الصفحة .

٤. احمد بن طاهر بن عيسى الانصارى (٥٢٠ هـ /١١٢٦م).

من سكان مدينة دانية ، اتسع في الرواية والسماع والرحلة ، اخذ عن الجياني والصدفي واكثر من واحد من مشايخ الاندلس وافريقية كأبي عبدالله المازرى والحمراني[١].

غلب عليه علم الحديث وصنف منه تصانيف عدة منها كتاب (اطراف الموطأ) و (رجال مسلم) وكان القاضي عياض قد لقيه بسبتة وجالسه كثيرا وسمع منه[٢]

٥. ابو عبدالله محمد بن سعيد العكي القلعي (ت ٥٢٥ هـ /١١٣٠م).

من اهل العلم تفقه بأبي عبدالله الزكي ودرس الاصول وله سماع بالاندلس من ابي علي الجياني (صحب القاضي عياض كثيرا ودرس عليه اصول الفقه)[٣] .

٦. ابو عبدالله محمد بن احمد التجيبي (٤٥٨-٥٢٩ هـ/١٠٦٥ -١١٣٤م) [٤] .

ابن الحاج الفقيه قاضي الجماعة الشهيد كان من جلة الفقهاء وكبار العلماء[٥] تفقه بشيوخ بلده قرطبة ومنهم جعفر بن رزق وابو الحسن بن حمدين وقد سمع من الجياني وابن الطلاع [٦] تولى القضاء بقرطبة مرتين حمد فيها اثره[٧] ، وكلت اليه امور الاندلس من قبل امير المسلمين .

صنف بعض المصنفات منها كتاب في (نوازل الاحكام)[٨] وغيرها .

---

(١) الغنية – ص ١٨٥ ، الصلة – ١/ص ٧٦ ، الديباج – ١/ص ٢٠٢ ، الموسوعة المغربية لعبد العزيز بن عبدالله – (جامعة القرويين – ١٩٧٥م) – ص ١٨ .

(٢) المصدر نفسه – ص ١٣٢

(٣) المصدر نفسه – ص ١٣٢ ، الصفدى – الوفي بالوفيات – ط ٢ – (فيسبادن – ١٩٦١م) – ٣/ص ٣٣ ، الرعيني – برنامج الرعيني – تحقيق – ابراهيم شبوخ – (دمشق – ١٩٦٢م) – ص ١٦٦ ، خريدة القصر – ٣/ص ٢٩٦ ، ابن قنفذ – الوفيات – ص ٢٧٩ .

(٤) البيان المغرب – ٤/ص ٦١ ، المدارك – ١ /ص ١٨ .

(٥) الغنية – ص ١١٧ ، المعجم – ١٢٣ ز ، الديباج – ٣٠١

(٦) المصدر نفسه – نفس الصفحة . (٧) المصدر نفسه .

(٨) وصفه القاضي عياض قائلا ((وكان حسن الضبط كثير الرواية ، قتل يوم الجمعة وهو ساجد في الصلاة وقتلت العامة قاتله)). الغنية – المصدر نفسه – نفس الصفحة .

٠٧ ابو الوليد احمد بن رشد (٤٥٨ – ٥٢٩ هـ/ ١٠٦٥– ١١٣٤م) (١) .

زعيم الفقهاء في وقته باقطار الاندلس والمغرب كان بصيرا بالاصول والفروع تفقه بأبي جعفر بن زرق وسمع الجياني واليه كانت الرحلة للتفقه من اقطار الاندلس (٢) وجالسه كثيرا وسأله وسمع منه كتابه (اختصار المبسوطة) (٣) .

٠٨ ابو القاسم احمد بن محمد بن بقي بن مخلد القرطبي (٤٤٦ – ٥٣٢ هـ / ١٠٥٤– ١١٣٧م) .

الفقيه المحدث ، من اجل بيوت العلم بـ (قرطبة) سمع من ابيه وابي عبدالله بن منظور وتعلم الفقه عند ابن الطلاع واجازه الدلائي رواياته (٤) حدث القاضي عياض بمسند جده بقي بن مخلد ومصنفه (٥) وقرأت عليه سماعا كتاب (الاربعين حديثا) للاجرى وناولني كتاب (معجم رجال ابي ذر الهروى وحدثني به) (٦).

---

(١) المدارك – ١/ص ١٩

(٢) الغنية – ص ١٢٢

(٣) المصدر نفسه – نفس الصفحة

(٤) المصدر نفسه – ص ١٦٥

(٥) المصدر نفسه ، البغية – ص ١٦٦ ، العبر – ٤/ص ٨٧ ، المرقبة العليا – ص ١٠١ ، الديباج – ص ١٧٠ ، أزهار الرياض – / ص ١٥٧.

(٦) المصدر نفسه ، اختصار الاخبار فيمن كان بثغر سبتة من سني الاثار – الرباط – (١٣٨٩ هـ /١٩٦٩ م) – ص ٢٣ .

شيــوخــه فــي اللغــة والادب :

١. ابو عبد الملك مروان بن سمجون اللواتي (٤٢١ - ٤٩١ هـ/١٠٣٠-١٠٩٧م) زعيم المغرب وشيخه ، كان من اهل العلم والفقه والادب ، وله سماع عال من المصريين وجالس الفقيه عبدالحق بـ (صقلية)(١) وقد لقيه القاضي عياض بمدينة سبتة في اول طلبه للادب في بعض حياته اليها وحضر مجلسه وسأله مسائل من الادب فأجابه وسمع كلامه (٢)وسمع منه جماعة ممن ادركناه من شيوخنا وغيرهم .

٢. ابو الحسين يحيى بن محمد المعروف بـ (ابو الطراوة) (لا تذكر المصادر سنة وفاته) .

الاستاذ النحوى الاديب امام الادب وشيخ النحاة (٣) وكان القاضي عياض قد جالسه كثيرا كما يبدو من كلامه وحضر مجالسه في الادب واخبره بملح وفوائد كثيــرة (٤) ومما انشدني لنفسه (٥).

٣. ابو الحسين سراج بن عبدالملك بن سراج الاموى (ت ٥٠٨ هـ/١١٤م).

النحوى ابن النحوى من اهل قرطبة (٦) زعيم وقته وامام اهل طريقته اكثر في الاخذ والسماع عن شيوخه روى عن ابيه الحافظ ابي مروان والفقيه ابن عتــاب .

---

(١) الغنيــة - ص ٢٥٩

(٢) المصدر نفسه - نفس الصفحة .

(٣) المصدر نفسه - ص ٢٧٩ (لم اقف على ترجمته في المصادر الاخرى)

(٤) المصدر نفسه

(٥) وقائلة : تصبوا بالغواني وقد اضحى بمفرقك النهار

بغية الوعاة - ٢ / ص ٣٤١

(٦) المعجم - ص ٣١٥ ، أزهار الرياض - ٣/ص ١٦٠

نعتته اغلب المصادر نحو قول ابي الوليد بن خيرة كان كثير الحفظ لكتب الادب وخاصة كتاب ابي الفرج الاصبهاني (حل اليه القاضي عياض فسمع عليه غريب الحديث للخطابي وقرأت الدلائل لقاسم بن ثابت السرقسطي وسمع منه اشياء كثيرة واجازه جميع رواياته وروايات ابيه وجرت بينه وبين القاضي عياض مراسلات مستغربة نثرا ونظما) (١).

٤. ابو الحسن على بن عبد الرحمن التنوخي ابن الاخضر الاشبيلي (ت ٥١٤ هـ/١١٢٠م).

اللغوى الاديب الاصل من اهل اشبيلية ، اخذ عن ابي الحجاج والاعلم وعن ابي علي الغساني (٢) التقى بالقاضي عياض سنة (٤٩٨ هـ/١١٠٤م) باشبيلية واخبره بكتاب (شرح الاشعار الستة) واجازه جميع مؤلفاته من ذلك (شرح الحماسة)(٣) .

٥. ابو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي الضرير النحوى (ت٥٢٠ هـ/١١٢٦ م).

النحوى المتكلم وكان من نظار اهل السنة عارفا بالنحو والادب وله آثار علمية كثيرة ومشهورة (٤) وصفه القاضي عياض نحو قوله (سكن بلدنا واجازني ارجوزته الكبرى وجميع رواياته ومصنفاته وحدثني بكتاب (التجريد) للمرادى (٥) .

---

(١) الغنية - ص ٢٦٢.
(٢) الغنية - ص ٢٤٦ ، الصلة - ٢/ص ٤٣٣، الامير شكيب ارسلان - الحلل السندسية - (بيروت - ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م) - ٢/ص ١٣٨ .
(٣) المصدر نفسه - نفس الصفحة
(٤) المصدر نفسه - ص ٢٨٢
(٥) الصلة -٢/٦٨٢ ، البغية - ٤٩٢، أزهار الرياض - ١٦١/٣، الحلل السندسية -١٤١/٢.

٦. ابو محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي (٤٤٤- ٥٢١ هـ/١٠٥٢ - ١١٢٧م) .

من اهل بلنسية شيخ الادباءفي وقته امام عصره فيالنحو وعلوم اللغة(١) كانحجة ضابطا له من المصنفات الملاح التي اشتهر بها منها (ادب الكتاب ، و (شعر المعرى) واجازه جميع مصنفاته (٢) وفوق هذا كان شاعرا ومن شعره (٣) .

٧. ابو عبدالله النفزى المعروف بـ (ابن اخت غانم) (ت ٤٧٣-٥٢٥ هـ/ ١٠٨٠ - ١١٣٠م) .

الاديب الراوية من مدينة مالقة وسكن قرطبة اكثر الاخذ عن خاله ابي غانم بن وليد الاديب وله سماع من ابي الكبر (صاحب الاحباس) وابي العباس الدلائي(٤).

صنف من المؤلفات كتاب (تعليل القراءات العشر) وكتاب (شرح النيات) وكان القاضي عياض قد لقيه بقرطبة وقرأ عليه في منزله كتاب الكامل لابي العباس المبرد(٥) وقد سبق له ان اخذه عن غيره كما اخذ عنه ايضا كتاب (الامالي) لابي علي القالي.

---

(١) الغنية - ص ٢١٨ ، الصلة - ٢٨٧/١ ، البغية - ص ٣٢٤ ، فهرسة ابن عطية - ص ١٠٩، تاريخ الادب العربي - ١/ص ٥٤٧ .

(٢) المصدر نفسه - نفس الصفحة .

(٣) اخو العلم حي خالد بعد موته وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى يظن من الاحياء وهو عديم
المصدر نفسه ، الفيروز ابادى - البلغة في تاريخ ائمة اللغة - (دمشق - ١٩٧٢ م) - ص ١١٤ ، فهرس مخطوطات طنطا - ص ١٢٠.

(٤) الغنية - ص ١٣٠ ، الصلة - ٢/ص ٦٠٦ ، غاية النهاية - ص ١٤٨، فهرسة ابن عطية - ص ١٠٣ ، بغية الوعاة - ١/ص ١١٦.

(٥) المصدر نفسه

شيوخه في مختلف العلوم :

١. ابو علي الصدفي (ت ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م).

سرقسطي الاصل له رحلة الى المشرق(١) التقى بشيوخ افريقية بـ (المهدية ومصر) كالخلعي وابن مشرف حج ولقي اثناء الحج في مكة الطبري والطرطوشي وفي البصرة التقى بأبي يعلي المالكي والجرجاني وسمع بواسط وبغداد من اهل الحديث كأبي الحسن الطيوري وبخراسان من ابن شافور البلخي وفي بلاد الشام سمع من الشيخ المقدسي(٢).

من الواضح ان المصادر التي تحدثت عنه تكاد تكون متنوعة ما بين كتب مصنفة واخرى في التراجم والطبقات .

وكان القاضي عياض قد رحل اليه اذ سبق وان تعرف بهذا الشيخ الجليل فقد زار الصدفي سبتة مرتين(٣) الا ان عياضا كان صغيرا اثناءها فلم يأخذ عنه . وكان القاضي عياض قد اعتمده كثيرا اذ اخذ عنه في مختلف العلوم والمعارف منها كتاب مشتبه النسبة وكتاب المؤتلف والمختلف لعبد الغني بن سعيد الازدى القدسي (ت ٤٠٩ هـ /١٠١٨م) وكتاب الشهاب في المواعظ والاداب في علم الحديث للقضاعي المصرى (ت ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢م) واجاز القاضي عياض جميع مروياته(٤) . اخيرا يمكن القول ان فضله على الثقافة الاسلامية بالمغرب والاندلس امر لا يقبل الجدل والمناقشة .

---

(١) المدارك - ١/ص ١٨ - ١٩

(٢) الغنية - ص ١٩٣ ، الصلة - ١/ص ١٤٥ ، نسيم الرياض - ٣/ص ١٤٨ ، الوفا بأحوال المصطفى - ص ٤٤٠ ، الحلل السندسية - ٢/ص ١٤٢.

(٣) المصدر نفسه ، راجع عنه : مجلة معهد المخطوطات العربية - ١٩٧٣م - م١٩ - ص ٢٤ ، انظر ايضا :
Muslim Spain its history and Culture- P- 279

(٤) المدارك - ١/ص ١٨- ١٩ ، للاستفادة انظر: القاسم بن يوسف التجيبي - كتاب مستفاد الرحلة والاغتراب - تحقيق عبد الحفيظ منصور - تونس - ص ٧٥٧ .

٢. ابو بكر غالب بن عطية المحاربي (ت ٥١٨ هـ/١١٢٤م)

غرناطي الاصل وصفه القاضي عياض نحو قوله تفقه صغيرا على فقهاء بلده وسمع منهم كالفقيه أبن ابي الربيع (١) اجاد الشعر ونظمه وغلب عليه الادب في اشبيلية وتصدر ببلده غرناطة للتدريس والاسماع والتفسير واخذ عنه الناس كثيرا وانتفعوا بعلمه (٢).

مدحه المقرى نحو قوله (شيخ العلم وحامل لواءه .. الذى ما برح يتسنم كواهل المعارف وغواربها ويقيد شوارد المعاني وغرائبها (٣) فضلا عن ذلك حفظ علم الحديث فأحسن حفظه ودرس الادب فضلا عن ذلك كانت له رحلة مشرقية سنة (٤٦٩ هـ - ١٠٧٦م) التقى خلالها بالعديد من علماء المدن الشرقية ونوابغها . ان هذا لم يمنعه من تحصيل علومه ومعارفه من مدن مغربية واندلسية أخرى كأبي علي الغساني وأبي المطرف الشعبي وابي القاسم بن أبي الحضال وابي علي الصدفي ولكي يبلغ القاضي ابن عطية مكان الذروة بعلمه فيبدو وكما نعتته معظم المصادر الشيخ الامام المفسر العالم بالتفسير والاحكام والحديث والفقه (وهذه في جملتها من العلوم الدينية) فقد رحل اليه الناس من كل الاصقاع للاخذ عنه وترك جملة من المخلفات التراثية منها كتاب

---

(١) الغنية - ص ٢٥٣ ، الثعالبي - يتيمة الدهر - ط ٢ - (القاهرة ١٩٥٦م) - ٢/ص ٥٨ ، الحميدى - جذوة المقتبس - (مصر - ١٩٦٦م) - ص ٣٢٥ ، طبقات المفسرين للداودى - ١/ص ٢٦٠، ابن الزبير - صلة الصلة - القسم الاخير - (الرباط - ١٩٣٧م) - ص ٣ ، الكتيبة الكامنة - ص ٢٦٩ ، السيوطي - طبقات المفسرين - (طهران - ١٩٦٠م) - ص ١٦.

(٢) قلائد العقيان - ص ١٣٧، المقتضب - ص ٨٣ ، عنوان الدراية - ص ٢٤٢ ، فهرسة ابن عطية - ص ٤١، راجع عنه : القرطبي ومنهجه في التفسير ص ٤٢٩ ، الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن - ص ٩٧.

(٣) الغنية - ص ٢٥٣ ، المقتضب - ص ٨٣ ،

(المحرر الوجيز)(١) ولقيه عياض بسبتة وتكرر لقاؤه به مرات عديدة وفاوضه كثيرا وسمع من لفظه فوائد)(٢) واغلب الظن انه كان منها ما يتعلق بالتفسير والقراءات .

٣. الطرطوشي (٤٥١ - ٥٢٠ هـ/١٠٥٩- ١١٢٥م)

ابو بكر محمد بن الوليد بن محمد الطرطوشي (٣) الاندلسي الاديب فقيه الاندلس له رحلة الى بلاد الشام والتقى هناك بأبي بكر محمد المعافري الاندلسي وفي الاغلب انه قصد بيت المقدس لاجل الالتقاء بالغزالي ولكن دون جدوى بعدها انقطع الى التزهد والاخذ عن شيوخه وله رحلة الى بغداد ذلك فقد اخذ عن شيخه ابي محمد التميمي الحنبلي(٤).

له من المصنفات والرسائل الحسنة في شتى انواع العلوم والمعارف منها على سبيل التمثيل (سراج الملوك ، اصول الفقه ، تعليقه في مسائل الخلاف ، في برّ الوالدين ، رسالة في تحريم الغناء)(٥) وغيرها.
كتب الى القاضي عياض يجيزه جميع رواياته وتصانيفه (٦) .

---

(١) أزهار الرياض - ٣/ ص ١٦ ، نفح الطيب - ٣ /ص ٢٨١.
(٢) الغنية - ص ٢٥٣ ، مجلة المناهل - العدد الاول - السنة الاولى - ١٩٧٤م - ص ١٦١.
(٣) المدارك - ١/ص ١٩
(٤) الغنية - ص ١٣٠ ، المعجب - ص ٤٧ ، خريدة القصر - ٣/ص ٢٩٠، عنوان الدراية - ص ٣١٦ ، نفح الطيب - ٢٩٠/٢ ، أزهار الرياض -٣/ص ١٦٣ ، معجم مقيدات ابن خلكات - ص ٣٤٨ .
(٥) المصدر نفسه - ص ١٣١ ، افادة النصيح - ص ١٤
(٦) المصدر نفسه - ص ١٣٠ ، الحوادث والبدع - ص ٢٠

٤. محمد بن سليمان النفزي (ت ٥٢٥ هـ/١١٣٠م)

كان من مشاهير مدرسي الادب والنحو والحديث والغريب [١] في العقود الاخيرة من القرن الخامس والاول من السادس الهجرى ، قرأ عليه القاضي بعض تصانيف احمد بن عمار المهدوى في القراءات على سبيل التمثيل (الهداية) و (التحصيل) و (التفضيل) [٢] .

٥. الشيخ ابي عبدالله محمد بن عبدالله الاموى السبتي [٣].

وأخيرا نستنتج ان القاضي عياض تميز بمنهج خاص في ترجمة شيوخه اذ كان العلماء ينهجون الطريقتين في فهارسهم الاولى في ذكر شيوخهم والثانية في ذكر مروياتهم وقد اخذ القاضي عياض بالمنهجين معاً .

فضلا عن التأثر العلمي للقاضي عياض فقد تأثر بالقدر نفسه فتلك الاخلاق العلمية وتجمع المصادر على نعته بالعدل في الاحكام لا تأخذه في العدل لومة لائم [٤] كان شأنه شأن كثير من علماء المذهب المالكي كثير التقليد لامام دار الهجرة وذلك في حركاته وسكناته والمعروف عن مالك انه كان يلبس افخر الاثواب ويركب المراكب الفارهة وكان ذلك يكلف عياضا كثيرا لانه لم يكن ينال شيئا من الامراء وهذا ما أدى به الى ان يتلف اكثر ما ورثه عنه ابيه [٥] حتى انه مات وعليه دين نحو خمسمائة دينار وهذا دليل على نزاهته واخلاقه الحسنة .

---

(١) المصدر نفسه – ص ٢١٧ ، المعجم – ص ٢٢٠
(٢) المصدر نفسه ، الحلل السندسية – ٢/ص ١٤٨.
(٣) يبدو عليه انه محمد بن عبدالله بن عبد الرحمن الاموى الداني الاصل المعروف بالاشقر (ت ٥٥٩هـ) – المترجم في التكملة لكتاب الصلة – رقم الترجمة (١٣٦٥). اختصار الاخبار – هامش رقم (٣) – ص ٢٣.
انظر : الغنية للقاضي عياض – ص ٢٥٧.
(٤) المدارك – ١/ص ٢٠– ٢١
(٥) التعريف بالقاضي عياض ص ١١٣.

تلامذته والآخذون عنه :

كان القاضي عياض مقصدا لطلاب العلم يفد اليه الشعراء وطالبو العلم وكانت داره بمدينة سبتة قبلة لكل الوافدين على سبتة وقد وصفه اليحصبي صاحب بديعة البيان ((كان حافظا علامة مفيدا للطلاب متفننا للعلوم مثل الحديث والفقه والنحو واللغة والاداب والبيان وايام العرب والمعاني والانساب والتواريخ))(١) اذ كان اهل بلده قد سارعوا على اثر عودته من الاندلس فاجلسوه للمناظرة عليه في المدونة (٢) ، فأننا لا نستبعد ان يكون القاضي عياض قد اتخذ له منذ ذلك التاريخ مجلسا بجامع سبتة لتدريس العلوم والمعارف التي كان له اتقانها وضبطها بلقاء شيوخ العلم بالاندلس . واغلب الظن ان جلوسه لقراءة القرآن وتفسيره كان في مقدمة ما عني عياض بتلقينه للطلبة الذين كانوا يتحلقون حوله ويجلسون للاخذ عنه .

لعل اول تلامذته المقربين له والده محمد بن عياض ويكفينا ان نشير اليه فيما كتبه من تعريف بسيرة والده ، التي اضحت مرجع الذين ترجموا له فيما بعد ، ذكره ابن الابار قائلا ((ابو عبدالله محمد بن عياض بن موسى اليحصبي السبتي من اهل سبتة ، له سماع من ابيه

---

(١) المدارك - ١/ص٢٢ ، لزيادة الفائدة راجع عن تلامذته : مخطوط الدر المنظم في المولد المعظم - لابي القاسم العزفي السبتي - مخطوط مكتبة الاسكوريال بمدريد يحمل رقم (1741) عن دليل ميخائيل الغزيرى اللبناني - الورقة - ص ب 2 - صفحة ب و ب 11// .

(٢) التعريف بالقاضي عياض - ص ١٠ .

وابي بكر بن العربي وقد تولى قضاء مدينة دانية قبل سنة (٥٧٠ هـ /١١٧٤م) وكان جيد السيرة ، نزيها له مشاركة في الاداب والاخبار ، وتوفي سنة (٥٧٥ هـ / ١١٧٩م)[(١)].

درس الحديث على ابيه عياض (ت ٥٤٤ هـ)[(٢)] ثم درس مصنف النسائي[(٣)] على ابي بكر يحيى بن محمد بن رزق (ت ٥٦٠ هـ/١١٦٤م)[(٤)] ومن طلابه في مدينة سبتة ابنه عياض (ت ٦٣٠هـ)[(٥)]. وقال عنه المراكشي (دخل الاندلس فقرأ على ابن بشكوال كتاب الصلة)[(٦)] وبهذه الصورة برزت اهمية هذا العالم باعتماده على اهل الحديث وكتب الصحاح وتدريسه لعلم الحديث في مدينة سبتة .

كما ان من تلامذته المشهود لهم ابن

---

(١) ابن الابار - التكملة لكتاب الصلة - نشر عزت العطار (مطبعة السعادة - مصر - ١٩٥٥ م) ترجمة رقم (١٠٥٦ ، ابن دحية الكلبي - المطرب من اشعار اهل الاندلس والمغرب - تحقيق الاستاذ ابراهيم الابياري واخرون - (بيروت - ١٩٥٥م) - ص ٨٧ ، وفيات الاعيان - ٣/ص ٤٨٤ ، روضات الجنات - ٥/ص ٣٣٧ ، الاحاطة في اخبار غرناطة - ٢/ص ١٦٧ ، دليل مؤرخ المغرب - ص ١٨٦، راجع عنه : مجلة المورد - (العدد الاول - ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩م) - ص ٢٤ ،

(٢) الذيل والتكملة - ق ٨ - ١/ص ٣٤٤ ، الديباج - ٢/٢٦٦ ، تراجم اغلبية - ص ٤٩٤.

(٣) انه كتاب السنن للحافظ احمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ) ابو عبد الله - كتاب التعريف - المقدمة - ص ٨ .

(٤) ابن الابار - التكملة - ٢/ص٦٧٧

(٥) المصدر نفسه - نفس الصفحة

(٦) الذيل والتكملة - السفر الثامن - ق ٢/ص ٥٠٣

بشكوال (١) مؤلف كتاب الصلة الذى جعله ذيلا على تاريخ علماء الاندلس لابي الوليد بن الفرض، ذكر السمهودى ولادته في قرطبة سنة ٤٩٤ هـ ودرس فيها واصبح مؤرخا وقاضيا حيث ولي القضاء في بعض جهات اشبيلية (٢). وكان ابن بشكوال قد ذكر فضل القاضي عياض لتلامذته قائلا (بعد ان عهد للقاضي عياض توليه قضاء مدينة سبتة للمرة الثانية سنة ٥٣٩ هـ ، قصده كثير من طلبة العلم يأخذون عنه سواء عندما كان بالاندلس وعندما رجع الى سبتة (٣) اضف الى ذلك ان عياضا كثيرا ما يكاتب تلميذه ابن بشكوال مجيبا اياه على اسئلته ، والمعلوم ان ابن بشكوال اعتمد كثيرا على عياض فيما يخص طبقة الغرباء في كتابه الصلة .

اما عن وفاته فقد اجمعت المصادر كانت سنة ٥٧٨ هـ (٤) ، ويعّد من اعلام سبتة الذين اشتهروا بعلم الحديث .

---

(١) ابو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال الخزرجي الانصارى القرطبي. راجع كتابه الصلة - مقدمة الجزء الاول ، تذكرة الحفاظ - ٤/ص ١٢٨ ، الديباج - ٢/ص ٣٥٣، ذكر الكتاني ((له اكثر من خمسين مؤلفا منها كتاب (الغوامض والمبهمات) في اثني عشر جزءا اختصره ابو الخطاب بن واجب ورتبه ترتيبا عجيبا ، وكتاب ((الفوائد المنتخبة)) في عشرين جزءا وكتاب (المحاسن والفضائل) في احد وعشرين جزءا)). الرسالة المستطرفة - ص ٩٥.

(٢) رحلة التجاني - ص ٥٥ و ٧٩ ، المقتضب - ١/ص ٢١١ ، ابن قاضي شهبة - طبقات النحاة واللغويين - تحقيق د. محسن غياض - النجف - مطبعة النعمان - ١٩٧٤ م) - ص ٢٦ ، طبقات المفسرين - ٢/ص ٣٠٢ السمهودى - جواهر العقدين - تحقيق د. موسى بناى - (بغداد - ١٩٨٤م) - ق ١/ص ٢٢٨.

للمزيد انظر :

مخطوط الدر المنظم في المولد المعظم لابي القاسم الغرفي السبتي - اذ وردت في صفحة - (ب و ، ب) معلومات لمسائل فقهية لعبد الملك بن بشكوال الانصارى .

(٣) المدارك - ١/ص ١٩

(٤) الصلة -/المقدمة ، الديباج - ٢/ص ٣٥٣ ، الرسالة المستطرفة - ص ٩٥.

١ / ١٨م

١ / ١١م / ١٢م

ومن اشهر طلابه الاندلسين ابو جعفر احمد بن عبدالرحمن ابن مضاء اللخمي (ت ٥٦٩ هـ) [(١)] والرحالة الجغرافي المغربي الادريسي [(٢)] ولد ايام حكم المرابطين ودرس على علماء عصره ، امثال القاضي عياض قاضي سبتة ، ثم انتقل الى مدينة الاندلس لاتمام دراسته ، وكان ولوعا بالاسفار والاطلاع على احوال البلاد فطاف الاقطار الاسلامية والاوربية كالمغرب والاندلس ومصر والشام وبلاد اليونان والقسطنطينية وفرنسا وانكلترة [(٣)] ، وله كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الافاق) [(٤)]. ويشمل على وصف لسائر الاقطار المعروفة في ايامه .

كما واشارت المصادر الى احد تلامذته المعروف (ابن قرقول) [(٥)]

---

(١) المدارك - ١/ص ١٩!

(٢) ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن يحيى بن ميمون بن عمر بن عبدالله ابن علي بن ابي طالب الشريف الادريسي (ت ٥٤٨ هـ/١١٥٤م) .
الوافي بالوفيات - ط ٢ - ١/ص ١٦٣.

(٣) اعمال الاعلام - ق ٣/ص ١٢١ ، مجلة البينة - العدد - ٤ و ٦ - ص ٩٨ .

(٤) الوافي بالوفيات - ١/ص ١٦٣ ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر - ص ٢٢١ ، ٢٩٣ ، ابراهيم شوكة - جزيرة العرب في نزهة المشتاق - (ط ٢ - ١٣٩١ هـ / ١٩٧١م) - المجمع العلمي العراقي - ص ٣ .

(٥) ابراهيم بن يوسف الوهراني الحمزى (ت ٥٦٩ هـ).
طبقات المفسرين - ٢/ص ١٤٢ ، كشف الظنون - م ٢/ع ١٧١٥ ، وقال الكتاني (ان اسم قرقول (كعصفور)) - ص ١٥٧.

ومن اهم مصنفاته كتاب ((مطالع الانوار على صحاح الاثار)) ذكره الكتاني ((انه على امثال المشارق مختصرا له منها))[(١)] وكانت وفاته بمدينة فاس المغربية .

اما ابن عطية فقد انفرد بذكر أحد تلامذته وهو احمد ابن عبدالرحمن[(٢)]. فضلا عن هؤلاء التلاميذ فقد ترجم ابن الابار لاستاذه واحد تلامذة القاضي عياض المعروف بـ (الحصار)[(٣)] وهو من المشهود لهم بعلم القراءات في مدينة دانية اذ برع فيها وتبوأ رياستها في عصر الموحدين ولم يكن احد بدانية في صناعته بالضبط والتجويد والاتقان وكان يقصده الطلاب من كل صوب للاخذ عنه[(٤)]. وكذلك كان من تلامذته ابن القصير[(٥)] وقد

---

(١) وفيات الاعيان - ١/ص ٦٢ ، وذكره حاجي خليفة بأسم (مطالع الانوار على صحاح الاثار في فتح ما استغلق من كتاب الموطأ ومسلم والبخاري وايضاح مبهم) - كشف الظنون - م ١ - ص ١٧١٥. وقد اتفق الكتاني معه في الاشارة الى كتاب مطالع الانوار وهو مختصر لكتاب مشارق الانوار للقاضي عياض .
الرسالة المستطرفة - ص ٥٨ .

(٢) ابن اخي ابن وهب - فهرسة ابن عطية - ص ١١٠ ، انظر : صالح مطلوب - ص ٥٨.

(٣) احمد بن علي بن يحيى بن عون الله الانصاري (ت ٦٠٩هـ) .
التكملة لكتاب الصلة - ترجمة رقم (٢٦١) .

(٤) المصدر نفسه ، كما وصفه ابن الابار (انه كان اخر المقرئين بشرق الاندلس). للمزيد راجع عنه - القرطبي ومنهجه في التفسير - ص ٧١ ، عصر المرابطين والموحدين - ق ٢ /ص ٦٥٦.

(٥) ابو زيد عبدالرحمن بن القصير بن احمد بن محمد الازدي (ت ٥٧٦ هـ) كان فقيها مشاورا.
الديباج - ص ٤٧ ، نيل الابتهاج - ص ٩ ، أزهار الرياض - ٣/ص ١٩-٢٠.
ديوان ابن سهل - ص ٦٥ ، مجلة اوراق - العدد - ٤ - (دون صفحة) .



انتفع بالقاضي عياض كما انتفع به من العلماء من لا يحصى نظرا لحسن لقائه للمسائل وكثرة تحريره للنقول.

اما ابن العريف (١) فهو احد اصدقاء القاضي عياض وكان يلقب بغزال الاندلس . ذكره ابن خلكان بانه (كان بينه وبين القاضي عياض مراسلات حسنة ، وله مصنفات منها (مطالع الانوار) ، (محاسن المجالس) وله نظم ، كان صوفيا وشاعرا ذا عناية بالقراءات ، من كبار الصالحين والاولياء المتورعين وله المناقب المشهورة (٢). ومن تلامذته الاخرين ابن زرقون (٣) ، روى عن ابي الفضل عياض ، واختص به ، ولازمه كثيرا وسمع اباه وابا عمران بن ابي تليد، وابا القاسم بن الابرش ، كما اجاز له الخولاني وابن عتاب والباجي (٤) ولي قضاء شلب وسبتة فحمدت سيرته ونزاهته واثنى عليه علماء عصره لكونه (احد سروات الرجال ، حافظا للفقه) .

ولعل اهم ما تركه لنا من مصنفات كتاب (الانوار) جمع فيه بين المنتقى والاستذكار) وجمع ايضا بين الترفدى وسنن ابي داود السجستاني

---

(١) ابو العباس احمد بن محمد بن موسى بن عطا الله الصنهاجي الاندلسي (ت ٥٢٦ هـ بمراكش) الصلة – ٢/ص ٨٣ ، وفيات الاعيان – ١/ص ١٦٩ ، طبقات الاولياء – ط ١ – ص ٥٧٥.

(٢) ابن الابار – الحلة السيراء – تحقيق د. حسين مؤنس – ط ١ – الشركة العربية للطباعة – ١٩٦٣م) – ٢/ص ١٩٧ ، ابن قنفذ – انس الفقير وعز الحقير – نشر محمد الفاسي – (الرباط – ١٩٦٥ م) – ص ٨ ، هدية العارفين – ١/ص ٨٣ .

(٣) ابو عبدالله محمد بن سعيد بن احمد بن سعيد يعرف بـ (ابن زرقون الانصارى(ت ٥٨٦ هـ باشبيلية) . التكملة – ٢/ص ٥٤٠ ، المقتضب – ص ٧٦ و ١٧٢ ، الاحاطة – ص ٥١٣ ، ذكر ابن فرحون في الديباج لقب بـ (ابن زرقون لحمرة وجهه) – ٢/ص ٢٥٩.

(٤) الديباج – المصدر نفسه – ٢/ص ٢٥٩ ، راجع عنه : الحلل السندسية – ٢/ص ١٥٢ .

، كان الناس يرحلون اليه للسماع والاخذ منه)[١] . كما نلاحظ انفراد صاحب الروض القرطاس يذكر احد تلامذة عياض اذ كان يلقب بـ (البرنسي)[٢] تلميذا للقاضي عياض فضلا عن ذلك كان مؤرخا وله مصنف في تاريخ المغرب والاندلس عنوانه (المقتبس) .

---

(١) التكملة - ٢/ص ٥٤٠ ، ابن القاضي - جذوة الاقتباس - ٢/ص ٢٥٩ ؛ وصفه الحميرى ((أنه الزم القاضي عياض مدة مديدة واعواما عديدة)) - الروض المعطار - ص ٢٢٠ .

(٢) محمد بن حمدون البرنسي الذى عاش في النصف الاول من القرن السادس الهجرى .
ابن ابي زرع - الانيس المطرب بروض القرطاس - (الرباط - ١٩٧٢ م) - ص ١٩٤ ، للاستفادة راجع عنه : تاريخ المغرب العربي من الفتح حتى قيام دولة الاغالبة والرستميين - ص ٣١ م .

آراؤه في التصوف(١) :

نقلت لنا كتب التاريخ والتراجم والمناقب والفهارس والرحلات
جملة وافرة عن تاريخ الحركة الصوفية لانها تمثل جزءا من تاريخنا العام
الذى لا يشمل الجانب السياسي والاقتصادى والاجتماعي فقط بل يتجاوزه الى
الجانب الثقافي والروحي علما ان الحركة الصوفية في بلاد المغرب كان
لها اثرا كبيرا في جميع مجالات الحياة ، لذا نجد وصف اخبار الصوفية
وحياة الزهد والتقشف التي ظهرت في بلاد المغرب في وقت مبكر مبعثرة .

لقد تعايشت خلال عصر المرابطين تيارات ثقافية متعددة اهمها التيار
الفقهي والصوفي والتيار الكلامي ، وكان التيار الفقهي بطبيعة الحال ال
تيار ثقافي ، وذلك لان الدولة دولة الفقهاء، ولكن من الخطأ القول ان ال
المرابطي عصر الفقه والفقهاءفقط .

---

(١) اشتقاقه عند اهل الاشارات والمتنبئين عنه بالعبارات من الصف
والوفاء، واشتقاق من حيث الحقائق التي اوجبت في اللغة فأن
مشتق من احد اربعة اشياء من الصوفانة ، وهي بقلة وغباءقصيرة او
من صوفة وهي قبيلة كانت في الدهر الاول تجير الحاج وتخدم الكعبة
، او من صوفة القفا وهي الشعرات النابتة في متاخره ، او م
الصوف المعروف على ظهور الضأن ، وان اخذ من الصوف المعروف فهو
لاختيارهم لباس الصوف .
ابو نعيم الاصبهاني – حلية الاولياء – (مصر – ١٣٥١هـ /١٩٣٢م) –
ص ١٧–٢٠ ، التكملة لكتاب الصلة – ١/ص ٧٨ ، المعجم – ص ٢٢١ ،
المطرب – ص ١٨٧ ، أزهار الرياض – الجزء الاول (المقدمة) ، را
عنه :
الجرجاني – كتاب التعريفات – تونس – ص ٣٢ ، مجلة دعوة الحق –
الاستاذ حسن السائح – بحث بعنوان (خصائص المدرسة الحديثية ال
– العدد الثاني – السنة الثامنة – (الرباط – ١٣٨٤ هـ/١٩٦٤م) –
ص ٧٣ .

مما لا شك فيه ان اغلب كتب التاريخ المغربي لا تخلو من ذكر التصوف حتى انها تفوق احيانا ما تحويه المصنفات المشرقية لاثرها البالغ من الناحية السياسية .

أشار احد الباحثين ان اول مصدر مغربي ذكر الفكرة الصوفية هو كتاب المدارك للقاضي عياض اذ جمع فيه رقائق الوعاظ ومناهج العلماء والزهاد(١). ولعل اهم ما يمكن الاستفادة من هذا الكتاب من الناحية الصوفية ان فكرة التصوف تكاد تكون صفة عامة للعلماء كافة(٢).

لقد كان عياض صلة الوصل بين الفقهاء ورجال التصوف فهو معدود بين الفقهاء كما هو معدود في رجال التصوف ، وهذا ما جعله يقف موقفا وسطا فيما يخص حرق كتاب الاحياء

---

(١) التادلي - التشوف الى رجال التصوف - (الرباط - ١٩٥٨ م) - ص ٢٤ ، مجلة البينة - عبد العزيز بن عبدالله - الفكر الصوفي والانتحالية بالمغرب - العدد - ٤ - (الرباط - ١٩٦٢ م) - ص ٤٥- ٤٨ .

(٢) المصدر نفسه ، مجلة المؤرخ العربي - مقال السيد عبدالعزيز سالم - قرطبة في العصر الاسلامي - العدد ١٣ - (بغداد ١٩٨٠ م) - ص ٣٦) .

معطيات الحضارة المغربية - ١/ص ١٣٣ .

للغزالي (١) . كما عدّ كتاب (التشوق الى رجال التصوف) لابي يعقوب التادلي المعروف بـ (ابن الزيات) المصدر الثاني لدراسة الصوفية بعد المدارك (٢) على الرغم من اهماله لذكر القاضي عياض حتى ان بعض الدارسين قد عاب على التادلي ، في الوقت الذى ذكر فيه التادلي سبب عدم ذكره لعياض لكونه من علماء التصوف ، بينما هو اهتم بالمتصوفة (٣). غيران موقف القاضي عياض المعتدل ازاء الصوفية تعرض لتشويه من قبل بعض الفقهاء فيورد عبد الوهاب الشعراني الذى ترجم له في كتاب (لواقح الانوار في طبقات الاخيار) قائلا (وأحرقوا كتاب الاحياء بالاندلس ، ثم نصره الله عليهم وكتبوه بماء الذهب .... وكان من جملة من انكر على الغزالي وافتى بتحريق كتابه القاضي عياض فلما بلغ الغزالي ذلك دعا عليه ومات

---

(١) وهو من اجل الكتب واعظمها حتى قيل انه لو ذهبت كتب الاسلام وبقي الاحياء لاغنى عما ذهب وأول ما دخل الى المغرب انكروا فيه اشياء وصنفوا عليه (الاملاء في الرد على الاحياء).
الصفدى – الوافي بالوفيات – ط ٢ – ١/ص ٢٧٤ .
العلاقات الثقافية والادبية بين المغرب العربي والاندلس في عصر الموحدين – ص ٧٥ ، بروفنسال – الاسلام في المغرب والاندلس – ترجمة د. السيد عبد العزيز سالم والاستاذ محمد صلاح الدين حلمي – مراجعة د. لطفي عبد البديع – القاهرة – ١٩٥٦م) – ص ٢٥٣ ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – محمد الفاضل بن عاشور – الثقافة الاسلامية – المغرب – (العدد الاول – ١٩٦٩ م) – م ٤٤ – ج ٤ / ص ٧٤٧ .

(٢) بالنثيا – تاريخ الفكر الاندلسي – ط ١ (القاهرة – ١٩٥٥ م) – ص ٤١٧

(٣) التشوق الى رجال التصوف – ص ١٢٤ .

فجأة في الحمام يوم الدعاء عليه) (١).

بيد ان وفاة القاضي عياض سنة (٥٤٤ هـ/١١٤٩م) بعد اكثر من تسعة وثلاثين سنة من حرق كتاب الاحياء للغزالي(٢). ويبدو ان السبب الرئيس الذي دفع الفقهاء الى الافتاء باحراق كتاب الغزالي نظرا لنقده اللاذع لكثير من فقهاء العصر المرابطي وان بعض المصادر اشارت الى موقفه البغيض للمرابطين وهذا ما عكسه على القاضي عياض. كذلك وجدنا نصا اورده الذهبي نقلا عن معجم اصحاب الصدفي للقاضي عياض ذكر فيها ((والشيخ ابو حامد ذو الانباء الشنيعة والتصانيف العظيمة ، غلا في طريقة التصوف وتجرد لنصرة مذهبهم ، وصار داعية في ذلك وألف فيه تآليف مشهورة))(٣) .
ويطلعنا الاستاذ محمد ابن تاويت الطنجي على ما كان بين

---

(١) المدارك - ١/ص ٢٢ ، للتفصيل انظر :
مجلة الايمان - عدد خاص بالقاضي عياض - السنة الثامنة - العدد (٧٢ - ٨٠).
(جامعة الكويت - ١٣٩٨ هـ /١٩٧٨م) - ص ٦٥ ،
اعمال الملتقى الرابع الاسباني التونسي - بحث سعد عزاب بعنوان - (حول احراق المرابطين لاحياء الغزالي) - (مدريد - ١٩٨٣م) - ص ١٥٣.

(٢) المصدر نفسه - نفس الصفحة ، محضرات في تاريخ الادب العربي - ص ٦٣.

(٣) اسير اعلام النبلاء - (بيروت - ١٩٨٢م) - حـ ١٣٧/٢٠.
طبقات الشافعية الكبرى - م ٤/ص ١٠٤.

ابن العريف (١) المتصوف المعروف والقاضي عياض من اتصالات ومكاتبات (٢)

ويبدو ان آراء القاضي عياض في التصوف كانت معتدلة وربما توفيقية الى حد ما ، ولعلنا نسمع هذه الآراء من خلال اشعاره التي وردت في كتابه ومنها :

اليك بوت بذنبي فاغفر خطاي ربي

وامننت عليّ بلطف تجبر به صدع قلبي

فقد ركبت ذنوبا ... سودت منهن كتبي (٣)

---

(١) ابو العباس احمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي الاندلسي المريّ (ت ٥٣٦ هـ/١١٤١م) .
انظر ترجمته في : الصلة - ٢/ص ٨٣ - رقم الترجمة (١٧٦) ، وفيات الاعيان - ١/ص ١٦٨ . ويقال ان ابن العريف توفي بمدينة سبتة ، بعد ان اخلى سبيله امير المسلمين علي ابن يوسف بن تاشفين ، ويضيف الباحث لقوله : مع كون ابن العريف توفي بعيدا عنها ودفن بمراكش ومما لا شك فيه ان مثل هذا الادعاء دليل على تعلق اهل سبتة بهذا الصوفي ومهما يكن من أمر فأنه منذ ذلك التاريخ طبعت سبتة بطابعها المتصوف .

(٢) الصلة -٢/ص ٨٣ - رقم الترجمة (١٧٦)

(٣) تاريخ سبتة - ص ٦١ ، انظر : القاضي عياضا اديبا - ص ٢٣٦ .

لعل مدحه الرسول (ص) ورجاءه له تتوج بعطر صوفي اذ انشد قائلا :

ومما زادني طربا وتيها
وكدت باخمصي اطا الثريا
دخولي تحت قولك : يا عبادى
وأن صيرت احمد لي نبيا (١)

وله ايضا في هذه المناسبة :

اليك مددت الكف استمطر الفضلا
واستكشف البلوى واستعطف الطولا
هذا الشفيع الذى ترجى شفاعته
للمذنبين اذا ما اسودت النار (٢)

---

(١) الشفا - ٢/ص ٥٨

(٢) المصدر نفسه - ٢/ص ٥٨ ، انظر : تاريخ سبتة - ص ٦٢ ، للتفاصيل راجع :
مجلة الايمان - (العدد - ٧٢ - ٨٠ - ١٩٧٨) - ص ٨٣ - ١٠٧ .

آراؤه في الاعتزال[١] :

فضلا عن التيارات الفقهية والصوفية التي عرفها المغرب والاندلس خلال عصر المرابطين ، ظهر تيار فكرى اخر هو التيار الكلامي والى جانبه التيار الاشعرى فقد كانت مدينة سبتة المغربية مركزا فعالا للمتكلمين في بلاد المغرب ، ولعل أبرز هؤلاء المتكلمين يوسف بن موسى الكلبي ، كان من المشتغلين بعلم الكلام وله تصانيف مشهورة كما يقول القاضي عياض عنه (سكن سبتة فترة ، وقرأ عليه القاضي عياض ارجوزته الصغرى في الاعتقادات ، وحدثه بالكبرى[٢] كذلك عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الكتاجي ويعرف ب (ابن العجوز) من أهل سبتة ، ومن جلة فقهائها[٣] ، وأبو الحسن علي بن محمد الانصارى ، سكن سبتة مدة ، وكان له نظر في العلوم القديمة[٤] .

---

(١) عزل الشي ْيعزله عزلا ، وقوله تعالى ((انهم عن السمع لمعزولون)) واعتزل الشي تنحى عنه ، ويقال العزلة عبادة ، وقوم من القدرية يلقبون المعتزلة ، زعموا انهم اعتزلوا فئتي الضلالة عندهم ، يعنون اهل السنة والجماعة والخوارج الذين يستعرضون الناس قتلا .

ابن منظور – لسان العرب – اعاد بناءه على الحرف الاول من الكلمة يوسف خياط – (طبعة بيروت) – م٢ – / ص ٧٦٢ ، محمد محي الدين عبد الحميد – المختار من صحاح اللغة – (ط ٥ – القاهرة – ١٩٣٤م)– ص ٣٣٨ . كما ووصفها احد الباحثين قائلا (فرقة من المتكلمين ينفون القدر ويخالفون اهل السنة في بعض العقائد ، على رأسهم واصل بن عطاء الذى اعتزل بأصحابه حلقة الحسن البصرى)).

انظر : د– حسين يوسف موسى – الافصاح في فقه اللغة – (ط ٢ – القاهرة – ١٩٦٧م) – ح ٢ / ص ١٢٦٩.

(٢) المدارك – المقدمة

(٣) الغنية – ص ٢٣٠ ، المدارك – المقدمة (حرف ز)

(٤) المصدر نفسه – ص ٢٢٦.

وعبد الغالب ابو محمد السالمي ، المتكلم على مذهب اهل السنة من الاشعرية ، اخذ الناس عنه كثيرا بسبتة ، وصحبه القاضي عياض كثيرا، وذلك في اثناء اقامته بسبتة ، وناوله كثيرا من مجموعاته ، كان من المتكلمين على مذاهب اهل السنة من الاشاعرة (١) الى جانب هؤلاء ذكر القاضي عياض ابا القاسم عبد الرحمن بن محمد المعافرى ، من اهل سبتة لقي بمكة الامام الجويني ، ودرس هناك علم الكلام ، ودرس الاصول بسبتة طوال حياته وعليه اخذ (٢) من خلال ذلك يبدو لنا كان هناك تيار واضح لعلم الكلام والاعتزال في عصر ما قبل الموحدين (عصر المرابطين) . فضلا عن هؤلاء وصف بالاعتزال الوقشي(٣) ذكره عياض بقوله ((اتهم بالاعتزال والسف في القدر والقرآن فزهد))(٤) .

من المعروف ان علماء المغرب على غرار اخوانهم في المشرق، وجدوا من الاشعرية سلاحا قويا يواجهون به خصومهم ، وهذا ناتج عن الاتصالات بين المشرق والمغرب التي كانت مستمرة طوال فترة القرنين الخامس والسادس الهجريين اذ كان الشهير ، ابو بكر محمد بن عبدالله المعافرى المعروف بـ (ابن العربي) (ت ٥٤٣ هـ/١١٤٨م) من المشرق ، وهو محملا بكتب الغزالي وغيره من المتكلمين .

---

(١) الغنية - ص ٢٣٢
(٢) المصدر نفسه - ص ٢٢٦
(٣) ابو الوليد هشام بن احمد الاندلسي (ت ٤٨٩ هـ/١٠٩٥م) كان من اعلم الناس بالعربية واللغة والشعر والخطابة والحديث والفقه والاحكام والكلام ، وكان اديبا كاتبا شاعرا متوسعا في ضروب المعارف ، متحققا بالمنطق والهندسة ، صنف كتاب (نكت الكامل للمبرد وغيره) انظر:
ياقوت الحموى - معجم الادباء - نشر احمد فريد رفاعي بك - (دار المأمون - ١٩٣٧ م) - ص ١٠٤ ، د- طاهر احمد مكي - دراسة مصادر الادب - (ط ١ - القاهرة - ١٩٦٨ م) - ١ / ص ٢٠٣ .
(٤) الغنية - ص ٢٢٦ .

اختلف الكثير من المحـدثين والمعتزلة في تأويل القــرآن

والحديث(١) فالمعتزلة حملوه على المجاز لظنهـم ان الظاهـر لا يصـ

واهـل الحديث يتأولونـه لقطعهـم علـى انـه لا مانـع من صحـة الظاهـر

بالنظرالى قدرة اللـه تعالى وعلمه فأنه قادر على انطاق كل شـ

بالاجماع من المحدث والمعتزلي وقد ورد في القـرآن الكريـم (يا ايهـ

الناس علمنا منطق الطير)(٢) كذلك نسمع بتعرض القاضي عياض الى عدد مـ

القضايـا الكلاميـة منها رؤيـة اللـه ، وقد ذهب الى ان رؤيـة اللـه غـ

ممتنعة شرعـا . ولو كـان الامر كذلك لما سـأل موسى ربـه ان يـراه(٣

كما ان من القضايا الكلامية التي تعرض لها في كتابه الشفـا مسألة تتعلـ

بذات الله جاءفي شرحه لقوله تعالى ((ثم دنـا فتدلى فكان قاب قوسـ

او ادنى))(٤) . قال القاضي عياض (اعلم ان ما وقع من اضافة الدنـ

والقرب هنا من الله واليه فليـس بدنو مكـان ولا قـرب مـدى))(٥)

يمكننا القول ان القاضي عياض كان قد جمع بين التيارات الثـ

في ان واحـد، علـم الفقـه وعلم الكلام والتصـوف ونستدل على ذلك مـ

خلال كتابيـة الشفـا والغنيـة(٦) التي تثبت مدى صلته بعلم الكلام

قال فيه ابن تاويت الطنجي كما جاءفـي مقدمة كتابـه الصـ

---

(١) الروض الباسم - ١/ص٥٣ ، نسيم الرياض - ٢/ص٣٢٥.

(٢) السـورة - النمـل - الايـة (١٦)

(٣) قال تعالى ((واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جـ

سورة البقرة - الايـة ٥٥

(٤) السورة - النجم - الآيتين - ٨ و ٩

(٥) الروض الباسم - ١/ ص ٢٠٥

(٦) انظـر : النصوص في الكتابين المتعلقة بالتصوف وعلم الكلام

ا اغلب شعره وآرائـه .

ان مناقشاته العميقة لآراء المعتزلة والفرق الاعتقادية الاسلامية على اختلاف مذاهبها وللفلاسفة والصوفية والخوارج تطلع القارئ عن عياض الى معرفته الواسعة بالمذاهب (١).

مآثره ونوادر اخباره :

يكفينا التعرف لمآثره فيما قاله ولده ابو عبدالله محمد بن عياض من التعريف بسيرة والده، وهي التي اضحت مرجع الذين ترجموا له فيما بعد. المعروف عن عياض كان قد استكمل ثقافته القرآنية والحديثية والفقهية واللغوية، وهو امر نتصور معه استواء شخصية عياض العلمية ونضجها.

حكى ولده قائلا ((كان ابي من حفاظ كتاب الله، مع القراءة الحسنة، والنغمة العذبة، والصوت الجهير، وكان من ائمة الحديث في وقته، عاقدا للشروط بصيرا بالاحكام، كان بليغا خطيبا، حافظا للغة نبيل النادرة، حلو الدعابة، صبورا حليما، جميل العشرة، جوادا سمحا، كثير الصدقة، دؤوبا على العمل، صليبا في الحق، وبلغ في التفنن في العلوم ما هو مشهور، وفي العالم معلوم)) (٢) فضلا عن ذلك كان حسن العبارة، لطيف الاشارة، وتآليفه شاهد بذلك، وله في الفقه المالكي اليد الطولى، وعليه المعول في حل الفاظ (المدونة) (٣)

---

(١) المدارك _ طبعة الرباط _ المقدمة
(٢) أزهار الرياض _ ٣/ص ٧-٨
(٣) وهي اصل المذهب المرجح روايتها على غيرها، عند المغاربة، وبها مناظرتهم ومذاكرتهم من كتب سحنون التي نظر فيها فهذبها، وبوّبها، ودونها، والحق فيها من خلاف كبار اصحاب مالك ما اختار ذكره، وذيل ابوابها بالحديث والاثار، قال سحنون : عليكم بالمدونة فانها كلام رجل صالح،
المدارك _ ٢/ص ٤٧٢

وضبط مشكلاتها ، وتحرير رواياتها وتسمية رواتها ، وتحقيق ذلك انه جمع بين شرح المعاني وايضاحها ، وضبط الالفاظ ، وذكر من رواها من الحفاظ(١) ،

ان الاخبار عن مآثر وحكايات واقوال القاضي عياض كثيرة على الرغم من هيبته ووقاره ومكانته العلمية والادارية ، فأن ذلك لم يمنع من مصاحبة ابن خاقان ، وهذا دليل على سعة صدره ، وما كان يتضايق الا عند انتهاك حرمة من حرمات الله ، فعند ذلك يقيم الحد ولو تعلق الامر بأقرب الناس له ، وبخصوص هذا الامر يذكر لنا ابو عبدالله محمد بن عياض ان والده اضطره الشرع الى اقامة حد الخمر على صديقه الفتح بن خاقان ، وذلك ان الفتح قصد مجلسا من مجالس عياض ، فتنسم بعض الحاضرين منه رائحة الخمر فأعلم القاضي بذلك ، فأمر به ، فأستثبت في استنكاهه ، وحده جدا تاما(٢) ، واخيرا تأبى نفسه ليعبر عن مدى رقته لصاحبه ، فيبعث لابن خاقان بثمانية دنانير وعمامة ، استئناسا له وجبرا لخاطره(٣).

---

(١) أزهار الرياض - ٣/ص ٢١ ، للفائدة انظر : ما كتبه المستشرق الاسباني يونس بويخس عن القاضي عياض في كتابه مشاهير الجغرافية والتاريخ العرب - مدريد - ١٨٩٨ م.

(٢) التعريف بالقاضي عياض - ص ١١٢ .

(٣) المصدر نفسه ، كما وصفه ابن خاقان قائلا ((الفقيه الحافظ القاضي ابو الفضل عياض ، جاء على قدر ، وسبق الى نيل المعالي وابتدر ، واستيقظ لها والناس نيام ، وورد ماءها وهم حيام ، وتلا من المعارف ما اشكل ، واقدم على ما احجم سواه ولكل ، فتحلت به للعلوم نحور ، وتجلت له منها حور ، كأنهن الياقوت والمرجان ، لم يطمثهن انيس قبلهم ولا جان ، القت اليه الرئاسة اقاليدها وملكته طريفها وتليدها)

القلائد - ص ٢٥٥.

كما وصفه العماد الاصفهاني بقوله (كان كبير الشأن ، غزير البيان ، وأورد من نثره رقعة ذكر انه كتبها على يده تحية للرئيس ابي عبدالرحمن بن طاهر (١) ، وهي (عمادى أبا نصر .؟ مثنى الوزارة ووحيد العصر ، هل لك في منة تفوت الحصر، تحف محملا ، وتبلغ املا وتشكر قولا وعملا ، اذا بلغت الحضرة العلية مستلما ، ولقيت الطاهربن طاهر فخر الوزارة مسلما ، وحللت من فنائه الارحب حرما ، ولمست بمصافحته (كف) المجد يندى كرما ، وانسك شكرى بمشاعر تلك العوارف(٢) .

لعل أشهر مآثره التي انفرد بها ابن قيم الجوزية في علاج السحر الذى سحرته اليهودية قال: قال القاضي عياض ((والسحر مرض من الامراض وعارف من العلل ، يجوز عليه (ص) كأنواع الامراض ، مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته))(٣) ، الى جانب تلك الحكايات التي تمثلت بشخصية القاضي عياض هناك اسطورة تدخل في اطار الادب الشعبي ذكرها ابن القاضي المكناسي وربما يتعلق الامر بما يرويه بعض الطلبة عن احد مشايخهم في باب غيرة الزوجات لانقطاع أزواجهن للدرس والمطالعة ، حتى اشاروا للقاضي عياض أنه كان ينصرف كليا للقراءة الى حد ينسى فيه ليس

---

(١) الرئيس الاجل ابو عبدالرحمن محمد بن طاهر.
الخريدة – قسم شعراء المغرب والاندلس – ٣/ص ٣٩٩ ، وذكر محمد بن تاويت الطنجي (انها احدى رسائله الاخوانية التي كتبها القاضي عياض الى صديقه ابن خاقان) . الادب المغربي – ص ١٥٥

(٢) الخريدة – ٣/ص ٥٠٢ ، انظر : ادب المغاربة – ص ١٥٥

(٣) ابن قيم الجوزية – الطب النبوى -- تعليق عبدالغني عبد الخالق – (بيروت – ١٩٥٧م) – ص ٨٨ .

فقط واجباته البيتية ، ولكنه كان يهمل تموين من كان عليه ان يعوله ، وقد تضايقت زوجته من هذه الحال بفاس ... وحتى تعبر عن احتجاجها بشكل يحرك القاضي ويجعله يفكر في المائدة قبل ان يفكر في الكتاب ، حينما عاد القاضي من درسه داعبته روائح الجلود المنجرة حاسة شمه وكان يعتقد انها مائدة نزلت من السماء.... فسأل زوجته : ترى من اين أتاك اللحم ؟ ولكنها صدقته وهي تكشف الكسكاس عن المجلد الذى كان ينقطع اليه القاضي الامر الذى دفع به الى هجر زوجته وترك فاس معها الى مراكش (١).

كان القاضي عياض وقورا مهيبا ، ذا سمت حسن ، وهدى مستحسن، وقعت له دعابة ، كما تصدر احيانا من الفضلاء امثاله ، ومن دعابته ما حكاه ولده ، قال (قال بعض اصحابنا صنعت ابياتا تغزلت فيها ، والتفت الى ابيك ، ثم اجتمع بي فاستنشدني اياها ، و بعدها عزم عليّ ، فأنشدته :

ايا مكثرا ولم أت جفوة   وما أنا عن فعل الجفاء براضي

سأشكو الذى توليه من سوء عشرة   الى حكم الدنيا واعدل قاضي

ولا حكم بيني وبينك ارتضي   قضاياه في الدنيا سوى ابن عياض (٢)

---

(١) جذوة الاقتباس – ص ٢٨١، انظر : مجلة اوراق – بحث بعنوان – عياض في فاس – العدد – ٤ – (المعهد الاسباني العربي للثقافة – ١٩٨١م) – ص ١٦٥ .

(٢) أزهار الرياض – ٣/ص ٢٠.

وذكر ولده قائلا (نشأ ابي على عفة وصيانة ، مرض الحال ، محمود الاقوال والافعال ، موصوفا بالنبل والفهم والحذق ، طالبا للعلم ، حريصا عليه ، مجتهدا فيه ، معظما عند الاشياخ من اهل العلم ، كثير المجالسة لهم والاختلاف اليهم ، الى ان برع اهل زمانه ، وساد جملة اقرانه).

المصدر السابق – ٣/ص ٧-٨ .

ومن احاديثه في شرح مسلم قال القاضي عياض (من حدث عني حديثا يرى انه كذب فهو احد الكاذبين) (١) فضلا عن ذلك كانت له اقوال انفرد بها منها ((ان الملائكة معصومون من الصغائر والكبائر كالانبياء عليهم الصلاة والسلام))(٢). وفي فضل الصلاة قال القاضي عياض ، قال رسول الله (ص) (من صلى عليّ مرة صلى الله عليه بها عشرا، مضاعفة لاجر وزيادة المثوبة ان الله سبحانه يقول (من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ، نافلة من فضل الله وباحسانه جل شأنه)(٣) .

وردت معلومات في بداية مخطوط الدر المنظم لابي القاسم العزفي السبتي مستلة من القاضي عياض اذ تحدث فيها عن مسألة فقهية وهي عن حديث (كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) .

قال حدثنا ابي (ابو العباس العزفي) والد المؤلف ابي القاسم العزفي (رض) ونظر قال حدثني القاضيان الخطيبان الفقيه المحدث ابو الفضل عياض بن موسى اليحصبي والفقيه المشاور ابو علي الحسن بن سهل قال حدثنا الفقيه الراوية الحسيب ابو محمد عبدالله بن الشيخ الفقيه ابي بكر بن جعفر الخشني قال سمعته بمكة على الفقيه الزاهد ابي محمد عبد الغافر بن محمد)(٤) .

---

(١) السيوطي ـ تخدير الخواص ـ تحقيق محمد الصباغ ـ (المكتب الاسلامي ـ ١٩٧٢م)ـ ص ٧ .

(٢) محمود شكرى الالوسي ـ بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ـ شرح محمد بهجة الاثرى ـ (ط ٣ ـ مصر) ـ جـ ٢/ص ٣٤٩ .

(٣) سورة الانعام ـ الاية ـ ١٦٠ ، جمهرة الاولياء ـ ٢/ص ١١

(٤) مخطوط الدر المنظم في المولد المعظم ـ مخطوط مكتبة الاسكوريال بمدريد ـ (رقم 1741) ـ الورقة ص ب .

ومن اقواله في اباحة الرقص قال القاضي عياض (ان رقص اهل الحبشة في المسجد امام رسول الله (ص) فيه اقوى دليل على اباحة الرقص اذ زاد الرسول (ص) على اقرارهم ، حيث كانوا يرقصون ويقولون محمد عبد صالح) (١) .

وعلى الرغم من مآثره وفضائله وما اشاد العلماء فيه كان السخاوي قد انفرد في نقده للقاضي عياض فيما ورد عن الشافعي حيث قال في حسها قال القاضي عياض (ان الناس شنعوا على الشافعي ، فلا معنى له بأي شناعة في ذلك لانه لم يخالف قضاءً ولا اجماعا ولا قياسا ولا مصلحة راجحة بل القول بذلك من محاسنه) (٢) .

---

(١) التراتيب الادارية - ٢/ص ١٤٠ .

(٢) القول البديع - ص ١٩

نمــاذج مــن اشعــاره :

يبـدو ان أدب القاضي عياض وعلاقته بعصـره يعكس وبأصـدق صـورة عصـر المرابطين وشعـره الاسلامي والوجداني وخلال تلك الحقبة من عصـر المرابطين لم يكف هناك تيار أدبي واحد يمكن ان تنسب اليه ادب القاضـي عياض فهـذه (الذخيرة) تضم اروع مـا ظهر في عصـره ، لا نجـد لمـا تضمـه الا صلـة ضعيفة بأدب القاضي عياض .

وكمـا يظهر لنا من خلال اشعاره انه كان يستلهم اد ب المشـرق شعـراونثـرا ، وقد اهتم القاضي عياض بالادب العربي المشرقي اهتمامـا كبيرا ونراه واضحـا فيما اورده بخصوص الاندلسين في كتابه (ترتيب المدارك فهو قليل جدا ، واذا رجعنـا الى مروياته الادبية في (معجم شيوخـه) فأننا لا نجده يروى للاندلسين في باب الادب شيئا يذكر ، والمعروف عنـه انه اهتم بقراءة انواع الشعر العربي في مختلف العصور قبل الاسلام والعصـور الاسلاميـة كالعصرين الاموى والعباسـي .

وعلى الرغم من ان مروياته في القصيدة الشعرية تكاد تكون قصـيرة ، ويعزى السبب الى ضياعها او لكون عياض نفسه ما كان يوليها اهتمامـا بالغ الاثر كما ذكر ولده ابو عبدالله في كتابه التعريف قائلا (كان شعـره يعني شعر والده عياض) في شبيبته كثيرا ، لكني لم اجد منه بخطـه الا يسيرا)(١) . ويضيف ولده (واكثر ما عندى منه ، انما اخذته عن اصحابـه لانه لم يدونه ، ولا قيده ، ولا رأى ان يؤثر عنه ولا اعتقده)(٢). ومـن

---

(١) التعريف بالقاضي عياض ـ ص ١٠٣

(٢) انظر المصدر نفسه ـ نفس الصفحة .

نماذج شعره في علم مالك قال:

اصحاب خير الورى اخيار ملته	خير القرون نجوم الدهر والزمن
ومالك المرتضى لا شك افضلهم	امام دار العدى والوحي والسنن(١).

واضاف ايضا

وعالم الارض راب الذى حكمت	شهادة المصطفى بالفضل والمنن
ومن اليه بأقطار البلاد غدت	تقضي المطايا وتعبي يده البدن
وجاء ملحده وطفاءها طلة	تبقي لرحماه مثوى ذلك الحنن (٢)

ومن خلال تلك النصوص يتضح لنا ان والده كان يجمع الشعر ولم يكن يهتم بتنظيمه. وعلى الرغم مما ذكره ولده الا ان مثل هذه الاقوال لا تنطبق على القاضي عياض لانه كان يراسل اصدقاءه شعرا ، كما ان اغلب كتبه تحوى قصائد شعرية وله شعر كثير في كتاب الشفا الذى ضمنه تشوقه وحبه الشديد لزيارة قبر الرسول(ص) اذ كان يزداد تأججا كلما تقدم به العمر وقد صدته الدعوة الموحدية ، وله في ذلك ابيات منها :

يا دار خير المرسلين ومن به	هدى الانام وخص بالايات
عندى لاجلك لوعة وصبابة ...	وتشوق متوقد الجمرات
وعلى عهد ان ملأت محاجرى	من تلكم الجدران والعرصات
لولا العوادى والاعادى زرتها	ابدا ولو سحب على الوجنات (٣)

---

(١) المدارك - ١/ص ٢٥٣

(٢) المصدر نفسه

(٣) الشفا - ٢/ص ٥٥٨

كما واشار ولده الى انه كان يروم جمع شعر والده ، وما اجتمع له منه في ديوان (١) ، الا اننا لا نجد أثرا لهذا الديوان في المصادر وكتب التراجم التي تحدثت عن أدب القاضي عياض . وأكد ابن جابر الوادى اشي ، انه جمع ما صدرعن عياض واثبته في نسخته الاخيرة كتاب ((الشفا)) ولكننا لا نرى وجود لتلك النسخة من كتاب الشفا (٢).

ان اهم المصادر والمراجع التي اعتمدتها للتعرف على ادب صاحب المدارك وقصائده الشعرية كتاب ولده ابي عبدالله محمد المسمى (التعريف) (٣) . اما المصنف الثاني كتاب (قلائد العقيان) (٤) لابن خاقان ، ومن المؤكد ان اشهر كتب الادب التي تحدثت عن أدب القاضي وتضمنت اسه مقطوعات شعرية مثل كتاب ((أزهار الرياض في اخبار القاضي عياض) وكتاب (نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب) (٥) .

وله في زرع بينها شقائق هبت عليها الريح .

انظر الى الزرع وخاماته تحكى وقدماست امام الرياح

---

(١) التعريف بالقاضي عياض - ص ١٠١ ، انظر مبحث : آراؤه في التصوف في هذا الفصل .
(٢) برنامج الوادى اشي - ص ٢١٨
(٣) كتاب التعريف - ص ١٠٠
(٤) قلائد العقيان - ص ٢٥٥
(٥) المقرى - النفح - ٧/ص ٣٢٤

شقائق النعمان فيها جراح[1]

كتيبـــــة خضراء مهزومـــة

بعد ان رحل القاضي عياض الى مدينة قرطبة سنة ٥٠٧ هـ قادما من سبتة ، ساعيا وراء علوم اهلها ، ناهلا من معين اعلامها ، واذ خرج منها مرتحلا صوب (مرسية) مقتفيا أثر السلف من الشعراء في الحنين الى الديار وندبها وبعد مطلع حزين انشد :

اقول وقد جدّ ارتحالي وغردت ... حداتي وزمت للفراق ركائبي

وقد غمصت من كثرة الدمع مقلتي ... وصارت هواء من فؤادي ترائبي

رعى الله جيرانا بقرطبة العلى ... وسقى رباها بالمهاد السواكب

اخواننا بالله فيها تذكروا ... معاهد جار او مودة صاحب

غدوت بهم من برهم واحتفائهم ... كأني في اهلي وبين اقاربي[2]

---

(١) القلائد – ص ٢٥٦ ، خريدة القصر – ٣/ص ٥٠٣ ، المقتضب – ص ١٣٤ ، المطرب – ص ٨٧ ، طبقات المفسرين – ٢/ص ٢٢ ، الديباج – ٢/ص ٥٠ ، (رايات المبرزين – ص ١٠٨ ، ابن شاكر الكتبي – عيون التواريخ – تحقيق فيصل السامر – (بغداد – ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م) – ١٢/ص ٤٣٤ ، تاريخ الدولتين – ص ١٠ ، واضاف السيوطي في سنابل البر والشعير ما قاله القاضي عياض :

يا حبذا سنبلـــــة ... تبدو لعين مبصـــر

كأنها سلســـــلة ... مضفورة من عنبـــر

حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة –(مصر ١٢٩٩هـ/١٨٨١م)–٢/ص ٢٠٤

راجع عنه : معجم مقيدات ابن خلكان – تحقيق عبدالسلام محمد هارون ط١ – (القاهرة – ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) – ص ١١٢ ،

مجلة الايمان – الاستاذ عاطف فكري ابو عوض – بعض من شعره – السنة الثامنة – العدد (٧٢–٨٠) – ص ١١٩ – ١٢٨ ،

(٢) قلائد العقيان – ص ٢٥٧ ، خريدة القصر –٣/ص ٥٠٣/نفح الطيب –/ص ٥٨٢

يا راحلين وبالفؤاد تحملوا   ابرى لكم قبل الممات قفول

ما ضركم او ضنكم بتحيـة   يحيىّ بها عند الوداع قتيل(١)

وله ابيات من الشعر وهو في طريقه بـ(داى ، الى منفاه بمراكش فلم يجد غير حمامة تؤنسه وان موقفه هذا يذكرنا ذات يوم بالمعتمد بن عباد وهو يخاطب في منفاه حمامة ، فصار عياض يناجيها قائلا :

اقمرية الادواح بالله طارحي   أخا شجن بالنوح او بغناء

لعلك مثلي يا حمام فأنني   غريب بـ (داى) وقد بليت بداء

فكم من فلاة بين (داى) و(سبتة)   وخرق بعيد الخافقين قواء(٢)

---

(١) التعريف بالقاضي عياض – ص١٠١ .

(٢) المصدر نفسه – ص٩٨ ، انظر اشعاره في شوقه الى مدينة سبتة وهو في منفاه – نفس المصدر – نفس الصفحة ، انظر ايضا اشعاره في المطمح – ابن خاقان – القلائد – ص ٢٥٧ ، الاصبهاني – الخريدة – ٥٠٢/٣ ، ابن شاكر الكتبي – عيون التواريخ – ٤٣٤/١٢ ، وانظر ما قيل من اشعار في مدحه فخر الوزارة – الخريدة – ٥٠٢/٣ .

وله شعر كثير حسن رائق فمنه قوله :

يا من تحمل عني غير مكترث — لكنه للضنا والسقم اوصى بي

وما وجدت لذيذا لنوم بعدكم — الا جنى حنظل في الطعم اوصاب (١)

وله من ابيات شعرية :

ان البخيل بلحظه او لفظه — او عطفه او رفقه لبخيل (٢)

وكذلك تتردد في شعره احيانا كلمات الوداع ، والهجر واللقاء

ومن هذه الابيات قال :

يعز علينا تنائي الديار

وذاك سلامك لي والوداع

لئن حمل القلب ما لا يطاق

فما كلف الجفن لا يستطاع (٣)

ومما يدل على اهتمام القاضي عياض بعلوم القرآن والحديث ما قاله في العلم والحض عليه اذ قال في تقريظ الموطأ :

اذا ذكرت كتب العلوم فخيرها — كتاب الموطأ من تصانيف مالك

هو الحجة الغراء والعصمة التي — ينجي هداها من جميع المهالك (٤)

---

(١) الديباج -٢/ص٥

(٢) المصدر نفسه . نفس الصفحة

(٣) القلائد - ص ٢٣٥

(٤) المدارك - تحقيق محمد بن تاويت الطنجي - طبعة الرباط - ٢/ص ٧٨

ومن شعره في العلم ايضا :

العلم في اصليين لا يعدوهما الا المضل عن الطريق اللاحب

علم الكتاب وعلم الاثار التي قد اسندت عن تابع عن صاحب (١)

سبق وان اشرت الى انه كان يبغض التنقل والسفر بعيد عن بلده سبتة فما كان يطيب له مقام خارجها كعادة علماء عصره ، ولم تكن له رحلة الى المشرق لغرض العلم او للحج على الرغم من انه كان يتشوق لزيارة قبر الرسول (ص) ، ويظهر ان شوقه الى الروضة الشريفة كان يزيده تأججا كلما تقدم به العمر . ولعل الظروف الاجتماعية حالت دون سفره ، اليس هو القائل :

تقاعد عن الاسفار ان كنت طالبا
نجاة ففي الاسفار سبع عوائق

تشوق اخوان ، وفقد احبة
وأعظمها يا صاح - سكنى الفنادق

وكثرة ايحاش وقلة مؤنس
وتبذير اموال ، وخيفة سارق

فأن قيل في الاسفار كسب معيشة
وعلم وأدب ، وصحبة وامق

فقل: كان ذا دهرا تقادم عصره
وأعقبه دهر وهو شديد المضايق

---

(١) القاضي عياض - الالماع الى معرفة الرواية وتقييد السماع - تحقيق احمد الصقر - (القاهرة - ١٩٧٠ م) - ص ٤٣ .

فهذا مقالي والسلام كما بدا
وجرب ، ففي التجريب علم الحقائق (1)

وللشيخ عياض هذه الابيات :

اولياء الله اني مريض — والدواء لديكم والشفاء
فانظروا التي بفضلكم في علاجي — وامنحوني بفضلكم ما أشاء
كم اعنتم على الدوام مريضا — في فراش ، وقد كفاه النداء (٢)

---

(١) ابن المؤقت المراكشي – السعادة الابدية – المطبعة الحجرية بفاس – ص ١٧٩

(٢) وردت نقلا عن مجموع الخزانة العامة بالرباط – تحت رقم – 2328 صفحاتها دون ترقيم .

محنته ووفاته :

لا شك في ان للمحنة التي اصابته في اواخر حياته سنة (٥٤٣ هـ/١١٤٨م) بعد انصرافه عن منصب القضاء[١] تأثير في نفسه ، اذ توفي سنة اربع واربعين وخمسمائة (٥٤٤ هـ/١١٤٩ م).

تختلف بعض الروايات التي ذكرتها المصادر المتوفرة لدينا في تعيين سنة وفاته ومكانها وكيفية حصول الوفاة ولكن يبدو لنا من الروايات التي تشير الى سنة وفاته كانت ليلة الجمعة منتصف الليلة التاسعة من جمادى الاخرة عام اربعة واربعين وخمسمائة (٥٤٤ هـ/١١٤٩م)[٢] في حين يختلف ابن خلكان على شهر وفاته فيجعله في رمضان من السنة ذاتها[٣] . ولكن العماد الاصفهاني يذكر ان وفاته سنة ٥٤٣ هـ [٤].

اما بخصوص مكان الوفاة فلا شك فيه ان اغلب الروايات ذهبت الى ان وفاته بمدينة مراكش[٥] كما ان القليل منها تذكر

---

(١) المدارك – ٢٢٨/١ ، الانيس المطرب – ص ١٥٣.

(٢) ذكر ابن بشكوال قائلا ((كتب اليّ القاضي ابو الفضل بخطه يذكر انه ولد في منتصف شعبان سنة ٤٧٦ هـ وتوفي سنة ٥٤٤ هـ بمدينة مراكش مغربا عن وطنه)) . التعريف بالقاضي عياض – ص ١٣ ، المعجم – ص/٣٠١ ، الصلة – ٤٣٠/٢ ، اليافعي – مرآة الجنان – ط ٢ – (بيروت – ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) –٣/ص ٢٨٢.

(٣) وفيات الاعيان – ٣/ص ٤٨٥

(٤) الخريدة – قسم شعراء المغرب والاندلس – ٣/ص ٥٠١

(٥) الصلة – ٢/ص ٤٣٠ ، التعريف – ص ١٣، نفاضة الجراب – ٢/ص ١٩٠ ، الانصاري – الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة – (مكتبة المثنى – بغداد) – ٢/ص ١٠٢ .

ان عياضا مات بتادلا (١) ولعل الاصفهاني ينفرد ايضا يذكر مكان وفاته بمدينة فاس (٢) . ولعل ارجح الروايات انه توفي بمراكش ودفن عند باب ايلان وقبره لا يزال هناك (٣).

ومن الجدير بالملاحظة ان القائلين بوفاة القاضي عياض خارج مدينة مراكش هم من المتأخرين .

كما اختلفت المصادر في كيفية وفاته هل قتل خنقا ؟ ام مات ميتة طبيعية ؟ ذكر الشعراني في كتابه لواقح الانوار في طبقات الاخبار ((ان عياضا مات فجأة في الحمام، يوم دعا عليه الغزالي بعد ان بلغه انه افتى بحرق كتابه الاحياء)) (٤) . من المؤكد لا يمكن الاعتماد على هذا النص في تدوين وفاته ، اذ المعروف عن وفاة الغزالي سنة (٥٠٥ هـ) قبل وفاة عياض سنة ٥٤٤ هـ ، بنحو تسع وثلاثين سنة ، فضلا عن ذلك ان اغلب المصادر

---

(١) كتاب العبر – ٦/ص ٤٧٤ ، الناصري السلاوي يورد الروايتين دون ان يرجح واحدة على الاخرى . الاستقصاء –٢/ص ١١٤ .

(٢) الخريدة – قسم شعراء المغرب والاندلس –٣/ص ٥٠١ ، ذكر ابن كثير ان وفاته كانت بمدينة سبتة سنة ٥٤٦ هـ/١١٥١م) – البداية والنهاية – طبعة بيروت) –٢/ص ٢٢٥.

(٣) المدارك – ١/ص ٢١ ، الصلة – ٢/ص ٤٣٠ ، المعجم – ص ٣٠١ ، برنامج الوادى اشي – ص ٢١٨ ، نفاضة الجراب – ٢/ص ١٩٠ ، تحذير الخواص – ص ٧٠ ، جواهر العقدين – ق ١/ص ٢٢٨ ، مجلة معهد المخطوطات العربية – م ١٨ – ط/ ص ٤٣ ، راجع عنه :

The Encyclopaedia of Islam - p- 289

(٤) المدارك – ١/ص ١٢ ، عبد الوهاب الشعراني – الطبقات الكبرى – ط ١– (مصر – ١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٤ م) – ١– / ص ١٥.

ذكرت ان عياضا اتخذ موقفا محايدا من حرق كتاب الاحياء للغزالي.

ذكرت بعض الروايات كما جاء في المصادر ان عياضا مات مقتولا ، اذ احتال عبد المؤمن لقتله بعد ان ادعى عليه اهل بلده باليهودية ، اذ كان لا يخرج للناس يوم السبت لانشغاله بتأليف كتاب (الشفا) (١) ومن خلال هذه الرواية نرى من التناقض ان عياضا لم يؤلف الشفا في مدينة مراكش والاغرب من ذلك ان يتهم عياضا في دينه بمراكش . وهو الذي كان اهل مراكش يتبركون بمنزله كما ذكره ابن المؤمن .

اما النص الذي اشار اليه ولده ابو عبد الله محمد في كتاب التعريف فيفي بالاجابة عن تلك الاسئلة اذ ذكر (فأقام اي عياض ، على تلك الحال ، ومنزلته تزداد عنده ، عند عبد المؤمن كل يوم سموا ورفعة ، الى ان خرج ادام الله تأييده ، الى غزو دكالة ، وخرج صحبته ، فمرض بعد مسير مرحلة ، فأذن له في الرجوع ، فرجع الى الحضرة فأقام بها مريضا نحو ثمانية أيام ، ثم مات ، عفا الله عنه ، ليلة الجمعة ، نصف الليل ، التاسعة من جمادى الاخرة من عام اربعة واربعين وخمسمائة ، ودفن بها في باب ايلان ، داخل السور قدس الله روحه ونور ضريحه) (٢)

لقد اصبح قبر القاضي عياض من مزارات مراكش الكبرى ، وحيكت حوله وحول صاحبه الحكايات وهذا دليل على التقدير والقيمة العلمية الذي حظي بها القاضي عياض ، وكان الناس يزورون قبره وقبور ((الرجال الستة)) الباحثين بمراكش ، كما يرقد الى جانب عياض ناظم كتاب الشفا احمد سكيرج الانصاري .

---

(١) المدارك - ١/ص ٢٣ ، الصلة - ٢/ص ٤٣٠ ، المعجم - ص ٣٠١ .
لزيادة الفائدة انظر : مجلة الايمان - السنة -
مجلة الايمان - السنة -٨ - (العدد - ٢٢ - ٨٠)- ص ١٥- ٢٠
(٢) التعريف بالقاضي عياض - ص ١٣ .

ابنـاؤه واحفـــاده :

ان الاخبار عن حياة القاضي عياض الشخصية تكاد تكون قليلـــة ، فلا تعرف الا القليل فيما يتعلق بأسرته ، ولعل اهم ما تركـه من أثار انـه خلف عائلـة علمية مرموقة من ابنائه واحفاده ، كما ان المصادر لم تزودنا بمعلومات مفيدة فيما اذا كان له ابناءاخرون غير ولده ابي عبدالله محمد بن عياض (ت ٥٧٥ هـ/١١٧٩م) الذى عـد عهده استمرار لعهد ابيه من الناحية العلمية الا ان سمعة والده قد احجبته ولم يصل (ولده وابناؤه) فـي الواقع الى ما وصل اليه عياض الجد(١) ، وان اهم آثاره العلمية الـتي خلفها ولده محمد كتاب (التعريف) يشير فيه الى سيرة والده القاضي عياض .

قدمت لنا المصادر معلومات عن احفـاد القاضي عياض وهم ابنـاء ولده ابي عبدالله محمد بن عياض ، ومن خلال تلك المعلومات عن ابناء محمد يتبين لنا ان القاضـي عياض الجد لم يخلف غير محمد ابي عبدالله ، وكـان اول هؤلاء الاحفاد عياض ابن محمد بن عياض بن موسى (٥٦١ هـ ـ٦٣٠هـ)(٢) من اهل سبتة وهو حفيد العالم ابي الفضل يكنى ابو الفضل ، ويزودنا ابـن فرحون بمعلومات وافية عن حياته ، كان من جلـة الطلبة ، وله مشاركة فـي فنون من العلوم العقلية وغيرها ، كان كثير التواضع ،فاضـل الاخلاق معظما

---

(١) المدارك ـ ١/ص ٢٣ ، انظر ترجمته في : رياض النفوس للمالكـي ـ ص ٤٠٤ ، المطرب من اشعار اهل المغرب ـ ص ٨٧ ، التكملة لكتـاب الصلة ـ ص ٦٧ ـ رقم الترجمة (ترجمة رقم (١٠٥٦) ، الذيل والتكملة ـ السفر الثامن ـ ق ٢ /ص ٥٠٣ ، ابن الخطيب ـ اللمحة البدريـة تصحيح محي الدين الخطيب ـ (القاهرة ـ ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٨م) ـ ص ٤٥ ، راجع عنه : تلامذة القاضي عياض في هذا الفصل .

(٢) الذيل والتكملة ـ السفر الثامن ـ ق ٢ ـ ص ٥٠٩

عند الملوك جليل القدر ، دخل بلاد الاندلس ايام قضاء ابيه بغرناطة ، واستقر اخيرا بمدينة مالقة ،وتأثل بها اصول املاك (١) ، روى عن ابيه ابي عبدالله محمد ، وابن بشكوال ، وابن حبيش . كما روى عنه تلامذته منهم ابو العباس بن فرتون ، وابنه ابو عبدالله قاضي الجماعة (٢)، اما ابن الزبير فقد ذكره في فقرة الغرباء وقد اطنب في وصفه (٣) . ويقدم لنا النباهي معلومات عن عياض قائلا (ان ابا الفضل عياضا سكن مالقة مدة)(٤)

يبدو لنا انه لم يميز بين عياض الجد وعياض الحفيد كما حدث لابن سعيد اذ اختلط عليه الامرين الاثنين .

أما الحفيد الاخر لعياض هو (محمد بن عياض بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبي(ت ٥٨٤ هـ - ٦٥٥ هـ) (٥) ، من اهل سبتة يكنى ابو عبدالله

---

(١) الديباج - ٢ /ص ٥٢ ، الاحاطة - ص ٢٩٧ ، الذيل والتكملة - ق ٢ - السفر الثامن - ص ٥٥٩ ، سبتة دورها في اثراء الفكر الاسلامي - ص ١٠٢.

(٢) الديباج - ٢/ص ٥٢ ، صلة الصلة - ص ١٦٥ ، الاحاطة - ص ٢٩٧ ، نيل الابتهاج - ص ٧ ، التكملة - رقم الترجمة (١٩٤٧م) ،راجع عنه : كتاب اخبار ابن تومرت - ص ١٢٤.

(٣) صلة الصلة - ص ١٦٧.

(٤) المرقبة العليا - ص ١٠١

(٥) ذكره الصفدى قائلا (محمد بن عياض بن محمد بن عياض القاضي ابو عبدالله وهو نافلة القاضي).

الوافي بالوفيات - ٤/ص ٢٩٤ رقم الترجمة (١٨٢٦)، الاحاطة - ص ٢٩٧ ، الديباج - ٢/ص ٢٦٧.

حفيد الامام القاضي عياض (الجد) قرأ بسبتة ، فأخذ بها كتاب سيبويه ، وأجاز وكتب له من اهل المشرق علماء كثرة ، منهم الشيخ المحدث ابو العباس العزفي وغيره من المشايخ ، ذكره ابو جعفر ابن الزبير ، كان من عدول القضاة وجلة سراتهم ، وأهل النزاهة فيهم ، شديد التحري في الحكم والاحتياط ، شديدا على اهل الجاه ، وذى السطوة ، فاضلا وقورا ، حسن الصمت ، يعرب كلامه ابدا ، ويزينه ذلك لكثرة وقاره ، محبا في اهل العلم ، مقربا لاصاغر الطلبة ، ومكرما لهم ومعتنيا بهم ، ليحبب اليهم العلم والتمسك به(١).

يبدو لنا من خلال المعلومات ان سياسته في القضاء كسياسة جده القاضي عياض اذ لا تأخذه في الله لومة لائم .

---

(١) الديباج - ٢/ص ٢٦٦ ، رياض النفوس - ص ٤٠٤ ، الوافي بالوفيات - ٤/ص ٢٩٤ رقم الترجمة (١٨٢٦) ، الاحاطة - ص ٢٩٧ ، اللمحة البدرية - ص ٤٥ ، الحلل السندسية - ٣/ص ٣٥١ ، راجع عنه : تراجم اغلبية مستخرجة من كتاب المدارك للقاضي عياض - تحقيق محمد الطالبي - (تونس - ١٩٦٨م) - ص ٤٩٢ .

الفصل الثاني

منهجه في كتاب ترتيب المدارك

تنظيم الكتاب واسلوب عرضه

لابد لنا ونحن نتطرق الى ما انتهجه القاضي عياض في كتاب (ترتيب المدارك) ان نشير الى كفاح المالكية ضد النحل والزيغ والاعتزال والخوارج والباطنية فيما تضمره حيالها من الافكار والتعصب، ففي حياة الامام مالك لم يكن هذا الكفاح اقل اندفاعا بعد وفاته اذ انصب أغلب الجدال والحوار حول آراء اهل المدينة وفضلها، لانها بلد الوحي بما احل الحلال وحرم الحرام وان اكثر اصحاب رسول الله (ص) انما عاشوا وماتوا فيها، فعمل المدينة هو عمل الرسول واصحابه ولا يجوز في اطار المالكية لاحد مخالفتهم فهم بهذا المعنى السابقون الاولون من مهاجرين وأنصار، ثم الافضاء بقولها اى المالكية ان من خالفهم لا يعتد به فأكثر هؤلاء الوارثين للسنة العاملين بها انما عاشوا بالمدينة وعلموها لاهلها حتى صارت جزءا لا يتجزأ من حياتهم ولا قول لمن خالف في هذا .

وفي أواخر حياة الامام مالك بن انس فقد فتحت باب جديد في الجدل اذ انبرى الليث بن سعد (ت ١٧٥ هـ/٧٩١م) الذى كان زميلا وصديقا للامام مالك يدافع عن رأيه الذى يقوم على مخالفته

---

(١) ابو الحارث ابن سعد بن عبدالرحمن امام اهل مصر في الفقه والحديث واصله من اصبهان كان حنفي المذهب وانه ولى القضاء بمصر وقال ابن وهب (لولا مالك والليث بن سعد لظل الناس). المدارك - ٦٤/١، انظر ترجمته في: ابن الخطيب البغدادى - تاريخ بغداد - (مصر - ١٩٣١ م) - حـ ٣ / ص ٣، المغرب في حلى المغرب - ط /ص ١٦٣، وفيات الاعيان - حـ ٤/ص ١٢٧، تذكرة الحفاظ - حـ / ص ٢٢٤، حسن المحاضرة - حـ ٢/ ص ١١٧، ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة - (القاهرة - ١٩٣٥م - حـ ٢/ ص ٨٢، شذرات الذهب - حـ١ /ص ٢٨٥.

لآراء اهل المدينة مما اوجد زمرة تؤيده من العلماء حول هذا الموضوع حيث اشتبكت في معارك كلامية كان يقودها محمد ابن الحسن الشيباني (١) الحنفي الذى اخذ الموطأ عن مالك بعدما تعلم على ابي حنيفة ، ويبدو انه بـن جرأة جديدة وفتح الباب على مصراعيه للقول في المالكية وذلك بعد توليه القضاء للخليفة العباسي هارون الرشيد اذ اتخذ من منصبه في ترجمة آرائه في هذا الخصوص .

ويمكن القول ان الدور الذى لعبه محمد بن ادريس الشافعي (ت ٢٠٤ هـ / ٨٢٠ م) الذى كان احد اتباع الامام مالك وتلميذه يمثل مرحلة جديدة في معركة الجدل والخلاف التي استعر اوارها فقد جاب محمد بن ادريس هذا الافاق والبلدان فزار اليمن والعراق ولقي اصحاب ابي حنيفة وبدا له ان يجمع بين علم اهل الحديث وعلم اهل الرأى فرد بعضها وانتقد بعضها الاخر ، وعدل في شيء منها باحثا عن مذهب جديد ، وكان استقراره في مصر قد هيأ لهذه النقلة موحيا انه في عداد المالكية ولكنه سرعان ما استند الى بعض انصار الليث بن سعد المتعصبين على المالكية فكتب رسالته الشهيرة (٢) التي طرق فيها نقده للمالكية محاولا تفنيد

---

(١) ابو عبدالله بن فرقد نشأ بالكوفة وطلب الحديث ، ولقي جماعة من اعلام الائمة وتفقه على ابي يوسف صاحب ابي حنيفة وله من المصنفات النادرة كتاب (الجامع الكبير ، والجامع الصغير) وغيرها .
انظر ترجمته في: ابن النديم - الفهرست - (بيروت - ١٩٦٤م) - ص ٢٠٣ ، تاريخ بغداد - حـ ٢ / ص ١٧٢ ، الشيرازى - طبقات الفقهاء - (بغداد - ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م) - ص ١٣٥ ، الحنفي - الجواهر المضيئة - ط ١ - الهند - حـ ٢ / ص ٤٢ ، ابن حجر العقلاني - لسان الميزان - (حيدر اباد - ١٣٣١ هـ/١٩١٢ م) - حـ ٥ / ص ١٣٥ .

(٢) المدارك - ١/ ص ٦٤ - ٦٥ .

ما استندت اليها من آراء حول اهل الحديث وفضلهم واجماعهم الذى يعد احد الاسس المتينة لاصحاب مالك ، الامر الذى جعل المعركة تتجاوز حد الكلام اللاذع احيانا ، فيروى محمد ابن يوسف الكندى (ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١م) ان احمد بن عبدالرحمن بن وهب وهو احد كبار انصار المالكيين في مصر قال سمعت عيسى ابن المنكدر الذى ولي قضاء مصر من قبل عبدالله بن طاهر سنة (٢١٢هـ /٨٢٧م) (يصيح بالشافعي والشافعي يسمع : يا كذا دخلت هذه البلدة وامرنا واحد ورأينا واحد ففرقت بيننا والقيت الشر فرق الله بين روحك وجسمك) [1] .

والظاهر انه منذ ذلك الحين بدأت ردود المالكية على مدعيات الشافعية واشتدت الازمة بين اتباع الامامين شرقا وغربا ، وقد تصدر هؤلاء احمد بن مروان بن محمد المعروف بأبي بكر المالكي (ت سنة ٢٩٨ هـ/٩١٠ م) الذى دبج كتابا سماه ((فضائل مالك)) وكتابا اخر اطلق عليه (الرد على الشافعي))[2] . ويبدو ان حاجي خليفة قد ذكرهما بعنوان واحد (مناقب الامام مالك)[3] وتبعه اسماعيل بن اسحاق (ت ٣٩٩ هـ/١٠٠٨م) قاضي قضاة بغداد الذى صنف كتابا في ((الرد على الشافعي))[4] وخصوصا في مسألة الخمس التي تختلف بها المالكية عن

---

(١) اخبار قضاة مصر (المنشور في كتاب :الولاة والقضاة - مطبعة الاباء اليسوعين (بيروت - ١٩٠٨م) - ص ٤٣٨ ، سير اعلام النبلاء - ٣٥٣/٥ .

(٢) وقيل في نسبه احمد بن جعفر بن مروان بن محمد القاضي الدنيوري يعرف بالمالكي او الخياشي .

(٣) كشف الظنون - (دار الفكر - ١٩٨٢ م)- م ٢ / ١٥٩١ .

(٤) المدارك - ٢٧/١ .

المذاهب الاسلامية الاخرى . وذكر الخطيب البغدادى انه كان فقيها على مذهب مالك ابن انس ، شرح مذهبه ولخصه واحتج له (١) وقلده تلميذه يحيى بن عمر الكناني الاندلسي في كتابه الرد على الشافعي (٢) وكان من ائمة العلم وعداده وكانت له مكانة مرموقة في نفوس الخاصة والعامة والسلطان ، ولذلك كان لكتبه (٣) في الرد على الشافعية والمرجئة عمق المعنى ، فيروى ابن فرحون عن الكانشي (احمد بن عبدالله) قوله ((ما رأيت مثل يحيى بن عمرولا احفظ منه كأنما كانت الدواوين في صدره)) (٤) ، كما تبعهم محمد بن سحنون (ت٢٥٦ هـ/٨٦٩م) الذى كان امام عصره في المالكية بالمغرب ، فقيها بارعا عالما بالاثر والجدل والحديث والذب عن مذهب اهل الحجاز (٥) وقد اخذ علومه من المشارقة وله كتاب تفسير الموطأ ، بيد ان كتابه (الرد على الشافعي) يعد في سلسلة ردود المالكية التي يعتد بها . اما كتابه الاخر وهو (الرد على اهل العراق) فيبدو انه تضمن الاجوبة على اسئلة طرحها بخصوص الشافعية والمالكية احدثت من الاثر ما لا يقل عن كتابه الاول ، فقد أشير الى انه كان كتابا للجوابات بخمسة اجزاء) (٦) . وابو عثمان سعيد بن محمد الغساني المعروف بأبن الحداد ٤٢٨ هـ/١٠٣٦م) الذى كان مؤيدا لمالك ويسيء الرأى في ابي حنيفة واصحابه وكان يرد على اهل البدع المخالفين للسنة ، ولكن كتابه الرد على الشافعي) (٧) ، مهماً

---

(١) تاريخ بغداد - ٢٨٤/٦
(٢) دفين سوسة - المدارك - ٢٨/١ ، الديباج - ص ١٢٨
(٣) الديباج المذهب - ص ٢٥١
(٤) المصدر نفسه - ٢٣١
(٥) المدارك - ٢٨/١
(٦) الديباج المذهب - ص ٢٥٦
(٧) ابن الدباغ - معالم الايمان - (تونس) - ١٣٢٢ هـ /١٩٠٤م) -٢٥٤/٢

في الحملة ضد الشافعية اذ انه نزع الى الشافعية من غير تقليد له فعرف كثيرا من ارائها وخالفها فكان حازما ماضيا فيما فعل .

اما كتاب محمد بن ابراهيم بن زياد الاسكندراني المعروف بـ (ابن المواز) (ت ٢٦٩هـ /٨٨٢م) فهو من فضائل امهات الكتب .قد شهر بأنه اجل كتاب الفقه المالكيون وأصحه مسائل وابسطة كلاما ، وقد رجحه القابسي على سائر الامهات وقال : ان صاحبه قصد الى بناء المذهب على معان تأدب اليه .

نقول ان هذا الكتاب فيه جزء تكلم فيه عن الشافعي واهل العراق بمسائل من احسن كلام واقبله) (١) . غير ان امضى الردود واكثرها وقعا ما كتبها محمد بن عبدالله بن عبد الحكم التي اودعها كتابه ((الرد على الشافعي فيما خالف فيه الكتاب والسنة)) (٢) فهو ايضا كان من اتباع الشافعي وقد اخذ عنه وكتب كتبه ورسخ في مذهبه لذلك جاءت ردوده عن الشافعية وعن الحنفية فيها زيادات على مختصر ابيه في هذا الجانب (٣).

اما فيما يتعلق باشتداد الازمة وايقاد النار بين طرفي نزاع الرأى مما جعل المعركة تأخذ مدى أوسع كما اراد بها الامام الشافعي نفسه والربيع بن سليمان ابن عبد الجبار المرادى (ت ٢٧٠ هـ/٨٨٣م) الذى وضع الردود القارصة على المالكية (٤) وقد قال في حقه الامام الشافعي يوم كان في مصر يوم حلقته ((اما انت ياربيع فأنت انفعهم لي في نشر الكتب

(١) المدارك - ٢٨/١ ، الديباج المذهب - ٢٣٢
(٢) الديباج المذهب - ص ٣٢
(٣) المصدر نفسه - نفس الصفحة
(٤) المدارك - ٢٨/١

قم فتسلم الحلقة وكان اخر من روى عن الشافعي بمصر (١) . الامر الذى مهد لظهور ابن حزم الظاهرى على مسرح المعركة الحامية الذى كان يدين بالظاهرية التي تلتزم بالمعنى اللفظي لكلم القرآن والحديث ورفض الاجماع الا اذا جاء من جميع علماء الامة ورفض التقليد والقياس وهم اتباع سليمان ابن داود بن علي الاصبهاني (ت ٢٧٠ هـ /٨٨٤م) فلم يكن مذهبه الذى يدين به الا اغراق في الشافعية فجرد قلمه ولسانه على المالكية والحنفية ، وصوب سهامه بصورة خاصة على اتباع المالكية وقاعدتهم الكبرى في المدينة (٢) ونوه الى ابطال قول ((الاجماع هو اجماع اهل المدينة وهذا قول لهج به المالكيون قديما وحديثا وهو في غاية الفساد)) (٣) وخلص الى القول ((انه كان في المدينة منافقون ، وهم شر الخلق)) واستشهد بقوله تعالى : ((ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لاتعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم)) (٤) .

---

(١) قال الشافعي في حقه : الربيع روايتي : ويحكى عنه انه قال ((دخلت على الشافعي وعنده ايوب البويطي والمزني وابن عبد الحكم فنظر الينا ثم قال : اما انت يا ابا يعقوب يعني البويطي فتموت في حديدك ـ واما انت يا مزني فستكون لك في مصر هنات وهنات ولتدركن زمانا تكون فيه اقيس أهل زمانك وأما انت يا محمد يعني ابن عبد الحكم فترجع الى مذهب ، قال الربيع فلما مات الشافعي صار كل واحد فيهم الى ما قاله))
وفيات الاعيان ـ ٢٩١/٢ ، ابن حجر العسقلاني ـ تهذيب التهذيب ـ (ط ـ الهند ـ ١٣٠٥ هـ/١٨٨٦م) ـ جـ ٣ /٢٤٥ .

(٢) المدارك ـ ٢٨/١

(٣) ابن حزم الاندلسي ـ الاحكام في اصول الاحكام ـ القاهرة ـ ١٣٤٥ هـ/١٩٢٦ م) ـ م١ ـ جـ ٤ /٥٥٢

(٤) سورة التوبة ـ الاية (١٠١) ـ ص ٢٠٣ ، الاحكام ـ ص ٥٥٤ ، المدارك ـ ٢٨٢/٢ .

غير ان المالكية ترد على ذلك ، اذا كان اجماع اهل المدينة عندهم هو الاجماع ، وان من خالف الاجماع كافر فأنهم يكفرون كل من خالف اجماع اهل المدينة ، فاذا كان كذلك فأنهم سوف يكفرون ابن مسعود وعلي (رض) وكل من روى عنهما فتيا مخالفة لما يدعون فيه اجماع اهل المدينة من صاحب او تابع ومن دونهم وفي هذا ما فيه ، ونحن بهذا العدد نقول لهم :

((كذبتم في الدعوى ان اجماعهم هو الاجماع فارجعوا عن ذلك واقتصروا على ان تقولوا صوابا او حقا نحو ذلك))(١)

ولم تتوقف الحملات التي استهدفت المالكية في المشرق عموما بل تكرست الجهود في محاربتها ، منها هو القاضي عبد الوهاب بن نصر بن احمد ابن الحسين بن هارون البغدادي (٢) ت ٤٢٢ هـ/١٠٣٠م) احد اعلام المالكية ومن اعيان الفقهاء وجلة العلماء يفر من بغداد اذ خرج مع جماعة من اكابرها بسبب ((كلام نقل عنه انه قال في الشافعي وطلب لاجله ، فعجل بالفرار منها خائفا على نفسه))(٣) وقال (والله يا اهل بغداد لو وجدت بين ظهرانيكم رغيفين في كل يوم ما عدلت ببلدكم بلوغ امنية والخبز عندهم يومئذ ثلاثمائة رطل بدينار ، فأنشد)(٤) ويقال ان ابا حامد

---

(١) ابن حزم – الاحكام – ص ٥٦٠

(٢) ولي القضاء بمواضع منها الدينور فسما قدره وشاع في الافاق ذكره ودرس الفقه والكلام والاصول والف في المذهب والخلاق والاصول منها كتاب (التلقين) وكتاب شرح الرسالة والنصرة لمذهب دار الهجرة وكتاب المعونة بمذهب عالم المدينة وكتاب (مسائل الخلاف بين فقهاء الملة) . تاريخ قضاة الاندلس – ص ٤٠ ، شجرة النور الزكية – ص ١٠٤

(٣) نفس المصدر – نفس الصفحة

(٤) سلام على بغداد في كل موطن   وحق لها مني السلام المضاعف
ولكنها ضاقت علي برحبها   ولم تكن الارزاق فيها تساعف

انظر : مخطوطة ((لطائف الذخيرة وظرايف الجزيرة ، مختصر ذخيرة ابن بسام – اختصار الاسعد بن المهذب بن المماتي (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩م) نسخة مصورة في المجمع العلمي العراقي برقم (١٠٠٣) – ص ٢٠٠.

احمد بن ابي طاهر بن محمد الاسفرايني (ت ٤٠٦ هـ/ ١٠١٥م) الفقيه الشافعي الذى انتهت اليه رئاسة الدنيا والدين في بغداد ، قد نفاه وحرض عليه (١) ، كما حورب القاضي الذائع الصيت أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ/١٠١٢م) المالكي الذى كان اعرف الناس بعلم الكلام واحسنهم فيه خاطرا وأجودهم لسانا وأوضحهم بيانا واصحهم عبارة (٢) وشدد الفاطميون في مصر الخناق على المالكية ومنعوهم من اقامة مراسمهم ، فيذكر المقريزى ان الخليفة الفاطمي العزيز بن المعز بالله امر سنة (٣٨١ هـ/٩٩١م) بضرب رجل بمصر وطيف به المدينة من اجل انه وجد عنده كتاب ((الموطأ)) لمالك بن انس)) (٣) .

اما الموحدون فلم يدرجوا على ما انتهجه محمد بن عبدالله ابن تومرت أزاء المالكية من التسامح والعطف بل تفضيله المالكية على ما سواها ، اذ كتب مؤلفا سماه ((موطأ الامام المهدى)) جرى فيه على موطأ الامام مالك في العبادات والمعاملات والحدود لكنهم ذهبوا الى ابعد من ذلك في التشدد ومحاربة المالكية فسعوا الى قطع علم الفروع واحراق كتب المالكية بعد ان جردوها من القرآن وحديث رسول الله (ص) ويؤكد عبد الواحد المراكشي الذى شهد حرق جملة من كتب المالكية في سائر البلاد وكان يومئذ في مدينة فاس وذلك في عهد الخليفة ابي يوسف يعقوب المنصور اذ يؤتى منها بالاحمال فتوضع ويطلق فيها النار وكان قصده

---

(١) وفيات الاعيان - ١/ ٧٢

(٢) تاريخ قضاة الاندلس - ص ٣٧

(٣) المقريزى - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار - بغداد - ١٩٧٠م) - ٣٤١/٢
انظر : د. حسن ابراهيم حسن - تاريخ الدولة الفاطمية - ص ٢١٩.

في الحملة محو مذهب مالك وأزالته من المغرب مرة واحدة ، ويشير هذا المؤرخ الى ان ابا يوسف يعقوب المنصور ورث هذه السياسة في مقاومة المالكية عن ابيه وجده (١) وكان يستهدف من ذلك فرض المذهب الظاهري ، اذ امر جماعة من علماء الحديث بجمع الاحاديث من المصنفات العشرة (٢) في الصلاة وما يتعلق بها على نحو الاحاديث التي جمعها محمد بن تومرت . ويبدو ان فرض هذا المذهب كان على حساب المالكية التي كان لها في المغرب والاندلس اتباع كثر . وكان من اوائل من ساهم في نشر المذهب الظاهري في الاندلس عبدالله بن محمد بن قاسم بن هلال (ت ٢٧٢هـ / ٨٨٥م) الذي رحل الى العراق ولقى داود بن سليمان الاصفهاني منشيء مذهب الظاهر ونسخ كتبه بخطه وجاء بها الى الاندلس) (٣) .

ويخيل الينا ان الهجوم على نظرية المالكية بعمل اهل المدينة ومبادئها ومنطلقاتها الفكرية في خصومها المذهبيين او السياسيين كان قدا ستحكم حلقاته نتيجة لتعاظم نفوذها وانتشارها بشكل اوسع بين اهل المشرق والمغرب فأوحى ذلك انها تحد من المذاهب الاخرى . كما بدا للقوى السياسية التي قاومتها انها قد تخلف نفوذا سياسيا يترك تأثيراته في التأليب على السلطة والحكم .

---

(١) المعجب في تلخيص اخبار المغرب - (القاهرة - ١٩٦٢ م) - ٣٥٤، ٣٥٥
(٢) وهي الصحيحان للبخارى ومسلم وجامع الترفدى وموطأ مالك وسنن ابي داود وسنن النسائي وسنن البزار ومسند ابن ابي شيبة وسنن الـ الدارقطني فضلا عن احاديث بن تومرت في الطهارة .
انظر : نفس المصدر - نفس الصفحة .
(٣) ابن الفرضي - تاريخ علماء الاندلس - نشر وتصحيح السيد عزت العطار الحسيني - (القاهرة - ١٩٥٤ م) - ٢١٩/١ ، تاريخ بغداد - ٣٧٤/٨ .

اسباب التأليف

كتاب المدارك وردود المالكية على خصومهم :

لم تقف المالكية باتباعها وانصارها مكتوفة اليدين ازاء خصومها في المشرق او في المغرب ، فعلى الرغم من الردود التي حرروها على الشافعية ، فأن أزماتها بلغت حدا جعلت بعض هؤلاء الاتباع يخططون لردود اخر اكثر مضاءا ، وفي منتصف القرن السادس الهجرى طرق اسماع العالم الاسلامي صوت رائق في مقارعة خصوم المالكية هو كتاب القاضي عياض الذى اتخذ عنوانا يكرس آراء المالكية وهو ((ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك)) الذى اشار اليه القاضي عياض على انه كان رد فعل لما تعرضت له المالكية من اضطهاد حتى وصف بأنه بناية ضخمة اقيمت على شرف المالكية ومجدها في عصورها المختلفة (١) .

وفي مقدمة هذا السفر المالكي يشير القاضي عياض الى ان الله تعالى تمم على المؤمنين بفضله وختم انبياءه ورسله بأرجحهم وارفعهم واكرمهم واطيبهم ابي القاسم محمد (ص) الذى شرف وكرم فجاهد في الله حق جهاده وارشد عباده حتى اقامهم على سواء محجته فأنجز الله به وعده وخصه بخير امة اخرجت للناس ، فأزروه في اقامة شرعه في حياته ، ثم يؤكد الاتباع الصالحين ليخلص الى القول في الاتباع المالكيين فيقول : ثم خلفهم في كل قرن بأتباع صدق وعدل واخلاف هدى

---

(١) المدارك - ١ /٢٨ ، ٢٩

وفضل واكناف معرفة وعلم ومعادن خير وحلم اختار منهم ائمة المسلمين ونصب منهم اعلاما للدنيا والدين ، فبينوا للناس ما نزل اليهم وشرحوا لهم ما اشكل عليهم واعتبروا بأستنباطهم وصحيح اجتهادهم حكم مالم ينص على عينه ، وهذا هو مبدأ القياس في المذهب المالكي حيث يوضح ، وقاسوا بما فهموا من الشرع حكمه في غيره ولم يزيغوا عن سنن التحقيق ولا حكموا الآراء المضلة في الدين ، ويمضي القاضي عياض في مقدمته الى القول في مقارعة المخالفين للمالكية بقوله ((ولم يغرهم خلاف من خالفهم من الفرق ولا شغب من لج في هواه ومرق)) (١) .

ومهما يكن من امر فان القاضي عياض قد استهدف من مقدمته هذه توضيح امرين مهمين حاول ان يلفت اليهما انتباه قراء كتابه . اولهما ما تنطوى عليه اهمية ظهور اصحاب المذاهب ومنها المذهب المالكي بما يتضمنه من مبادئ واسس ، وثانيهما فضل اهل المدينة بصورة خاصة وهو ما اكده في ((باب ما ورد من الاثار في فضل المدينة ودعاء النبي (ص) لها) (٢) وفي باب ((الاثار في اختصاص المدينة بفضل العلم والسنة والقرآن) (٣) وفي باب فضل علم اهل المدينة وترجيحه على علم

---

(١) المدارك - ٣٩/١، ٤١ ، انظر: مجلة الحياة الثقافية - المذهب المالكي مصادر تشريعه وعوامل انتشاره بأفريقية والاندلس - وزارة الشؤون الثقافية - (تونس - العدد السادس - ١٣٩٦ هـ/١٩٧٦ م) - ص ١٦ .

(٢) المدارك - ١/ص ٥٨

(٣) المصدر نفسه - ص ٦٠

غيرهم واقتداء السلف بهم (١) ، وفي باب ((ما جاء عن السلف والعلماء في وجوب الرجوع الى عمل اهل المدينة وكونه حجة عندهم وان خالف الاكثر)) (٢) وفي باب ((بيان الحجة بأجماع اهل المدينة فيما هو وتحقيق مذهب مالك))(٣) وتضمن هذين البابين الاخيرين ما كتبه تحت عنوان ((رسالة مالك الى الليث بن سعد في هذا)) (٤) وذلك في اطار فضل اهل المدينة وهو المبدأ الذى تؤكده المالكية في الرجوع الى مصادر الحديث والسنة وتأويل كلام الله تعالى .

---

(١) المدارك – ص ٦١ .

(٢) المصدر نفسه – ص ٦٦ .

(٣) المصدر نفسه – ص ٦٧ ، طوق الحمامة في الالفة والالاف لابن حزم الاندلسي – تحقيق حسن كامل – مصر – ص ١٣٩ .

(٤) المصدر نفسه – ص ٦٤ ، وفيات الاعيان – ١٢٧/٤

اولا : الخطـة العامـة للكتـاب :

يعـد كتاب ترتيب المدارك الذى خصصه للحديث عن علماء المذهب المالكـي وتبيـان طبقاتهـم وازمانهم مبرزا الدور الذى قام بـ هـؤلاء الاعلام فـي اغنـاء الحياة الفكرية والعلمية ، واسهاماتهم الحضارية من خلال علومهم وفنونهم . اذ قسمـه الى وحدات زمنية اطلق عليها لفـظ (طبقـة) ترجم في كل منها لاعلام المالكية محددا الفترة الزمنية لمـن اقتفـى أثـر الامام مالـك لذلك نهج بتراجمه تلك نهجا متميزا يـدل على معرفته الكاملة بتأريخ المترجم له واحاطته بالعلوم التي تفنن بهـا ، ووعيه التام لاسهاماته وانجازاته التي اضافها الى العلم وحتى المسائـل التي تفـرد بهـا كـل في حقل اختصاصه بهدف تقديم صورة معبرة للشخـص المترجم لـه .

ابتـدأ كتابه بالمقدمة التي استهلها بالبسملة والحمد للـه الذى اسبغ على عباده بفضلـه نعما لا تحصـى ....الخ)) (١) ولم يكتـف بذلك بـل قدم لنا عرضا شاملا لما تضمنه كتابه من احاديث مرويـة واحكام فقهيـة وحكايات ونوادر ونظم من نثرهم واشعارهم ومناقشته لآراء العلمـاء والفقهاء في مختلف علوم الحديث والفقه والتاريخ والادب . واوضح لنـا التخطيط الجغرافي لانتشار المذهب المالكي في بلدان العالم الاسلامـي مشيرا في بعض الاحيان الى الاحداث التي شهدها العالم الاسلامي خلال تلـك الحقبـة الزمنيـة (٢) .

---

(١) المدارك ـ ١/٣٩

(٢) المصدر نفسه ـ ٢/٤٦٣

ثبت القاضي عياض ترجمة كاملة لاعلام المالكية ممن سار على نهج الامام مالك بن انس ، على الرغم من انه ذكر بعض الاعلام الذين تفقهوا بفقه مالك ولكنه ابدى تشكيكا في مالكية بعضهم نحو قوله في ترجمة سعيد بن الجهم بن قاسم الكندي ((وكان فقيها من اصحاب مالك وهو احد اصفياء الشافعي))(١) وقوله في ترجمة علي بن احمد البغدادي ((كان ينتحل مذهب مالك ... وهذا الرجل غير معروف في المالكية))(٢) . وبهذا يكون قد نفذ احداهم اهداف كتابه الذي قال عنه ((انه كتاب حاو لاسماء اعيان المالكية واعلامهم وتبيين طبقاتهم وازمانهم وجمع عيون فضائلهم وأثارهم ونظم نشر فنون سيرهم واخبارهم)) (٣) .

حاول المؤلف ان يلفت انتباه القراء الى اهمية كتابه المدارك وشموليته على حد قوله ((اذ هو فن لم يتقدم فيه تأليف جامع))(٤) وهو بهذا المعنى يمثل موسوعة للفقه والحديث والتاريخ والادب وبهذه الصورة كثير ما يغني الباحث عن العودة الى كتبه الاخرى .

---

(١) المدارك ـ ٤٦٣/٢
(٢) المصدر نفسه ـ ٤٨٦/٤
(٣) المصدر نفسه ـ ٣٣/١
(٤) المصدر نفسه ـ ٤١/١

ثانيا : مضمون الكتاب :

ولاول وهلة تطالعنا الابواب الستة التي ورد ذكرها في مقدمة الكتاب ما اتخذه القاضي عياض من التوثيق في موضوع فضل اهل المدينة ، ففي الباب الاول مما ورد من الاثار في فضل المدينة ودعاء النبي (ص) لها يستطرد صاحب ترتيب المدارك في الرواية والنقل عن ابي هريرة عن النبي (ص) ((اللهم بارك لنا في ثمارنا وبارك لنا في مدينتنا ٠٠٠٠٠)) وعن عمر بن الخطاب (رض) قائلا لعبد الله بن عياش قال ((انت القائل لمكة خير من المدينة ؟)) وهو اشارة اليه ليدرك فضل المدينة مع عدم التجاوز في حرم الله وبيته العتيق وامنه في مكة ، ويوضح انه تكرر القول في ذلك ثلاث مرات)) [١] ويمضي في توثيقه في هذا الباب عن ابن عمر ان النبي (ص) قال : ((لا يصبر احد على لاواء المدينة وشدتها الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيامة)) كما يروى عن جابر بن عبدالله وحديث ابي هريرة ان المدينة تنقي الناس كما ينقي الكير خبيث الحديد ، وكذلك في حديث لزيد بن ثابت انها تنقي الرجال كما تنقي النار الفضة)[٢].

ويبدو ان القاضي عياض اهتم بأكبر قدر ممكن مما رواه ابو هريرة عن فضل المدينة ، ويمكن تلخيص ما جاء بصدد ذلك ان الله يخلف فيها خير من يخرج منها برغبتها ، وان على ابوابها ملائكة يحرسونها فلا يدخلها الدجال ولا الطاعون لانها دار الهجرة والسنة وفيها خيار الناس

---

(١) المدارك ـ١/٥٨

(٢) المصدر نفسه ـ ص ٥٨ ، ٥٩

بعد النبي (ص) وقد اختارها الله بعد وفاته فجعل بها قبره وبها روضة من رياض الجنة ومنبر رسول الله (ص) ومنها تبعث اشراف هذه الامة يوم القيامة) (١) .

ويروى عن حماد بن واقد الصفار انه قال لمالك : ايما احب اليك المقام هاهنا (اى المدينة) او بمكة ؟ فقال هاهنا لان الله اختارها من جميع بقاع الارض ثم قيل لمالك لماذا اخترت المقام بالمدينة وتركت الريف والخصب ؟ فقال وكيف لا اختاره وما بالمدينة طريق الا سلك عليها رسول الله (ص) وجبريل عليه السلام ينزل عليه من عند رب العالمين في اقل من ساعة ثم قال مالك : اهل مكة اخرجوا نبيهم فصار لهم قساوة القلب واهل المدينة آووه فصار لهم لين القلب (٢) .

وفي باب الاثار في اختصاص المدينة بفضل العلم والسنة والقرآن يروى عن عائشة (رض) قول النبي (ص) ((فتحت المدائن بالسيف وافتتحت المدينة بالقرآن)) لذلك اصبحت قبة الاسلام ودار الايمان وارض الهجرة ومبدأ الحلال والحرام (٣) ويتم قوله (ص) : (ليحاز الاسلام الى المدينة كما يحاز السيل الدمن)) وجاء عند مالك بن انس كما يذكر القاضي عياض بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ اى بمعنى

---

(١) المدارك ـ ٥٩/١ ، انظر : الفاسي المكي ـ شفا الغرام باخبار البلد الحرام ـ (القاهرة ـ ١٩٥٦ م) ـ ٧٩/١

(٢) المصدر نفسه ـ ٥٩/١ ، ٦٠ ، راجع مجلة الوعي الاسلامي ـ الاستاذ احمد محمد مصطفى ـ الامام مالك بن انس ـ العدد ـ ٩٣ ـ (كويت ـ وزارة الاوقاف ـ ١٣٩٢ هـ/ ١٩٣٢م) ـ ص ٦٤ .

(٣) المدارك ـ ١/ص ٦٠

يعـود الى المديـنـة كما بدأ منـها) (١) .

ويرجح في البـاب الاخر فـضـل علـم اهل الـمـديـنـة على علم غيرهـم واقتداء السلف بهم من قول زيـد بن ثـابت ((اذا رأيت اهل المدينة علـى شـيء فـاعلـم انـه السنة)) وقـــول ابن عمر : (لـو ان النـاس اذا وقعـت فتـنـة ردوا الامر فـيـه الى اهـل المدينة ، فـأذا اجتمعوا على شـيء ـ يعـني فعلوه ـ صلـح الامر ، ولكنـه اذا نعـق نـاعق تبعـه النـاس)(٢) اى انـــه كلما قيل عمـــا فـتى فيـه اهل الـمديـنـة انـمـا هو محض اشـاعـة لا تعـــد وان تكون بـفـعـلـة نـاعق ينـعق فـيـجـاريـه النـاس ، ويتم هذا البـاب بـمـا يـفـيـد ان اهل الـمـديـنـة يتشاورون بـالـسنن والـفـقـه ويسألون عما مضى ويعلمون بـمـــا عندهـم على نـقـيض اهـل الامـصـار الاخرى حيث يكتب لـهـم لـيـعـلـموهم الـسنــن والـفـقـه وفـي هذا الاطـار قـال عبدالـلـه ابن عمر بن الخطاب ان عبدالـلـــه بن الزبـير وعبد الـملك ابن مروان كتبـا الـــي يدعـواتي الى الـمـشورة فـكتبـت اليهمـا ان كنـتـمـا تـريـدان الـمشورة حقـا فعليكما بـدار الـعـجـرة والـسنـة)٠ واستشهد الـقـاضي عيـاض بـمـقـولـة الـشـافـعي نـفـسه فـيـمـا يـتـعـلـق بـالـمدينة اذ قـــال ((امـا اصول اهـل الـمـدينـة فـلـيس فـيـهـا حيـلـــــــــــــــــــــــــــــة

(١) نفس الـمـصدر ـ ٦١/١

(٢) الـمـصدر نـفـسه ـ ص ٦ ـ ٦٢

(٣) الـمـصدر نـفـسه ـ ص ٦٢

لـزيـادة الـمـعـلـومات راجع :

احـمد شقرون ـ محاضرات الاكاديـمـيـة الـمـغـربـيـة ـ بـحث بـعـنـوان ـ (عـلـم الـنـوازل بـالـمـغـرب ـ ١٩٨٧ م) ـ ص ١٠٢ .

من محتتها))(١) وقوله ايضا (كل حديث ليس له اصل بالمدينة وان كان منقطعا ففيه ضعف،كما اشار الى ما ذكره نافع بن عبدالرحمن بن ابي نعيم (ت ١٦٩ هـ/٧٨٥ م) بقوله (سألت مالكا عن شيء فقال لي ان اردت العلم فأقم بالمدينة ، فأن القرآن لم ينزل على الفرات)(٢)واخيرا ما جاء عند عبدالله بن عمر ، ان اباه بعث نافع بن يزيد (٣) الى مصر يعلمهم السنن ، فقال ابو الحجاج مجاهدبن جبر (٤) وعمر بن دينار(٥) وغيرهما من اهل مكة فلما تناظروا حتى خرج عليهم عطاءبن ابي رباح(٦) الى المدينة فلما رجع علينا استبان فضله علينا(٧).

ويكرر القاضي عياض فضل اهل المدينة في الرسالة التي حررها مالك ابن انس الى الليث بن سعد مكرسا منهجه في كتابه ليسهل على القراء استيعاب هذا المبدأ ، فيشير بل يؤكد ان الناس جميعا وبدون استثناء تبع لاهل المدينة اذ كان الرسول (ص) بين اظهرهم يحضرون الوحي والتنزيل ويأمرهم فيطيعونه ويسن لهم فيتبعونه (٨) حتى ان الليث بن سعد اجابه

---

(١) المدارك ـ ١/٨ص ٦٢
(٢) المصدر نفسه ـ نفس الصفحة ، راجع : غاية النهاية ـ ٢/ص ٣٣٠
(٣) المصدر نفسه ـ ص ٦٣
(٤) مولى قيس بن السائب ـ المصدر نفسه ـ ص ٦٣ ، حلية الاولياء ـ ٣/ص ٢٧٩. ابو عمرو الداني ـ كتاب التيسير في القراءات السبع ـ (اسطنبول ـ ١٩٣٠م) ص ٨ .
(٥) المصدر نفسه ـ المدارك
(٦) المصدر نفسه ـ نفس الصفحة
(٧) المصدر نفسه
(٨) المصدر نفسه ـ ١/ص ٦٤ .

بما يشير الى موافقته على ما ذهب اليه مالك ابن انس بقوله : ((وقد اصبت بالذى كتبت من ذلك ان شاء الله ووقع مني بالموقع الذى لا اكره ولا اشد تفضيلا مني لعلم اهل المدينة الذين مضوا))واما ما ذكرت من مقام رسول الله (ص) بالمدينة ونزول القرآن الكريم عليه بين ظهراني اصحاب وما علمهم الله منه ، وان الناس صاروا تبعا لهم فكما ذكرت)(١).

اما الباب الذى ما جاءبه عن السلف والعلماء في وجوب الرجوع الى عمل اهل المدينة وكونه حجة عندهم وان خالف الاكثر فيظهر في القاضي عياض ما يوجب الاخذ بالعمل سواء بخلاف الحديث او انه اقوى منه او ما مضى العمل على غيره وخصوصا ما اجمع عليه علماء المدينة ، فكم من حديث ترك العمل به لادراك اهمية غيره من الناحية العملية ويخلص الى القول بما جاءبه عبدالرحمن ابن مهدى بقوله : و((السنة المتقدمة من سنة اهل المدينة خير من الحديث))(٢) ، وبما كان يعمل به عمر بن عبدالعزيز اذ يجمع الفقهاء ويسألهم عن السنن والاقضية التي يعمل بها فيثبتها وما كان منه لا يعمل به الناس الغاه ، وان كان مخرجه من ثقة (٣). والظاهر ان هذا الباب اختص بما اطلق عليه المصالح المرسلة التي سبق التنويه اليها وهو مبدأ من مبادئ المالكية وذلك تسهيلا للمصلحة وجلبا للمنفعة، فربما كان الشرع لم يتطرق او يتعرض لها بنفي او اثبات ((بأمر او نهي)) فيجوز في هذه الحالة ان تحتج بالمصلحة العامة فتقر هذه المعاملات شرعا.

(١) المدارك - ١/ص ٦٥
(٢) المصدر نفسه - ١/ص ٦٦
(٣) المصدر نفسه - ١/ص ٦٧ ، انظر : صلاح الدين العلائي - بغية الملتمس في سباعيات حديث الامام مالك بن انس - تحقيق حمدى عبدالمجيد - ط ١ - (بيروت - ١٩٨٥م) - ص ٦٠ - ٨٩ .

واختص الباب الثالث الذى وسمه ((بباب الحجة بأجماع اهل المدينة)) وهو اوسع الابواب الستة التي اشتمل بها كتابه ، اختص بمناقشة تعصب ارباب المذاهب من الفقهاء والمتكلمين واصحاب الاثر والنظر الذين كانوا يشكلون رهطا ضد المالكية في مسائل الاجماع والتواتر وخصوصا اجماع اهل المدينة ، فقد تجاوز هؤلاء التعصب المذهبي والعقائدى والتشنيع الى الطعن في المدينة وتعداد مثالبها على حد زعمهم وهم لا يستندون الا الى التخمين والحدس واخذ كلام المالكية بعيدا عن التحقيق ومنهم من تقوّل او اضاف ما لا تقوله كما فعل ابو بكر الصيرفي (ت ٣٣٠ هـ/٩٤١م) [(١)] وابو الحسن المحاملي (ت ٤١٥ هـ/١٠٢٤م) [(٢)] وابو حامد محمد بن احمد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ/١١١١ م) [(٣)] ، وخصوصا في مسألة الاجماع الذى تعده المالكية حجة ينبغي الاستناد اليها وقد احتجوا عليها بما يحتج به على الطاعنين على الاجماع ، لذلك انبرى القاضي عياض الى ذكر التفصيلات عن هذه المسألة

---

(١) الفقيه الشافعي البغدادى ، كان اعلم الناس بالاصول بعد الشافعي ، اشتهر بالحذق والنظر والقياس وله في اصول الفقه كتاب لم يسبق الى مثله .
المدارك –١/ص ٦٧ ، انظر التفاصيل في – وفيات الاعيان – ٤/ ص ١٩٩ .

(٢) الفقيه الشافعي ، اخذ الفقه عن الشيخ ابي حامد الاسفرايبيني ، برع في الفقه وسمع الحديث من محمد بن المظفر ، ودرس في حياة شيخه ابي حامد ، صنف في المذهب كتاب كبير ، والمقنع ، وكتاب اللباب ، وصنف في الخلاف .
المصدر نفسه – ص ٦٧ ، وفيات الاعيان – ١/ص ٧٥

(٣) المدارك – ١/ص ٢٢ – ٦٧ ، لزيادة المعلومات راجع : وفيات الاعيان – ٤/ص ٢١٦ .

قال ((ان اجماع اهل المدينة على ضربين ، ضرب يمكن ان ينشأ عن طريق النقل والحكاية الذي تؤثره الكافة عن الكافة ، وقامت به عملا لا يخفى نقله الجمهور عن الجمهور عن زمن النبي (ص) وهذا النوع منقسم على اربعة انواع اخرى اولها :

ما نقل عن النبي (ص) من قول او فعل والاجماع فيها حجة يلتزم بها ويترك ما يخالفها حتى ان ابا يوسف (١) الذي ناظر مالك ابن انس فيما يتعلق بالمد والصاع اقر ذلك وتراجع عن الخبر الواحد والقياس (٢).

ولا غرو ان يكون هذا المبدأ الذي تؤكده المالكية قد افاض في شرحه القاضي عياض في هذا الباب وقال ان ابا بكر الصيرفي (٣) والاحدي (٤) وغيره من الشافعية قد وافقوه عليه لكن بعضهم خالفه عنادا ، وكان اهل البصرة والكوفة ومكة ممن وافق عليه لان فيها جماعة من الصحابة اذ نقلت السنن عنهم والخبر المتواتر وعليه فلم تختص المدينة بذلك . والنوع الثاني هو الاجماع على عمل معين من طريق الاجتهاد والاستدلال وقد اختلف فيه المالكية ، فرهط منهم يقول انه ليس بحجة ولا فيه

---

(١) ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم (ت ١٨٢ هـ/٧٩٨ م) له كتاب (الرد على مالك ابن انس) و (رسالة في الخراج) الى الرشيد انظر : ترجمته في – الفهرست – ص٢٨٦ ، رسائل ابن حزم الاندلسي – ٢/ص١٧٤ .

(٢) المدارك – ١/ص ٦٩

(٣) المصدر نفسه – نفس الصفحة

(٤) السيف ابو الحسن علي بن ابي علي بن محمد الحنبلي ثم الشافعي المتكلم العلامة صاحب التصانيف العقلية قرأ القراءات والفقه وحفظ وسيط الغزالي ومن تصانيفه المشهورة كتاب (الاحكام) و (أبكار الافكار). وفيات الاعيان – ٣/ ص ٢٩٣ ، التبصرة والتذكرة –١/ص ٣٢١ ، شذرات الذهب – ٥ /١٤٤.

ترجح ومنهم مالكية العراق مثل يحيى بن بكير (١) وابي يعقوب الرازي (٢) وابي الحسن المنتاب (٣) وابي العباس الطيالسي (٤) وابن مفرج (٥) والقاضي ابي بكر الابهرى (٦) وابي التمام (٧) وابي الحسن بن القصار (٨) وبعضهم يقول انه ليس بحجة ولكن يمكن الترجيح به على اجتهاد غيرهم والظاهر انه بسبب الاسهاب في شرح هذا النوع والاطالة فيه وضرب الامثلة والقرائن لم يجسر التطرق الى النوعين الاخرين اللذين يكملان الاجماع على انه حجة بما نقل عن النبي(ص) من قول او فعل والاجماع الاجتهادى (اذا صح التعبير) (٩) .

وفي باب ترجيح مذهب مالك والحجة في وجوب تقليده وتقديمه على غيره من الائمة ، ينتهج القاضي عياض مسلكا جديدا في كتابه للتمهيد في توجيه القراء الى اهمية مبادىء المالكية فيقول: ((رأينا البداية قبل الخوض في هذه المسألة الى تقديم مقدمة وتمهيد قاعدة لموجب التقليد عليها ينبني الكلام فيما قصدناه)) (١٠).

---

(١) المدارك – ٢/ ص ٥٢٨ ابن حزم – رسائل ابن حزم الاندلسي – تحقيق د- احسان عباس – ط ١ – (بيروت – ١٩٨٠ م) – حـ ٢/ص ٢٤١ ، التبصرة والتذكرة – ١/ص ٧٢ .

(٢) نفس المصدر – ١/ص ٧٠

(٣) المصدر نفسه

(٤) المصدر نفسه

(٥) ابو القاسم بن كنانة . انظر ترجمته في: المدارك – ٣/ ص ٥٠ و٧٠ ، فتاوى الامام الشاطبي – ص ١٩٠ .

(٦) المصدر نفسه – ١/ص ٧٣ – ٧٤ .

(٧) المصدر نفسه – نفس الصفحة

(٨) المصدر نفسه

(٩) المصدر نفسه ، التبصرة في اصول الفقه – ص ٣٦٥

(١٠) المصدر نفسه – ١/ص ٧٥ .

ويوضح ان هناك مصدرين ينبغي الاستناد اليهما في تطبيق الشريعة هما (كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه السلام) ثم يليهما اجماع المسلمين مرتب عليهما ومسند اليهما فلا يصح ان يوجد وينعقد الا عنهما) (١)

ويشير القاضي عياض الى ان صحة الاجماع من طريق الاجتهاد لا تتم الا بعد تحقيقه الوسائل والالات الموصلة مثل علم العربية واللغة وعلم معانيها وعلم موارد الشرع ومقاصده ونص الكلام وظاهره وفحواه وسائر نواحيه الذى يعرف بعلم اصول الفقه : ويبدو صاحب ترتيب المدارك واضحا دقيقا في تعبيراته وتحليلاته فيما يتعلق بتجديد مسمياته لعلماء المالكية الذين هم باعتقاده يشكلون الصدر الاول(الطبقة الاولى) وقد وصفهم بالسلف الصالح خلال القرون الثلاثة التي تبدأ من الاول ، ويفصح القاضي عياض ، انه لا يمكن الركون في تقليد العالم الموثوق بعلمه الا لمن استحق ذلك ، فإن كثر العلماء فالاعلم ولا يترك المقلد الاعلم ويعدل الى غيره وان كان يشتغل بالعلم فيسأل حينئذ عما لا يعلم حتى يعلمه (٢).

ويزيدنا القاضي عياض بيانا ان الفقهاء واصحاب رسول الله (ص) الذين اخذوا عنه العلم وعلموا اسباب نزول الاوامر والنواهي ووظائف الشرائع او مخارج كلامه عليه السلام وشاهدوا قرائن ذلك وشاقبوا في اكثرها النبي (ص) واستفسروه عنها مع ما كانوا عليه من سعة العلم ومعرفة

---

(١) المدارك - ١/ ص٧٦

(٢) المصدر نفسه - ص٧٦ - ٧٧

معاني الكلام وتنوير القلوب وانشراح الصدور ، يقول ان هؤلاء هم اعلم الامة واولادهم بالتقليد وهو تأكيد على منهجيته في كتابه في توضيح منزلة فن عاصر الرسول (ص) وفي فضلهم ، اذ جاء بعدهم التابعون الذين بنوا على اصولهم ثم جاء من بعدهم العلماء من اتباع التابعين ، وكل ذلك يفصله فيما كتب عنهم ، ويبدو انه يشير في طرف خفي الى ان المالكية هم الذين جمعوا اقاويل الجميع وحفظوا فقههم وبحثوا عن اختلافهم واتفاقهم وحذروا من انتشار الامر وخروج الخلاف عن الضبط مما جعلهم يجتهدون في جمع السنن وضبط الاصول وسألوا فأجابوا وبنوا القواعد ومهدوا الاصول وفرعوا عليها النوازل ووضعوا في ذلك للناس التصانيف وبوّبوها ، الامر الذى انهى اليهم علم الاصول والفروع والاختلاف والاتفاق ، وحث القاضي عياض الناس وخصوصا المقلديين من العامة وطلبة العلم المبتدئين الرجوع في التقليد لهؤلاء لتوسيع نفوذ المالكية بسبب ما يعتقده من استغراق علم الشريعة ودورها عليهم واحكامهم النظر في مذاهب من تقدمهم وكفايتهم ذلك لمن جاءبعدهم (1) .

وفي خطوة يمكن ان يستشف منها ان القاضي عياض شرع في تخطيط جغرافي لانتشار المذاهب الاسلامية وتوزيعها في العالم الاسلامي ليخلص الى القول في تغليب مذهب مالك بن انس على اكثر بقاع هذا العالم فقال ان المقلدين المقتدى بمذاهبهم اصحاب الاتباع في سائر الاقطار والبقاع

---

(1) المدارك - ١/ ص ٧٨ - ٧٩ ، انظر: ابن مكي الصقلي - تثقيف اللسان - تحقيق د- عبد العزيز مطر - (القاهرة - ١٣٨٦ هـ/١٩٦٦م) - ص١٠١ .

كثرة قبل مالك بن انس بالمدينة وابي حنيفة وسفيان الثورى بالكوفة والحسن البصرى بالبصرة والاوزاعي بالشام والشافعي بمصر واحمد بن حنبل ببغداد وكذلك ابي جعفر الطبرى وداود الاصبهاني ، وقد سرت جميع هذه المذاهب في الافاق فغلب مذهب مالك على الحجاز والبصرة ومصر وما والاها من بلاد افريقية والاندلس وصقلية والمغرب الاقصى والسودان كما ظهر ببغداد وبلاد خراسان وخصوصا في قزوين وابهر ونيسابور فكان بها ائمة ومدرسون ، كما انتشر باليمن وبلاد فارس (١).

وفي هذا الاطار يقدم لنا القاضي عياض ضمن منهجه في كتابه ترتيب المدارك تلخيصا تأريخيا وافيا عن نشاط المذاهب في الاقاليم والبلدان انتشارها ونفوذها او انحسارها لكي يستنتج في النهاية ، ان الناس اليوم في اقطار الدنيا صاروا الخمسة مذاهب مالكية وحنفية وشافعية وحنبلية وداودية وهم المعروفون بالظاهرية كما قال انه يحق على طالب العلم ومريده التعرف على الصواب وفي رأيه ان اولاهم بالتقليد هو المذهب المالكي مالكا جمع ادوات الامامة وحصل على درجة الاجتهاد وهو اعلم القوم بأهل زمانه وهو القدوة وعالم المدينة التي هي داره وهذا ما يدور

---

(١) المدارك ـ ١/ص ٨٠ ، انظر : د ـ ج ـ ف ـ ب ـ هوبكنز
النظم الاسلامية في المغرب في القرون الوسطى ـ نقله عن الانكليزية
ـ د ـ أمين توفيق الطيبي ـ (تونس ـ ١٩٨٠م) ـ ص ١٩٩ .

على السنة الجماهير وهو المراد به من السلف الصالح (١) . لذلك انطلق القاضي عياض في منهجيته التي اتخذها في كتابه لتفصيل ذلك وبسطه في فصلين اولهما يضم ترجيحين في النقل والاثر والثاني ثلاثة ترجيحات في مسلكه من الاعتبار والنظر ، مما جعله على حد قوله يرجح مذهب مالك لعظيم قدره في العلم وعلو منصبه فيورد خمس حجج يفصلها بما وسعه من المعرفة والادراك لكي يقطع بها غدر الغادرين ويبدد شكوك المتشككين (٢) .

(١) المدارك - ١/ص ٨٠

(٢) المصدر نفسه - ص ٨١

الفصلان في ترجيحات النقل والاثر والاعتبار والنظر :

ويقرر القاضي عياض منهجه في كتابه بحسب الفصلين اللذين عقدهما اذ يقوم الاول على ترجيحين للمالكية فيما يرى وهما طريق النقل والاثر فالاخير جرى بالتقديم وهو الحديث المشهور والصحيح المروى في ذلك من رسول الله (ص) عن منزلة عالم المدينة الفرد مالك بن انس ويقول ان كل من روى في هذا الجانب كان من الثقات ويورد الروايات المتعلقة بذلك حتى يصل الى ما يفيد ان رسول الله (ص) قال : ((يخرج ناس من المشرق والمغرب في طلب العلم فلا يجدون عالما اعلم من عالم المدينة ، وقال : (لا تنقطع الدنيا حتى يكون عالما بالمدينة تضرب اليه اكباد الابل ليس على ظهر الدنيا اعلم منه)) (١) ويستخرج القاضي عياض من ذلك قوله : ولا نعلم احدا انتهى اليه علم اهل المدينة واقام بها ولم يخرج عنها ولا استوطن سواها في زمن مالك مجمعا عليه الا مالكا)) (٢) ولا يكتفي صاحب ترتيب المدارك بهذا القدر المحدد في توجيه القراء لمنزلة مالك ومكانته ، بل يمضي في احتجاجه بهذا الحديث من ثلاثة اوجه :

أ. تقييد السلف بأن ما حدثوا به عن عالم المدينة هو مالك بن انس وما كانوا ليقولوا ذلك عن هدى في نفوسهم بل عن تحقيق.

ب. شهادة السلف بأن مالكا اعلم من على ظهر الارض واعلم من بقي واعلم الناس وامام الناس وعالم المدينة وامام دار الهجرة وامير المؤمنين في الحديث واعلم علماء المدينة اذ لم تحصل هذه الاوصاف لغيره .

---

(١) المدارك - ٨٣/١ ، مؤلف مجهول - العيون والحدائق - بغداد - ٣٥٩/٣.

(٢) المصدر نفسه - ص ٨٤ ، القارقي - تاريخ الفارقي - تحقيق د- بدوى عبداللطيف - (بيروت - ١٩٧٤م) - ص ١٢٣.

جـ • تنبيه بعض الشيوخ من ان طلبة العلم لم يضربوا اكباد الابل من شرق الارض وغربها الى عالم اليه من الافاق رحلتهم الى مالك فالناس اكيس من ان يحمدوا رجلا من غير ان يجدوا آثار حسان (١).

اما الترجيح الثاني الذى هو من طريق النقل فأنه مجرد تقليد السلف وائمة المسلمين وعلمائهم في هذه المسألة بالاعتراف لمالك بأنه اعلم وقته وامامه واعلم الناس واعلم علماء المدينة يؤخذ ذلك من شهادتهم واعترافهم وتقليدهم اياه واقتدائهم به وترجيحهم لمذهبه على مذهب غيره • وهنا يسطر لنا القاضي عياض من احاديث هؤلاء الائمة والعلماء في فضل مالك ومكانته ومنزلته (٢).

---

(١) المدارك – ٨٦/١ • الطبقات الكبرى للشعراني – نسخة المخطوط غير مؤرخ – (جامعة البصرة – المكتبة المركزية)– رقم المخطوط (١١٦) – ص ٤ – ٥ •
راجع :

(٢) يبدأ من شيخه ابن هرمز قال : ((انه عالم الناس)) وسفيان بن عينية قال: ((مالك امام ومالك عالم اهل الحجاز ومالك حجة في زمانه ومالك سراج الامة)) والشافعي قال: ((مالك استاذى وعنه اخذنا العلم • ومالك النجم الثاقب لحفظه واتقانه وصيانته)) ابو يوسف قال ((ما رأيت اعلم من ثلاثة فذكر مالكا وابا حنيفة وابن ابي ليلى)) بن مهدى قال: (مالك اعلم من استاذى ابي حنيفة ، وقدمه احمد بن حنبل على الاوزاعي والثورى والليث بن سعد وحماد بن زيد والحكم في العلم))•
المصدر نفسه – ٨٦/١– ٨٧ • العبادى – كتاب طبقات الفقهاء الشافعية – (ليدن – ١٩٦٤ م) – ص ٤٦٧ • راجع عنه : د• احمد محمود بكير – ملتقى الامام محمد بن عرفة – (تونس – ١٩٧٦ م) – ص ٢٠٥ •

ويتدبر القاضي عياض في الفصل الثاني بترجيح مذهب مالك من طريق الاعتبار والنظر ويلخصه بدوره في ثلاثة اعتبارات :

الاول ما حمل عليه مالك بن انس من درجات الاجتهاد في الدين وحصوله على خصال الكمال في العلم وبلوغه في ذلك المنزلة التي لم تبلغها احد من هؤلاء المقلدين بعيدا عن التعصب المذهبي والعقائدي ، ويحلل هذا الاعتبار بأسلوبه البنائي والمنهجي والروائي احيانا فهو يضع مقدمة يمهد لموضوعه ويسطر فيها منهجه ثم يعمد الى الرواية عن مالك فيقول (ان مالكا هو اول من تكلم في غريب الحديث ويروى عن الاصمعي ان مالكا اخبره ((ان الاستجمار هي الاستطابة)) كما نقل عن البهلول ابن راشد[(١)] قوله : ((ما رأت أنزع بأية من مالك بن انس مع معرفته بالصحيح والسقيم والمعمول به من الحديث والمتروك وميزة الرجال وصحة حفظه وكثرة نقده)) [(٢)].

ويكشف القاضي عياض في هذا الاعتبار كيف ان مالك بن انس كان يرد المعتزلة وينقدها وان ابا حنيفة والشافعي ((لهما حسن الاعتبار وتدقيق النظر والقياس وجودة الفقه والامامة فيه ، ولكن ليس لهما امامة في الحديث ولا معرفة به ولا استقلال بعلمه)) [(٣)] كما ان احمد

---

(١) ابو عمر من اهل القيروان سمع الموطأ من علي بن زياد وابن غانم ذكره العقيلي قائلا : هو شيخ من اهل المغرب .
انظر ترجمته مفصلة في ترتيب المدارك - ٣٣١/١

(٢) المدارك - ٨٩/١ ، ٩٠ ، السيوطي - الوسائل الى مسامرة الاوائل تحقيق د- سعد اطلس - (بغداد - ١٩٥٠م)- ص١٠٣.

(٣) المصدر نفسه - ٩٢/١ ، راجع د- عبد الستار حامد - الحسن بن زياد ونقهه بين معاصريه من الفقهاء - (بغداد - ١٩٨٠ م) - ص ٧٤ ، للاستفادة انظر : مجلة المؤرخ العربي - د- محمد فاروق النبهان - المذهب المالكي ودوره في المغرب - (بغداد - ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) - ص ٦٨ - ٧١.

بن حنبل وداود بن علي الاصبهاني الظاهري من العارفين بعلم الحديث ولكن ليس لهما الامامة في الفقه ولا جودة النظر في مأخذه ، ويبدو ان القاضي عياض كان يريد ان يخلص الى القول ان مالكا يجمع بين امامة الحديث وامامة الفقه .

وفي الاعتبار الثاني يؤشر القاضي عياض المآخذ على المذاهب من غير المالكية وخصوصا في توجيهاتهم الفقهية ويستخلص من قوله بما يفيد ان هؤلاء الائمة لابد ان تتقرر عليهم المآخذ في الفقه والاجتهاد في الشرع في حين نجد ((مالكا ناهجا في الاصول منهاجا مرتبا لها مراتبها ومدارجها مقدما كتاب الله ومرتبا له على الاثار ثم مقدما على القياس والاعتبار تاركا منها لما لم يتحمله عنده الثقات العارفون (١) ، ويزيدنا القاضي عياض علما بأن الشافعي كان قد نهج بمنهج المالكية لكنه لم يسلك سبيل السلف في علم الحديث والاثر وعلى الرغم من انه كان معدودا في المالكية في مصر لكنه تميز عنهم وخالفهم ثم تعصب عليهم . اما ابو حنيفة الذى قال بتقديم القياس والاعتبار على السنن والاثار ، فقد ترك نصوص الاصل وأثر الرأى والقياس والاستحسان ثم قدم الاستحسان على القياس وهو الميل الى القول بغير حجة . كما ان احمد بن حنبل تمسك بصحيح الاثار واستعملها وقال ان من الرأى ما تحتاج اليه ، وان صحيح الرأى فرع للاصل ولا فرع الا بعد الاصل ، وهكذا يمضي القاضي عياض في تفنيد اصحاب المذاهب وسعيه في اظهار اختلال نظرهم وتهافت مذاهبهم (٢).

---

(١) المدارك – ٩٤/١

(٢) المصدر نفسه – ٩٥ ، ٩٦ ، الشيرازى – التبصرة في اصول الفقه – تحقيق د. محمد حسن هيتو – (دمشق – ١٩٨٠ م) – ص ٣٦١ .

وفي ترجيح المالكية من طريق الاعتبار والنظر يؤكد القاضي عياض في الاعتبار الثالث الذى يسوقه انه يحتاج الى تأمل شديد وقلب سليم من التعصب وفحواه الشريعة ومجامعها والحكمة التي يأتيها شرعها ولخصها باتباع الاوامر والنواهي والكف عن المنكرات والفواحش وتحقيق مصالح العالم وعمارته ثم استيعاب الفقه وتراجم كتبه ويخلص القاضي عياض الى القول ((ان مالكا في ذلك كله اهدى سبيلا وأقوم ميلا وأصح تفريعا وتفصيلا))(١) ويضرب بالطهارة مثلا كما هو حاله دائما فقال بأنها شطر الايمان(٢) .

ويسترسل القاضي عياض في كتابه اذ تبين ان منهجه يقوم بعدئذ على احدى وثلاثين بابا كرسها في نسب مالك بن انس وانتمائه وأله الى تيم بن مرة من قريش وبيته ونبيه ومولده وحياته وصفاته وخلقه وملبسه وحليته ومسكنه ومطعمه ومشربه وعقله وسمته وادبه ومعاشرته وشمائله وظهوره في العلم وقعوده للفتوى والتعليم وشهادة السلف الصالح واهل العلم له بالامامة في العلم بالكتاب والسنة والتقدم في الفقه والصدق في الرواية والثبات في الاثر واجماع الناس عليه واقتداء الأكابر به وتحريه في العلم والفتيا والحديث وورعه فيه وانصافه كما تضمن صفة مجالسه للعلم وما رزق في العلم من نباهة القدر والهيبة والمجد واتباعه للسنن وكراهيته المحدثات اذ قال القاضي عياض عنه كان مالك كثيرا ما

---

(١) المدارك - ١/ص ٩٦ - ٩٧

(٢) امر الله تعالى بالطهارة من الحدث والخبث وخص ذلك بالماء بقوله ((ماء ليطهركم به)) . القرآن الكريم - سورة الانفال - الاية (١١) ، المدارك - ١/ص ٩٧ .

بقصيد :

وخير امور الدين ما كان سنة   وشر الامور المحدثات البدائع (١)

كذلك عبادته وورعه وعزلته واجابة دعائه وشدته في اقامة الحدود وحكمه ووصاياه وادابه وعروجه الى ذكر تأليف الموطأ واعتناء الناس به وعروجه وصفه القاضي عياض نقلا عن ابن مهدي قال ((ماكتاب بعد كتاب الله انفع للناس من الموطأ) وذكر الشافعي ((ما في الارض كتاب من العلم اكثر صوابا من كتاب مالك)(٢) وذكر ما قيل في الموطأ من الشعر واعتناء الناس به وفي ذكر من روى الموطأ من الجلة والائمة المشاهير ويورد بابا اخر يذكر فيه تأليف مالك الاخرى في غير الموطأ واخباره مع الملوك ووعظه اياهم وحسن مقامه عند الولاة وزيارته لهم (٣) واخباره مع العلماء ومناظرته معهم ثم ذكر محنته وصدق فراسته في ذلك ووفاته واحتضاره والمراثي التي دلت على فضله عند الله تعالى ورؤيا اهل العلم الدالة على علمه وامامته وتركته فضلا عن ابواب تتعلق بمشاهير الرواة عنه من شيوخه واقرانه ممن مات قبله بمدة وتقارب موته ومن روى عنه من شيوخه واقرانه الذين تعلم منهم وروى عنهم (٤).

---

(١) المدارك - ١/ص ١٦٩

(٢) المدارك - ١/ص ١٩١ ، انظر: د. بشار عواد - المسند الجامع - ط ١ - (١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م) - م ١/ص ٧ ز، للاستعادة راجع : د. عبد العال - لهجة شمال المغرب - (القاهرة - ١٩٦٨ م) - ص ٤٠٦ ، مجلة الوعي الاسلامي - (العدد - ٩٣ - ١٩٧٢ م) - ص ٦٤ ، وانظر ايضا :

(٣) ذكر القاضي عياض نقلا عن عتيق بن يعقوب قال (كان مالك اذا دخل على الوالي وعظه وحثه على مصالح المسلمين) - المصدر نفسه - ١/ص ٢٠٨ .

(٤) المصدر نفسه - ١/ص ٢٥٤ ، ابن ابي الضياف - اتحاف اهل الزمان - تحقيق لجنة من كتاب الدولة للشؤون الثقافية والاخبار - (تونس - ١٩٦٣ م) - ط/ص ٩٩ .

وهكذا ينتهي المطاف بالقاضي عياض عبر هذه الابواب باسلوبه المركز البعيد عن الاستطراد الى قوله بما يشير الى انه كان في بداية الامر قد جمع الرواة عن مالك على حروف المعجم فاجتمع لديه اكثر من الف وثلاثمائة اسم فذكر منهم في كتابه المدارك الطبقات الثلاث وخصوصا الفقهاء ، وقال انه الغرض الذى بنى عليه كتابه هذا لتبيان منزلة مالك على ايامه واقتداء الناس به وادراكهم حقه في العلم وهو بهذا قد اقتصر على ذكر الاسم والوفاة دون التفصيلات ثم بعد ذلك يلحقه بطبقة اصحابه الفقهاء واخبارهم وما يتعلق بشؤونهم .

ففي باب من روى عن مالك من شيوخه واقرانه الذين تعلم منهم وروى عنهم يذكر كما هو موضح في الجدول الاتي رقم (١) .

جدول رقم (١)

القسم الاول

التابعون	غير التابعين	من مات قبله	من تقارب موته معه	من جالسه (اهل المدينة)	العراق والمشرق	الحجاز واليمن	القيروان	الاندلس	الشام	المجموع
٩	٨	٥	٥٦	٨	٦	٦	٧	٥	١	١١١

وممن نسقهم على حروف المعجم ذكرهم كالاتي :

القسم الثاني

باب الالف	حرف الخاء	حرف الدال	حرف الذال	حرف الراء	حرف الزاى	حرف الطاء	حرف الضاء	حرف الصاد	حرف الكاف	حرف اللام
٦	٢٥	٩	٢	٧	٢٤	٥	٤	٩	٣	٣
حرف الميم	حرف النون	حرف العين	حرف الغين	حرف الفاء	حرف القاء	حرف السين	حرف الشين	حرف الهاء	حرف الواو	حرف الياء
١٨٢	١٤	٢٥٩	٤	١٥	١٢	٥٧	٧	٢٤	٧	٦

حرف الكنى	المجموع	الكلي
١٧	٧٦٢	٨٧٣

لا تخلو من هذا الجانب وقد اتسمت ترجماته كما هو واضح من اسلوب بالطابع الجدلي ، فترجيحه لمذهب مالك يمكن ان يعد دفاعا منطقيا اذ جمع الحجج العقلية في مجادلاته لخصومه وذلك بعد تعيين موضوع الخلاف ينتقل الى التحليل والاستنتاج في تفنيد ادعاءات الخصوم محاصرا خصمه بهذه الحجج،الامر الذى لا يجد هذا الخصم مفرا من الاذعان ، واحيانا يلتجيء القاضي عياض الى السخرية بمن يحاوره (١) .

ولسنا الان بصدد تبيان المنهج الادبي للقاضي عياض في كتابه المدارك ، بقدر ما نسعى الى توضيح ما وفق اليه من اختيار الالفاظ ومحاولة توظيفها لاغراضه فضلا عن الرصانة اللغوية نجد الاصالة في التركيبات التي يمكن ان نستدل على دلالاتها التاريخية والحضارية ، ولذلك نستطيع ان نقرر طغيان الطابع الشخصي على كتابه هذا وذلك على الرغم من غلبة الطابع الروائي وقد تظهر تلك المنطلقات في الموضوعات التي كتبها وحرص على تفصيلها ولكن باساليب مختلفة ليست على مستوى واحد ، فقد اتخذ التسلسل العقلي احيانا والاندفاع العاطفي في احيان اخرى بقريحة هذبتها الدراسة (٢) وما يهمنا في هذا الصدد هو الكتابة التاريخية اذ يعتمد على الرواية ففي الفصول التي عقدها عن الطبقات يبدو ذلك واضحا ،فهو يعمد بين الحين والاخر الى تأكيد موضوعه عن المترجم له

---

(١) عبد السلام شقور – القاضي عياض الاديب – ص ١٢٣ – ١٢٤

(٢) المصدر نفسه – ص ١٣٠ .

بالتوثيق الروائي المستند على الوقائع والاحداث التاريخية .

وانا نجد ما يفيدنا فيما يتعلق بذلك وعلى سبيل التمثيل في ترجمة المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي وهو من الطبقة الاولى من اصحاب مالك فقد استهلها بقول الزبير بن بكار (١) في سلسلة نسب مالك بن انس ثم يمضي في اقوال الاخرين ومنهم ابو القاسم الالكاني (٢) والبخاري (٣) واحمد بن حنبل (٤) ويحيى بكير (٥) وهو في رواياته عن هؤلاء يزيد من التوثيق التاريخي ويعمق موضوعه بمعلومات مختلفة حول المترجم له . وقد فعل مثل ذلك مع عبد العزيز بن ابي حازم (٦) وعبد العزيز الدراوردى (٧) وزكريا بن منصور بن ثعلبة (٨) ومحمد بن دينار (٩) وغيرهم من هذه الطبقة و الطبقات الاخرى .

---

(١) المدارك – ١/ص ٢٨٢ ، انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ – ٢/ص ٥٢٨ ، فتاوى الامام الشاطبي – ص ١٩٨ .

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه ، تذكرة الحفاظ – ٢/ص ٥٥٥ ، كتاب السنن الابين – ص ١١٩ – ١٤٨ .

(٤) المصدر نفسه ، (رسائل ابن حزم الاندلسي – ١/ص ٤٢٦ ، تذكرة الحفاظ – ٢/ص ٤٣١ .

(٥) المدارك – ١/ص ٢٨٢ ، رسائل ابن حزم الاندلسي – ١/ص ٢٨٧

(٦) المصدر نفسه – ١/ ص ٢٨٦ ، ابن عبد البر – جامع بيان العلم وفضله – ح ١/ص ١٩٤ ، تذكرة الحفاظ – ١/ص ٢٦٨ .

(٧) المصدر نفسه – ١/ص ٢٨٨

(٨) المصدر نفسه – ١/ص ٢٩٠

(٩) المصدر نفسه – ١/ص ٢٩١

ومهما يكن من امــر فالمنهج الذى سار عليه القاضي عيــاض بعدئذ يشرح في محتواه طبقــات الفقهاء التي قسم الكتاب فيها فقد بـــدا بالطبقة الاولى وهي الكبرى ويوضحها الجدول رقــم (٢) باسماء الرجــــال وبلدانهم وتليهــا الطبقة الوسطى من اصحاب مالك من اهل المدينة والشـام والمدن الاخرى ويوضحها الجدول رقم (٣) وكذلك فعل بالنسبة للطبقة الثالثة (الصغرى) التي يوضحهـا الجدول رقم (٤) ووفقا لهذا الترتيب الطبقــي ينهي الطبقـات الثلاث الاولى ممن كانت له صحبة مع مالك بعدها يبـــدا برواته من التابعين من الطبقة الاولى الذين انتهى اليهم فقه مالـــك والتزموا مذهبه ممن لم يره او يسمع منه كما يوضحها الجدول الاخير رقم (٥)، كما توضحها الملاحق المثبتة .

الموضوعيــــة :

ان كتاب ترتيب المدارك موسوعة شاملة للفقه والحديث والتاريخ والادب فضلا عن انـه دراسة لتراجم الاعلام المالكيين نحو قوله ((وتتبعت ما فيه زيادة فائدة او نادرة لم تقع فيهما))(١). ويبدو ان جميـــع الموضوعات التي تطرق اليها صاحب المدارك قد اسهمت بشكل واضح في تنفيـــذ منهجه الموسوعي في كتابه اذ جعل من الموضوع الذي يهتم بدراسته وحـــدة متكاملة مترابطة وشاملة بحيث لا يضطر القارئ للعودة اليه ثانية نحـــو قوله في ترجمة ابي الطيب سعيد بن احمد ((وسيأتي ذكر ابنه ان شــــاء الله تعالى))(٢).

ومما يدل على انه كان محدثا ما ذكره ابن بشكوال قائلا ((وجمع من الحديث كثيرا وله عناية كثيرة به ، واهتمام بجمعه وتقييده))(٣) وقـد وصف الذهبي كتابه (الجامع في التاريخ)(٤) انـه اربى على جميع مؤلفاتـه ، وذكره اليحصبي في بديعة البيان (كان عالما بأيام العرب وانسابهم)(٥) وقـد تجلى اسلوبه الادبي من خلال ما ذكره المقرى في كتابه(٦) الــــذي يعـد المصدر الاول من بين المصادر الادبيـــة التي اكدت تفننه لعلـــوم اللغة والنحو والادب اذ كان من اكتب اهل زمانه خطيبا فصيحا حافظا للغـة واعرابها والشعـر .

---

(١) المدارك – ١/ص ٤٥
(٢) المصدر نفسه – ٤/ص ٧٥٤
(٣) الصلة – ٢/ص ٤٣٠ ، المعجم في اصحاب الصدفي – ص ٢٧ ، وفيـــات الاعيان – ١٤٧/٣
تذكرة الحفاظ – ٢/ص ٥٤٧
(٤) المدارك – ١/ص ٢٢
(٥) أزهار الرياض في اخبار القاضي عياض – ٤ أجزاء.
(٦)

الاختصار :

ومن المبادئ التي نفذها القاضي عياض في كتابه المدارك عنصر الاختصار والاقتصار خشية من الزيادة في حجم الكتاب وارتباط المعلومات مع بعضها اذ اهتم بتقديم ترجمة متكاملة ومختصرة في الوقت نفسه للمترجم له بحيث لا تؤثر حجم المعلومات المتوفرة لديه فيها لذلك نراه في الغالب ينتقي منها بما يتلائم مع خطة المنهج الذى انتهجه كقوله في القاضي ابي بكر بن السليم ((وهو اطول من هذا))(١) ونحو قوله ((وفي هذا كفاية ان شاء الله تعالى))(٢). نظرا لقلة المعلومات المتوفرة لديه احيانا او لطبيعة الموضوع الذى يتناوله في احيان اخرى.

ومما يلفت الانتباه انه يحيل القارئ الى احد مصنفاته لئلا يطول في الترجمة نحو قوله في ترجمة عبدالله بن ياسين الجزولي ((وقد بسطنا اخباره في كتاب التاريخ))(٣) ونحو قوله في ترجمة ابي الحسين بن سراج الاموى ((وقد ذكرته في كتاب المعجم في الشيوخ أشبع من هذا))(٤).

---

(١) المدارك - ٥٤٤/٤

(٢) المصدر نفسه - ٨١٧/٤

(٣) المصدر نفسه - ٧٨٢/٤

(٤) المصدر نفسه - ٨١٧/٤

الاسلوب :

امتلك القاضي عياض اسلوبا ادبيا واضحا في كتابه ترتيب المدارك ويبدو ان عنايته الواسعة بدراسة علم قراءة القرآن (١) دليل على اطلاعه الواسع لعلوم العربية الادب والنحو والبلاغة والشعر ، ويظهر ذلك جليا في جميع تراجمه في الكتاب ويمكن ان نستدل على ادبه نحو قوله ((الحمد لله الذى اسبغ على عباده ....الخ) وفي رسالته الى الليث بن سعد(٢) ونظم من اشعاره (٣) وبعض مصنفاته (سر السراة في القضاة ، ومجموعة خطبه الجمعية)(٤).

ولتعضيد اسلوبه في العرض استدرك مكثرا من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة التي وردت لاجل الاستشهاد بها من قبل الشخصيات التي كانت محورا في الروايات سواء كانت اثناء التحدث في الاحكام الفقهية او في مسألة دينية نحو قوله في ترجمة البهلول بن راشد ((قال الله تعالى : لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله))(٥) وقوله في محمد بن ادريس الشافعي قال ((يا قوم ، الم يقل رسول الله (ص) لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده والناس اجمعين))(٦)

(١) انظر: الفصل الاول – شيوخه في التفسير
(٢) المدارك – ١/ص ٣٩
(٣) نحو قوله : الله يعلم اني منذ لم اركم كطائر خانه ريش الجناحين
فلو قدرت ركبت البحر نحوكم فأن بعدكم عني جنا حيني
المصدر نفسه – ص ٢٥
(٤) المصدر نفسه – ١/ص ٦٤
(٥) سورة المجادلة – الآية – ٢٢ ، المدارك – ١/ص ٣٧٧
(٦) المدارك – ١/ص ٣٩٠

الدقــة والنقــد :

ان معظم المعلومات التي اوردها القاضي عياض في كتابه المدارك امتازت بالدقة العلمية والشمول والايجاز اذ تجلت اهميتها العلمية الدقيقة بالتركيز والتنسيق والشمول حتى وصفه احد الباحثين في تاريخ المغرب بأنه كان فكرا منظما(١) اذ كانت له القدرة الفائقة على التصنيف والتحليل والترتيب ومما يدل على ولعه بالتتبع والتدقيق والتحقيق والايضاح البحث عن اعلى الاسانيد والرجوع الى الاثار والروايات والنصوص الاطلية . لذلك يمكننا القول ان علم عياض امتاز بالعمق والشمول والدقة من خلال التنبيه على اسماء كثيرة للمترجم لهم وفي انسابهم وذكرهم في غير طبقاتهم لتمييز المشتبه منها نحو قوله في ترجمة احمد بن المعذل(٢) وترجمته لابراهيم بن محمد بن زيان اذ قال (ومن ذكر الشيخ ابو اسحاق الشيرازى في رواة سحنون من الاندلسين وابراهيم ابن محمد بن زيان ولا يعرف ذلك في الاندلس وقد رده عليه اهل الصنعة والاشبه انه ابن بلز وهو من جلة تلك الطبقة)(٣) ، ونقرأ في تدوينه للتواريخ المتعلقة بحكم الخلفاء والامراء الذين يذكرهم بتفصيلات مهمة محددا مدد حكمهم والالتزام بالتسلسل التاريخي لفترات الحكم هذه وخصوصا لولاة المغرب ، وبذلك يقدم لنا

---

(١) عبدالله كنون – النبوغ المغربي – ص ٥٢ – ١٠٤

(٢) المدارك – ١/ص ٤٧

(٣) المصدر نفسه – نفس الصفحة

من خلال ذلك روايات تاريخية موثقة لتاريخ المغرب والاندلس . ويظهر القاضي عياض في كتابه ترتيب المدارك ناقدا لاكثر الطبقات كما في قوله لترجمة محمد بن الحلاج ((ولم يكن يحسن تقييد الكتب)) [١] وقوله في ترجمة ابي بكر بن القرطبة (وذكر انه كان يدلس في حديثه ...ولم يكن بالضابط لروايته في الحديث والفقه) [٢] وعلى سبيل التمثيل ترجمته لسعيد بن حمدون ((ولم يكن له نفاد في شيء من العلم . وتكلم فيه) [٣] وقوله في ترجمة عبد الملك بن حبيب ((واكثر ما نجد احدهم يقول : كذب عبد الملك، او اخطأ ولا يأتي بدليل على ما ذكره) [٤] .

---

(١) المصدر نفسه - ٣٥٧/٣

(٢) المصدر نفسه - ٥٥٤/٤

(٣) المصدر نفسه - ٥٦٧/٤

(٤) المصدر نفسه - ٣/ص ٣٨

ثالثا : التراجم والانتقاد :

ركز القاضي عياض في كتابه المدارك على ترجمة النخبة المتميزة من اعلام مثقفي المالكية من كانت لهم ادوار ومساهمات واضحة لاغناء الحركة العلمية والفكرية . فضلا عن هذا ذكر من كانت لهم مكانة مرموقة في المجتمع نظرا الى ما قدموه من اعمال مؤثرة فان انتقاءاته لم تخضع لمعيار واحد اذ نجد في تراجمه شمولا نوعيا حيث ترجم للقراء والمحدثين (١) والادباء (٢) والمتكلمين (٣) والصوفية (٤) او الاطباء (٥) واصحاب المهن (٦).

---

(١) المدارك – ٤٨٦/٤ ، ٥٥٥ ، ٦١٤ ، ٧٣٧ ، ٧٦٠

(٢) المصدر نفسه – ٥٥٤/٤

(٣) المصدر نفسه – ٥٨٧/٤ ، ٧٧٦

(٤) المصدر نفسه – ٣٧٥/٣

(٥) المصدر نفسه – ٧٤٧/٤

(٦) المصدر نفسه – ٧٢٨/٤ ، ٧٧٨

الشمول في المكان والزمان :

كان كتابه شاملا لتراجم اعلام المالكية في بلدان العالم الاسلامي المختلفة بعيدا عن التمييز الاقليمي او الزمني فلم يقتصر فيه على قطر من الاقطار او مصر من الامصار لتقديم صورة واضحة عن امتداد المذهب المالكي في العالم •

ان وفرة المصادر في تلك الحقبة الزمنية حتى منتصف القرن السادس الهجرى عن بلاد المغرب والمشرق مما يجعل بعض المناطق تحظى بعناية اكبر لوفرة كمية المعلومات المتوفرة او ندرتها وعدم توفرها في فترة ما وغالبا ما تكون الخلافات السياسية والحروب تحول دون الحصول على هذه المعلومات •

من الجدير بالانتباه ان الطبقات الخمس الاخيرة انفردت بكثرة المعلومات وتوفرها عن بلاد افريقيا والاندلس ، اذ بلغت تراجم الاندلسيين (٩٨) ترجمة في الطبقة الخامسة وتراجم الافارقة (٥١) ترجمة في حين كانت حصة تراجم العراق والمشرق (٣) وهكذا في بقية الطبقات الاخرى التالية اذ بلغت حصة بلاد الاندلس (٣٨) ترجمة في الطبقة العاشرة وافريقية (١٩) ترجمة ، اما بلاد المشرق (٣) ترجمات ومصر (٣) ونحو هذا كما ورد في جدول رقم (٦) •

واتسم منهجه بالشمول الزماني اذ ترجم فيها لعلماء المالكية ما يقارب الخمسة قرون وانهى ترجمة الطبقة

الاخيرة بالفقيه السبتي ابي محمد عبدالله بن فتوح (ت ٤٦٠ هـ/١٠٦٧م) (١) في حين نراه يترجم لفقهاء من اهل القرن السادس الهجري من الطبقة العاشرة نفسها نحو قوله في ترجمة ابو حفص عمر بن حسين الهوزني (ت ٥١٢ هـ / ١١١٨م) (٢) .

---

(١) المدارك ـ ٨٣٠/٤

(٢) المصدر نفسه ـ ٨٢٦/٤ ، انظر جدول رقم (٦)

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	١١	٢٢	٥	٣	١	٢		١	٣	١			
			١					١					
	١	٢											
	١		١							٣		٥	٣
			١		١								
		١		١									
							١						
		٢						٥	٨				
		٢		٣	١	٥		٤	١١				
									١				١
									١				
		٤						١		٢		٣	
	١٠	١٣	١	١١	٢٩		٢١	١٤	١٤	٩	٢	٣	٣
	٥	٨			١٧		٢٨	٥١	٢٠	٩	٣٠	٢٣	٩
				٨					١				
	٥	٢	١	١٩	٧٢			٩٨	٧٢	٥١	٦	١٨	٨
								١	٤	٦		١٣	

رابعــــا : الترجمـــة ومميزاتهـــا :

٥ - التنظــــيم :

اهتم القاضــي عياض بتصنيف كتابه الذى تضمن ترجمة كاملة لاعلام المالكيـة فقط منذ ظهور المذهب المالكي حتى النصف الاول من القرن السادس الهجرى موضحا اسهاماتهم العلمية والفكرية والثقافيـة والحضارية وبهـذه الصورة كان قد خالف من سبقه كأبي اسحاق الشيرازى في كتابه (طبقـــات الفقهاء) وابن النديم في كتابه ((الفهرست)) اذ انهم صنفوا لفقهـــاء من مذاهب متعددة كالحنابلة والشافعية والمالكية والحنفية ولم يقصروهـــا على مذهب واحد كما فعل القاضي عياض ولكن هذا لا يعني ان المؤلف كـــان أحادى النظرة وانما كان هدفه اظهار فقه مالك الذى يستند الى الاحاديـــث الموثقـة والصحيحة ولانه لاحظ الذم للمالكية من المذاهب الاخرى لذلـــك فقد صنف كتابه المذكور لغرض الدفاع عن آرائهم عن طريق التشبث بالحجـــج المنطقية والمجادلات والردود وبهذا حاول ان يبين فضل علم اهل المدينـة على غيرها من المدن والامصار الاخرى من خلال الاحاديث التي نقلهـــا .

لقد سبق القاضي عياض عدد من المصنفين ممن اقتصروا علـــى ذكر المالكية وقد اشار الى البعض من هـؤلاء في مقدمة كتابه في الحقيقـة بدأ التصنيف في تراجم اعلام المالكية منذ القرن الثاني الهجرى (١) واستمر التصنيف والتأليف فيه خلال القرون التالية ، ولعل اقدم من صنف فـــي

(١) المدارك - ١/ المقدمة

هـذا المجال محمد ابن عبدالله بن الحكم (ت ٢٨٢ هـ /٨٩٥م) كتابـا سمـاه ((الرد على الشافعي فيما خالف فيه الكتاب والسنة)) (١) وقـد اعتمده القاضي عياض في نقولاته عن المترجم لهم وأشاد به واستمر التأليف على هذا المنوال في المذهب المالكي خلال القرن الثالث الهجري اذ صنـف اسماعيل ابن ابي اويس (ت ٢٢٦ هـ /٨٤٠ م) و (عبد الملك بن حبيب (ت ٢٣٨ هـ/٨٥٢م) (٢) وتبعهم ابو سعيد محمد بن سحنون (ت ٢٤٠ هـ/٨٥٤م) (٣) صنف كتابا سماه ((اربع مسائل في الموطأ))(٤) و(الحارث بن مسكين (ت ٢٥٠ هـ/٨٦٤م) له كتاب ((فيما اتفق فيه رأى الثلاثة ، الليث ومالـك والمفضل بن فضالة ،(٥) والزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ/٨٦٩م) صنـف كتابا (جمهرة انساب قريش) وكتاب (اخبار الموفقيات) (٦) اخـذ عنهما القاضي عياض اغلب نقولاته .

لقد تتابع التأليف في المذهب المالكي واعلامه في القرن الرابع الهجري منهم على سبيل التمثيل :

ابـو بكـر جعفر بن محمد بن المستفاض الذيابي (ت ٣٠١ هـ / ٩١٣ م) قاضي الدينور الف كتابا سمـاه (مناقب مالك)(٧) وبكـر

---

(١) المدارك ـ ٦٢/٣ تذكرة الحفاظ ـ ٥٤٧/٢
(٢) راجع عنه : الفصل الثالث (الموارد)
(٣) نفس المصدر
(٤) المصدر نفسه
(٥) انظر : مقدمة المدارك ـ المصنفات التي اعتمدها القاضي عياض
(٦) نفس المصدر
(٧) المدارك ـ ٤٧/٤

ابـن خلف المعروف بوكيع (ت ٣٠٦ هـ/٩١٨ م) الف كتابا (اخبار القضاة)(١) ومحمد بن احمد ابن تميم (ت ٣٣٣ هـ/٩٤٤ م) صنف كتابا (طبقات علمـاء افريقية وتونس)(٢) واعقبهما فيما بعد ابو عبدالله التسترى (ت ٣٤٥ هـ/ ٩٥٦ م) صنف كتابا (فضائل المدينة والحجة لها)(٣) ومحمد بن القاسـم بن شعبان (ت ٣٥٥ هـ/٩٦٥ م) تأليف سماه الرواة عن مالك(٤) كذلك محمـد بن الحارث الخشني (ت ٣٦١ هـ/٩٧١م) له كتاب (تاريخ قضاة الاندلس)(٥). ويبدو ان اكثر تعويل القاضي عياض عنه. والف ابو بكر الابهرى (ت ٣٧٥هـ / ٩٨٥)م) مصنفـا اسماه (اجماع اهل المدينة) و (فضل المدينة)(٦) وكذلـك الحال بالنسبة الى عبدالله بن ابي زيد (ت ٣٨٦ هـ /٩٩٦ م) صنـف في المذهب المالكي (الاقتداء بأهل السنة والذب عن مذهب مالك)(٧) والـف الحسن بن اسماعيل الضراب (ت ٤٩٢ هـ/١٠٠٢ م) كتابا سماه (في فضائـل مالك)(٨).

وتتابع التأليف خلال القرن الخامس الهجرى منهم على سبيـل التمثيـل .

---

(١) راجع عنه الفصل الثالث (الموارد)
(٢) نفس المصدر
(٣) المصدر نفسه
(٤) المدارك – ٣٩٤/٣
(٥) مطبوع – (مصر – ١٩٦٦ م) – انظر – المقدمة ، المدارك – ٥٣١/٤
(٦) المدارك – ٤٧/٤
(٧) المالكي – رياض النفوس – ص ٣٦ م ، المدارك – ٤٩٢/٤ – ص ١٣٧.
(٨) المدارك – ١/المصنفات التي اعتمدها القاضي عياض – ص ٢١ ، الديبـاج

عبـــــد اللـــه بن محمد بن يوسف الازدي ابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ /١٠١٢م) صنف كتابا سماه (تاريخ علماء الاندلس)(١) ولعله كان في طليعة المصادر التي استقى القاضي عياض معلوماته عنه. والف ابو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ/١٠١٢م) عـــدة مصنفات ذكرها المؤلـــف في كتابه المدارك نقلا عن شيخه ابـــي علي الصدفي (امالي اجماع اهل المدينة) وكتاب (الانصاف) (٢) نقـــل المؤلف معلوماته عنهما. والف محمد بن عبدالله الحاكم النيسابـــوري (ت ٤٠٥ هـ /١٠١٤م) كتابـــا اشار اليه المؤلف في نقولاته سمـــاه (معرفـــة علوم الحديث)(٣) كما صنف ابو عمـــر الطلمنكي (ت ٤٢٩ هـ/١٠٣٧م) كتابـــا (فضائل مالك ورجال الموطأ)(٤) فضلا عن هـــؤلاء صنـــف ابو ذر الهـــروي (ت ٤٣٥ هـ/١٠٤٣م) كتابـــا سمـــاه (فضائل مالك بن انس)(٥) ذكره المؤلف في نصوص عديدة من كتابه ، وصنف ابو اسمت (ت ٤٤٦ هـ/١٠٥٤م) كتابـــا سمـــاه (طبقات الفقهاء)(٦) نـــوه اليه القاضي عياض مرات عديدة من خلال نقولاتـــه في المدارك. واعقبه في التصنيف عبدالله ابو بكر المالكي (ت ٤٥٣هـ/١٠٦١م) يعـــد كتابـــه (رياض النفوس) (٧) اشهر ما صنف في المذهب المالكي خـــلال القرن الخامس الهجرى ويبدو واضحا انه في طليعة المصادر الاولية الـــتي اخذ عنهـــا المؤلف اغلب نقولاته على الرغم من انه ترجم فيه لعلماء المالكية بصورة مختصرة ولكن فائدتـــــه تكمن في ترتيبه على شكل طبقات.

---

(١) انظر : الفصل الثالث (الموارد)

(٢) الاول مفقودوالثاني مطبوع ، المدارك – ٦٠١/٤ ، ٦٣٣

(٣) مطبوع – راجع عنه – الفصل الثالث (الموارد)

(٤) مفقود – المدارك –٧٥٠/٤، تذكرة الحفاظ – ١٠/٨/٣ ، الفصل الثالث (الموارد)

(٥) مفقود – المدارك – ٦٩٨/٤

(٦) مطبوع – المدارك –/ص ٣١ ، للاستزادة راجع عنه – الفصل الثالـــث (الموارد)

(٧) مطبوع – ط ١ (القاهرة – ١٩٥١م) ، معالم الايمان – ٢١٥/٣ .

والف صاعد بن احمد الاندلسي (ت٤٦٢ هـ/١٠٩٨م) مصنفا في الطبقات سماه (طبقات الامم) (١) ترجم فيه لعدد من أعلام المذهب المالكي وتبعه فيما بعد المؤرخ المشهور ابن عبد البر القرطبي(ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) اذ الف مصنفات عدة لعل اهمها كتاب (جامع بيان العلم وفضله) وكتاب (الاستيعاب)(٢) ذكرهم المؤلف من خلال نقولاته. واعقبهم الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ/١٠٧٠م) صاحب كتاب (تاريخ بغداد)(٣) وكتابه (تراجم رواة مالك)(٤) ذكره المؤلف في مواضع عدة من كتابه المدارك واثنى عليه .

ولعل اشهر من اهتم بالتأليف واعقب من سبقوه من العلماء والمصنفين ابن حيان الاندلسي (ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦م) صنف كتابه المسمى (المقتبس من انباء اهل الاندلس)(٥) ويبدو من اسماء المصنفات التي ذكرتها سابقا ان معظمها ردود افعال ودفاع للمذهب المالكي . واستمر التصنيف في المذهب المالكي خلال القرن السادس الهجرى منهم . يوسف بن عياد الاندلسي (ت ٥٧٥ هـ/١١٧٩م) له كتاب (طبقات الفقهاء) (٦) من زمن ابن عبد البر سنة ٤٦٣ هـ الى وقته ، وابن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ/١١٨٢م) صنف كتابه (الصلة) (٧) في جزأين ترجم فيه لاعلام المالكية ممن ذكرهم

---

(١) مطبوع – انظر : الفصل الثالث – (الموارد).
(٢) مطبوعات – انظر – المصدر نفسه
(٣) مطبوع – انظر: الفصل الثالث (الموارد)
(٤) مفقود في الوقت الحاضر ، المدارك – المقدمة ، الرسالة المستطرفة ص ١١٣.
(٥) مطبوع – تحقيق د– محمود علي مكي – طبعتين – الطبعة الاولى– (القاهرة – ١٣٩٠ هـ/١٩٧١م) والطبعة الثانية – (بيروت – ١٣٩٣ هـ/١٩٧٣م) .
(٦) مفقود حاليا . المدارك – ١/ص ٣٢–٣٣ .
(٧) مطبوع – لزيادة حجم المعلومات انظر: الفصل الثالث (الموارد)

القاضي عياض في كتابه المدارك علما بأنه كان احد تلامذته .

كما تتابع التأليف خلال القرون الاخرى التالية ففي القرن الثامن الهجري الف احمد بن علوان المصري (ت ٧٨٧ هـ/١٣٨٥م) التونسي كتابا مختصرا لاعلام المالكية سماه (اختصار المدارك)(١). وصنف ابن فرحون (ت ٧٩٩ هـ/١٣٩٦ م) كتابا سماه (الديباج المذهب لمعرفة اعيان المذهب)(٢) . ويبدو ان الكتاب قد ذيل عليه بدر الدين القرافي(٣) . واعقبهما في التأليف ابو العباس احمد بابا التنبكتي (ت ٩٥٥ هـ/١٥٤٨م) كتابا سماه (نيل الابتهاج بتطريز الديباج)(٤) اختصر فيه الديباج المذهب لابن فرحون . ثم اعقب هؤلاء محمد بن مخلوف قاضي المنستير اذ صنف كتابا سماه (شجرة النور الزكية في طبقات المالكية)(٥) ترجم فيه لفقهاء المالكية من علماء تونس وبلاد المغرب . كذلك الف ابن الدباغ (٦٩٩هـ/١٢٩٩م) كتاب (معالم الايمان)(٦) في اربعة اجزاء .

---

(١) مفقود حاليا . المدارك - ١/ص ٣٢ ، احمد بابا التنبكتي - نيل الابتهاج - ص ٧٤ .

(٢) الكتاب مطبوع - ط ١ - (مصر - ١٣٥١هـ /١٩٣٢م) .

(٣) المدارك - ١/ص٣٢

(٤) مطبوع - ط ١ - (مطبعة السعادة - القاهرة - ١٣٢٩ هـ/١٩١١م)

(٥) مطبوع - المطبعة السلفية - (القاهرة - ١٣٥٠ هـ/١٩٣١م)

(٦) مطبوع - (تونس - ١٣٢٥ هـ/١٩٠٦ م)

نظــام الطبقـــات :

الطبقة لغة مشتقة من طبق ، وطبق كل شيء ما ســاواه ومجموعه اطباق ، وتأتي الطبقة بمعنى ، الجماعة من الناس ، وطبقات النـــاس ومراتبهم [١] اذن مفهوم الطبقة يدل على (أناس يرجعون الى طبقة او صنف في تعاقب زمني للاجيال) [٢].

لقد اختلف مفهوم الطبقة عند المؤرخين واللغويين فـي تحديد الفترة الزمنية للطبقة الواحدة ، فمنهم من حددها زمنيا ب (عشرين سنة) [٣] والبعض الاخر ب (خمسة وعشرين او ثلاثين سنة) [٤] نوه اليها ابن سعد (ت ٢٣٠ هـ/٨٤٤م) تعني (القوم المتشابهين من حيث تقاربهم في السن) [٥]

رتب القاضي عياض كتابه المدارك وفق نظام التقسيم على الطبقات نحو قوله ((واتسقت طبقات التصنيف ، فأبتدأنا بذكر الفقهاء من اصحاب مالك خاصة ، ثم اتباعهم طبقة طبقة وأخلافهم امة بعد امة ، الى شيوخنا الذين ادركناهم وأئمة زماننا الذين عاصرناهم ، على حسب تقدم ازمانهم

---

(١) راجع ابن منظور ـ لسان العرب ـ ج ٧٨/١٢ ، الزبيدى ـ تاج العروش ـ (كويت ـ١٩٧٥م) ـ ج ٦ /٤١٤.

(٢) روزنثال ـ علم التاريخ عند المسلمين ـ ص ١٣٣.

(٣) لسان العرب ـ المصدر نفسه ـ ٧٩/١٢

(٤) بشار عواد ـ الذهبي ومنهجه في كتاب الاسلام ـ ٢٨٢

(٥) انظر : اكرم ضياء العمرى ـ بحوث في تاريخ السنة المشرفة ـ (بغداد ـ ١٩٦٧ م) ـ ص ٥٢ .

وتعاقب أوقاتهم))(١) اذ رتبهم على ثلاث طبقات ممن عاصروا الامام مالك بن انس واخذوا وسمعوا عنه ، ثم اتباعهم واخلافهم الذين لم يسمعوا عنه نظمهم في طبقة جديدة بعد ان اكمل الطبقات الثلاث الاول (٢) اطلق عليها اسم (الطبقة الاولى عن اصحاب مالك ممن لم يره ولم يسمع عنه)(٣) .

قسم المؤلف تراجمه الى وحدات زمنية واعتمد في تقسيمة الزمني المذكور على سنة وفاة المترجم لهم .

رتب الطبقة الاولى التي اطلق عليها الكبرى وفقا للتسلسل التاريخي الزمني للمترجم لهم ((فيمن توفي قبل المائتين)) نحو قوله في ترجمة عبد العزيز الدراوردي (ان موته كان سنة سبع وثمانين ومائة بالمدينة)(٤) والثانية الوسطى((فيمن توفي بعد سنة المائتين))نحو قوله في ترجمة محمد بن رمح بن سلام ((توفي سنة اثنين واربعين ومائتين))(٥) اما الثالثة الصغرى ((فيمن توفي ما بين المائتين والثلاثمائة)) نحو قوله في ترجمة الزبير بن بكار ((توفي سنة ست وخمسين ومائتين)(٦) ونظم كل هذا بصورة دقيقة وفي تقسيمه للطبقة لم يلتزم بتجديدها بفترة زمنية متكاملة كالمائة عام بل ينتقل الى طبقة جديدة مكملة للطبقة الاولى نحو قوله في ترجمة عبدالله بن عبد/الحكم

---

(١) المدارك - ٤٦/١ ، اشار ابن منظور نقلا عن ابن الاعرابي . ((الطبق الامة بعد الامة)) - لسان العرب - ٧٩/١٢ .

(٢) المصدر نفسه - ٥٤٧/٢

(٣) المصدر نفسه - ٥٤٨/٢

(٤) المدارك - ٢٩٠/١

(٥) المصدر نفسه - ٥٣٤/٢

(٦) المصدر نفسه - ٥١٤/٢

في الطبقة الصغرى الاخيرة ((توفي سنة احدى وتسعين ومائة))(١) وبعد ان ينهي الطبقات الثلاث الاول يذكر لنا طبقة جديدة من رواة مالك ممن لم يره ولم يسمع عنه ويقسمها بدوره الى عشر طبقات وحصر الطبقات الثمان الاولى بالفترة الزمنية لوفاة المترجم لهم ((فيمن توفي بين المائتين والثلاثمائة وبين الثلاثمائة والاربعمائة)). أما الطبقات الاخيرتان التاسعة والعاشرة فقد حددها بين الاربعمائة الى ما بعد الخمسمائة الذين ادركوا عصر المؤلف ومن توفي قبله وكان قد حضر وفاته نحو قوله في ترجمة ابي حفص عمر بن حسين الهوزني من الطبقة العاشرة الاخيرة ((توفي سنة اثنتي عشرة وخمسماية ،(٢) . ويبدو انه قسمهم وفقا الى مكانة المترجم لهم احيانا لانهم من النشطاء المالكيين الذين لهم باع طويل على الرغم من الاختلاف الزمني لانه باعتقاده لا يرقى الى الطبقة الاولى حتى لو كانوا من الفترة الاولى .

فضلا عن استخدامه للطبقة بوصفها وحدة زمنية جعل سنة الوفاة اساسا لتقسيم الطبقة كما كان يؤخذ عن شيوخه بطريق اللقاء والسماع والمشاهدة كما لاحظناه في الطبقة العاشرة التي انتهى بهم فقه المذهب المالكي في عصر القاضي عياض بعيدا عن سنة وفياتهم نحو قوله في ترجمة سراج بن عبدالله الاموى ((لقيته رحمه الله بقرطبة))(٣) وقوله في ترجمة ابي يعلي أحمد بن محمد العبدى ((وقد ذكرته في معجم المشيخة وتأخرت وفاته))(٤) ونحو قوله ((وتوفي عبد الواحد هذا

---

(١) المصدر نفسه - ٥٢٨/٢
(٢) المصدر نفسه - ٥٣٦/٤
(٣) المدارك - ٨١٧/٤، لزيادة المعلومات راجع :روزنثال-علم التاريخ - ص ١٢١.
(٤) المصدر نفسه - ٧٩١/٤

سنـة اربع وخمسماية وقد رأيته أنـا))(١).

لقـد عـدّ القاضي عياض سنـة الوفاة معيارا اساسيـا للتقسيم على الطبقة نحو قوله ((وأردنا ان نذكر نبـذة من مشاهير مـن روى عن مالك مقتصرين على الاسماء والوفاة (٢) الى جانـب ذلك أستخـدام الترتيب وفق حـروف المعجم تقريبا وترتيبا)(٣) مبتدءا بحرف الالف ذاكـرا من اسمه احمـد (٤) ومنتهيا بحرف الكنى (٥) .

من الجدير بالملاحظة ان الاسمـاء المركبـة الملحقةب (عبد) اتبع فيها الترتيب المعجمي اذ ابتدأها باسم عبدالله وبعدها باسـم عبدالرحمن (٦) وهكـذا .

اما الاعلام المالكية الذين عرفوا بكناهم في اغلب الاحيـان وضعهم في الطبقة الاخيرة (٧) ولكن هذا لا يعني ان الطبقات السابقة لا تخلـو من كناهـم ولعل السبب يعود الى انـه كتب في شـتى انواع الطبقات فـي آن واحـد .

---

(١) المصدر نفسه ـ ٨٢٨/٤

(٢) المصدر نفسه ـ ٢٥٤/١

(٣) المصدر نفسه ـ ٢٥٩/١ ، ٢٦٠ ، انظر الجدول رقم (١)

(٤) المصدر نفسه ـ ٢٦٠/١

(٥) المصدر نفسه ـ ٢٧٨/١

(٦) المصدر نفسه ـ ٢٦٧/١ ، ٢٦٩

(٧) المدارك ـ ٧٩١/٤ ، ٨٣٠

٠٢ الترجمة وحجمها :

اهتم القاضي عياض بتقديم ترجمة كاملة ومع ذلك فقد بلغ قسم من تراجمه احيانا حدا من الطول بحيث يصلح لان يكون كتابا قائما بذاته ، وفي احيان اخرى بلغت حدا من القصر بحيث لا تتعدى الترجمة سطرا واحدا او بضع كلمات(١).

ولعل اسباب هذا الاختلاف في بعض التراجم يعود الى المعلومات المتوفرة لديه عن المترجم له او ندرتها ، اذ بلغت احيانا حدا كبيرا بحيث اختصر المؤلف النصوص المطولة الحاصلة في بعض من تراجمهم(٢) وغالبا ما يحيل القارىء(٣) لاجل الابتعاد عن التضخم في المادة واطالتها نحو قوله ((كتب عنه غير واحد))(٤) وقوله ((وشي اطول من هذا))(٥) وكذلك قوله ((ذكره ابن حيان))(٦) .

---

(١) انظر من تراجمه المطولة على سبيل التمثيل ترجمة ابي العرب احمد بن تميم – ٣٣٤/٣، وحمديس القطان – ٢٥٤/٣، وعيسى بن مسكين –/٢١٢، وابن طالب القاضي – ١٩٤/٣ ، وابو اسحاق الجنياني – ٤٩٧/٣، واحمد ابن المعذل – ٥٥٠/٢ ،وابو محمد عبدالله بن فروخ الفارسي –٣٣٩/١،واسماعيل بن اسحاق القاضي – ٨٤٠/٣ ، ومن تراجمه القصيرة على سبيل المثال ترجمة ابي محمد بن هاني البيرى –٨٢٨/٤ ، وابو الحسن ابن سليمان – ٧٧٤/٤ ، وعبد الجليل بن مخلوف الصقلي –٧٧٦/٤ ، وابو عثمان بن ابي سوار –٧٧٨/٤، وداود بن عمر –١٩٠/٣، وابو شير محمد بن عبدالله بن الغازى –١٩٣/٣.

(٢) المدارك –٤٢٤/٢

(٣) المصدر نفسه –٣٨٦/١ ، ٣٩٩، انظر من هذا الفصل – مبحث الاختصار

(٤) المصدر نفسه –٥٦٠/٤

(٥) المصدر نفسه –٥٤٥/٤

(٦) المصدر نفسه –٨٢٩/٤

ويبدو من العوامل الاساسية التي اسهمت في اطالة بعض التراجم الانجازات العلمية والفكرية والثقافية للمترجم لهم على سبيل التمثيل نحو قوله في ترجمة ابي بكر الباقلاني اذ أسهب القاضي عياض في ((نقل مناظراته المشهورة مع الفرق واخباره))(١) بغية اظهار قدراته الفكرية وقد يستهوى القاضي عياض بعض نتاج المترجم له فيسترسل في الحديث عنه، وبيان قيمته العلمية نحو قوله في ترجمة الباقلاني ((قال الميورقي :حسبت تواليف القاضي ، واملاءاته ، قسمت على ايام عمره من مولده الى وفاته))(٢) كما ويكمن سبب التطويل والاسهاب في اغلب الاحيان من خلال ذكر معلومات تاريخية تتناول جانبا او مسألة دينية وفقهية نحو قوله في ترجمة جبلة بن حمود الصدفي اذ افرد مبحثا في ((ذكر شدته على اهل البدع ومجانبته اياهم))(٣) وقد بدا واضحا من اشارة صاحب المدارك الى المترجم له وكيفية وقوفه بحزم تجاه تلك الحركات . وقوله في ((ورعه وعبادته وتواضعه وزهده))(٤) .

---

(١) المدارك - ٥٨٩/٤

(٢) المصدر نفسه -٥٨٨/٤

(٣) المصدر نفسه -٢٥١/٣

(٤) المصدر نفسه -٢٢٣/٣

٠٣ الاحـــالات :

اختلفت انواع الاحالات في كتاب المدارك منهـا ما هو محاولـة لـربط اجـزاء بعضهـا بالبعض الاخـر، او لموضوعات سابقـة ولاحقـة كما في قولـه ((وسيأتي ذكرهما في طبقتهما))(١) وكذلك احالاته الكثيـرة الى التراجم التي سبقت او التي ستأتـي نحـو قولـه في ترجمة ابـي الحسن علي بن زياد الاسكندراني ((وقد ذكرناه في باب علي بن زياد التونسي في الطبقة قبل هذا، وذكرنا اخباره وفضائلـه هناك))(٢) وقولـه ((تقـدم ذكره عند ذكر ابيـه وجـده في الطبقة وهناك بقية اخباره))(٣) و((ذكرنـا عنه طرفـا في خبر يحيى بن مضـر في الطبقـة الاولـى))(٤).

كان القاضي عياض قد صنف كتبا مستقلة وقد احال قسما مـن نصوص كتابه ترتيب المدارك اليها نحو قوله في ترجمة ابي يعلي العبـدى ((وقد ذكرته في معجم المشيخة))(٥)

ان مثل هذه الاحالات تشعر القارىء بدقة المؤلف واحاطتـه بموضوعاته وبقصد الاختصار وعدم التضخم بالرغم من ان كتابه كـان كان موسوعيا شاملا .

---

(١) المدارك - ٥٠٥/٢

(٢) المصدر نفسه -٤٦٥/٢

(٣) المصدر نفسه - ٣٧٩/٢

(٤) المصدر نفسه - ٤٩٢/٢

(٥) المصدر نفسه - ٧٩١/٤

٥- التكــــرار :

كمــا اوضحنــا سابقــا كان القاضي عياض قد انتهج في منهجه نظــام الترتيب على الطبقات وهذا ما جعلــه يدقق في تواريخ وفيات تراجمه وترجيح احداها على الاخرى عند اختلاف آراء المؤرخين في ضبطها[1] على الرغم من ان هذا التــدقيق كان ضروريا لمنع حدوث تكرار التراجم الا ان ثمــة تراجــم قد تكررت ، ففي التراجم التي لم يستطع القاضي عياض البت فيــه برأى نهائي نراه يذكــرها في الطبقــة الاتية كقوله : ((وسنذكره ان شــاء اللــه تعالى))[2] وقولــه ((وقد تقدم مولده))[3] .

---

(١) المدارك ـ ٣/٩

(٢) المصدر نفســه ـ ٤/٧٠٨

(٣) المصدر نفسه ـ ٣/٢٩٠

٥. الاسماء والمواضع وضبطها :

اهتم القاضي عياض بضبط الالفاظ التي تتعرض الى تصحيف او تحريف في كتابه سواء كان هذا اللفظ في اسم المترجم له او نسبته او بلده وفقا لما جاء في مقدمة كتابه (فأنبأنا باسمائهم وأعربنا عن القابهم وانسابهم وقيدنا مهملها لئلا يقع فيها تصحيف ، وأرخنا عليه مشكلها ليأمن من اطلع عليها من التحريف))(٤) من ذلك قوله في ترجمة عبدالملك بن الماجشون ((الفقيه من ماجشون موضع بخراسان نسبوا اليه الماجشون المورد بالفارسية ((سمي بذلك لحمرة في وجهه)) ونحو قوله وقال أخر ((ابو اليمان وهو تصحيف من ابي تمام))(١) وتبرز قدرته في ضبط الالفاظ وعنايته بتقييدها في الحروف المتشابهة من خلال استعماله لذلك ادق التعابير وأوجزها ، كما في قوله في ترجمة محمد بن ابي ركين ((اسمه ركيز بضم الراء مصغرا))(٢) وقوله في ترجمة ابن جبر الحضرمي ((وضبط اسمه واسم جده بجيم مفتوحة وباء بواحدة ساكنة ، وراء))(٣) وقد فسر بعض الاحيان الالفاظ من الناحية اللغوية والبلاغية) كما جاء في ترجمة عجنس بن اسباط الزيادى ((بفتح الزاى ، وبعدها ياء ، بواحدة من اسفل))(٤) وقد غلب على السنة الفقهاء

---

(١) المدارك - ١/٢٨٦

(٢) المصدر نفسه - ٢/٥٧٧

(٣) المصدر نفسه - ١/١٩٢

(٤) المصدر نفسه - ٣ /١٦٥

احمد بن المعذل(١) بعضهم قال ((بدال مهملة وصوابه بمعجمة))(٢). كما كان بضبط الالفاظ اينما وردت في الترجمة واستعمال لادق التعابير واحيانا بتوهم في بعض موارد المترجم له وبعدها يصوب ما ذكره نحو قوله في ترجمة ابو عباش بن مخلد ، قال بن ابي وليم ((وكنيته ابو العياشي بياء واحدة ، قال القاضي عياض : (وهو وهم لاشك فيه او من النقلة وصوابه ابو العياشي ، بياء باثنين من اسفل) (٣).

---

(١) انظر ترجمته في الفهرست لابن النديم ـ طبعة لايبزج ـ ص ١٩٩ ، الديباج المذهب ـ ص ٣٠ ، ابن حزم ـ الاحكام ـ ٨٩/٥

(٢) المدارك ـ ٤٧/١

(٣) المصدر نفسه ـ ٢٦٧/٣

٦- شمول عناصر الترجمة :

اشاد المؤلف من خلال ترجمته لاعلام المالكية بمكانتهم العلمية واسهاماتهم في الثقافة العربية الاسلامية وهذا مما يلفت انتباه القارئ انه قسما من تراجمه المطولة تمتاز بصفتي التنظيم والوضوح اللتين اتصف بهما منهجه في الترجمة وتعكس لنا صورة واضحة عن المنهج العام الذى نهجه المؤلف في ذكر محتويات الترجمة بشكل دقيق ومنظم يصل في بعض الاحيان حدا لان يضع عناوين متعددة بشكل مباحث وفصول في ترجمة العلم الواحد نحو قوله في ترجمة ((ابي بكر الباقلاني))(١) و((سعيد بن سحنون))(٢) و ((عبد الله بن عبد الحكم))(٣) و ((ابي الحسن القابسي))(٤) و ((يحيى بن يحيى الليثي))(٥) و ((اسحق بن اسماعيل بن حماد))(٦) وابي مروان بن عبد الملك بن حبيب))(٧) وبهذا نستطيع تحديد ما تتضمنه الترجمة من عناصر اساسية للمترجم لهم منها.

---

(١) المدارك - ٣٠/٥٨٧

(٢) المصدر نفسه -٢/٥٨٥

(٣) المصدر نفسه -٢/٦٢

(٤) المصدر نفسه -٤/٦١٦

(٥) المصدر نفسه -٢/٥٣٤

(٦) المصدر نفسه -٣/٨٤٠

(٧) المصدر نفسه - ٣/٣٠

أ. الاســـم :

بـدأ القاضي عياض بذكر اسم المترجم له واسم والده وجده وقد يكتفي احيانا بذكر اسم العلم واسم والــده وفــي احيان اخرى يقتصر على ذكـر اسم العلم دون ذكر اسم ابيـه وجده نحو قوله (في ترجمـة ابي محمد التونسي)(١) ويحيى ابن حمود الاسكندراني)(٢) كذلك (ابـي عبدالله محمد ابن سعدون بن علي بن بلال القروى)(٣).

كما عني المؤلف بتسلسل نسب قسم منهم وخاصة اذا كان احـد اجداده من الصحابة نحو قوله في ترجمة (مصعب بن عبداللهبنمصعب ... بـن الزبير ابن العوام)(٤) وذكر من كانت له شهرة من ذوى احد البيوتـات المتميزة نحو قوله في ترجمة (المغيرة بن عبدالرحمن المخزومي)(٥) وقوله في ترجمة (عثمان بن الحكم الجذامي من بني نصـر)(٦) و (سراج بن عبدالله بن محمد بن سراج الاموى)(٧).

وقد يكتفي احيانا بذكر اسم المترجم له واسم ابيه وجده ويذكر انه من ولد فلان كما في قوله (انه من ولد حاطب بن ابي بلتعة)(٨) وقولـه (ومن ولد الاصبغ بن هشام بـن الحكم بن عبدالرحمن بن معاوية)(٩) وفـي ترجمته للقاضـــي ابي بكربن السليم قيل (ان عبدالله جده رومي)(١٠).

---

(١) المدارك - ٧٩٣/٤
(٢) المصدر نفسه - نفس الصفحة
(٣) المصدر نفسه -٧٩٩/٤ ، ٨١٠ ، ٨١٧ ، ٨٣٠
(٤) المصدر نفسه -/٣٧٩
(٥) المصدر نفسه - ٢٨٢/١
(٦) المصدر نفسه -٣٠٩/٢
(٧) المصدر نفسه -٨١٥/٤
(٨) المصدر نفسه - ٣٤٩/٢
(٩) المصدر نفسه -٧٤٢/٤
(١٠) المصدر نفسه -٥٤١/٤

الى جانب هذا نبه المؤلف الى الاختلافات التي تقع في اسم المترجم له او اسم ابيه وجده نحو قوله في ترجمة المغيرة بن عبدالرحمن قيل(ابن مخزوم، وابن عياش)(١) وترجمته لعبد الرحيم بن أشرس (نسبه ولم يسمه)(٢) اذ اختلف في اسمه. وقوله في عمر بن قاضي القضاة ابن حماد بن زيد (كذا اسمه وقد وهم في اسمه)(٣) ونحو ترجمته للشهرزوري اذ قال (واحسب ان اسمه محمد بن منصور)(٤) وفي ترجمته لابي الفضل بن عروس (ذكراسمه هكذا، الشيخ ابو بكر بن ثابت الحافظ في تاريخ البغداديين، وكذا قال السمنطارى ، وسماه الباجي عبدالله والاول اثبت واصح)(٥) ونظرا لاختلاف الاسماء نراه يرجح رواية على اخرى نحو قوله في ترجمة ابو سعيد بن يونس اسمه عبد الرحمن وقد اعتمد القاضي عياض على رواية المالكي نحو قوله (رجح المالكي اسمه العباسي)(٦).

ويضاف الاسم احيانا القابا علمية دالة على اتجاهات المترجم له العلمية والثقافية والدينية والسياسية نحو قوله (الشيخ) و(الحافظ) والامام و(المقرئ) و (الشاعر) و (الاديب) و (الكاتب) و (القاضي) و(قاضي القضاة) و(الوالي) (٧) وغيرها.

---

(١) المدارك -٢٨٢/١

(٢) المصدر نفسه - ٣٢٩/١

(٣) المصدر نفسه - ٢٧٨/٣

(٤) المصدر نفسه - ٦٩٨/٤

(٥) المصدر نفسه - ٧٦٣/٤

(٦) المصدر نفسه - ٣٢٩/١

(٧) المصدر نفسه - صفحات كثيرة

اما الكنى فغالبا ما كان يذكر كنية واحدة للمترجم له واحيانا يورد له اكثر من واحدة كنيتين او ثلاث نحو قوله في ترجمة ابن جبر الحضرمي ((وله كنيتان ابو عبد الرحمن ويقال ابو احمد))(١). وكذا الحال بالنسبة الى قوله في ترجمة عبد العزيز بن ابي حازم (له ثلاث كنى) كناه غير واحد ابو تمام وكناه الشيرازى ابو عبدالله ، وقال اخر ابو اليمان والاول اصح) (٢) .

---

(١) المصدر نفسه – ١٩٣/٣

(٢) المصدر نفسه – ٢٨٦/٢

فضلا عن ذلك فقد اظهر القاضي عياض اهتماما كبيرا بنسبتهم الى القبائل العربية نحو قوله (المعافرى الخامرى) و(الاسدى القريشي)(١) و (ابن خفاجة التميمي)(٢) ونسب قسم من الاعلام المالكية ممن انتسب الى القبائل العربية بالولاء نحو قوله : (محمد بن دينار الجهيني مولاهم ...)(٣) وقوله (مولى بني الاجم)(٤) و (مولى ال جعفر بن ابي طالب)(٥) وهكذا.

اما بالنسبة الى المكان فكان يشير في اغلب الاحيان الى المكان العام للمترجم لهم نحو قوله (البغدادى) و (البصرى)و (الانطاكي) و (التونسي)(٦). فضلا عن هذا اهتم المؤلف في ذكر اسم الشهرة للمترجم له نحو قوله (المعروف بابن بنت خلدون) و (ابن صاحب الخمس) و (ابن الصابوني)(٧) ونوه ايضا الى انتساب المترجم لهم مكانيا من حيث انتساب اجداده له او التي سكن واستقر بها نحو قوله (شجرة بن المعافرى الاندلسي الاصل نزيل تونس)(٨) وابدى اهتماما واسعا في الاشارة الى من انتسب الى مدن اعجمية موضحا الاصول العربية لهم نحو قوله في ترجمة عبد العزيز الاندراوندى ((منسوب الى دراوند في بلاد فارس))(٩) وكان غرضه من ذلك من ذلك عكس صورة واضحة عن الصفة

---

(١) المدارك - ٣١٢/١ ، ٣٧٣
(٢) المصدر نفسه - ١٩٤/٣
(٣) المصدر نفسه - ٢٩١/١
(٤) المصدر نفسه - ١٩٢/٣
(٥) المصدر نفسه - ٥/٣
(٦) المصدر نفسه - ٧٦٣/٤ ، ٧٦٤ ، ٧٦٦
(٧) المصدر نفسه - ٧٧٢/٤ ، ٧٧٦ ، ٧٧٩
(٨) المصدر نفسه - ١٢/٣
(٩) المصدر نفسه -٢٨٨/١

العربية للعلماء المسلمين الذين نسبوا الى مدن غير عربية لاسباب سياسية او مذهبية .

ومن الجدير بالانتباه اشار الى بيت المترجم لهم ، مبرزا ذلك بعبارات دالة نحو قوله (كان من اهل العلم والعناية)[1] و (نباهة بيتهم)[2] و (من اهل بيت علم وشرف شهير)[3] ويذكر من كانت له شهرة علمية او ادارية من اهله واصحابه نحو قوله في ترجمة ابي الحسن بن سي (من اصحاب ابن بكرون)[4] وقوله (اليه انتهت رئاسة بلدهما ، بعد ابويهما)[5].

---

(١) المصدر نفسه ٣-٤٣٨/

(٢) المصدر نفسه ـ ٤٣٩/١

(٣) المصدر نفسه ـ ٤٥٥/١

(٤) المصدر نفسه ـ ٢١٨/١

(٥) المصدر نفسه ـ ٧٥٥/٤

ب. اللقب :

اشار القاضي عياض الى القاب عديدة منها ما اتخذ سمة سياسية او علمية نحو قوله في ترجمة الحسن بن سراج الاموي (شيخنا الوزير)(١) وقوله في الزبير بن بكار (علامة قريش في وقته)(٢) ومنها ما هو ديني نحو قوله في ترجمة سعيد بن سحنون (راهب هذه الامة)(٣) و (امام الاندلس)(٤) وفي ترجمته لابن بكير (محدث بلدنا)(٥) وقوله في ابي علي الصدفي (الحافظ قاضي قضاة الشرق)(٦) وغالبا ما تأتي هذه الالقاب في نهاية المترجم له .

---

(١) المدارك - ٨١٥/٤

(٢) المصدر نفسه - ٥١٤/٣

(٣) المصدر نفسه - ٥٩٢/٢

(٤) المصدر نفسه - ٨١٦/٤

(٥) المصدر نفسه - ٥٢٨/٣

(٦) المصدر نفسه - ٨٠٤/٤

٥ - الشهـــرة بالاســـم :

لاجـــل التعـريف بالمترجم لـه اهتم القـاضي عياض بذكـر اسم الشهرة قبل ذكـره اسـم العلم وقـد ورد بالفـاظ متعددة منهـا (المعروف ، يعرف ، يقال لـه) نحو قولـه (المعروف بابن الباقلاني)(١) وقولـه (ويعـرف بأبـي علي بن المصباح)(٢) وحين لا يكون متأكدا مـن الاسم يكرره نحو قولـه (ويقال الحسن ويقـال عبدالرحمن بن الجلاب)(٣) وغالبـا مـا يأتي اسم الشهرة بعد ذكـر اسـم المترجم له نحـو قولـه (عبد الرحمن بن محمد الملقب بالورقة)(٤) وقولـه (ابن طالـب القاضي)(٥) فضـلا عن تفضلـه لقسم من هذه الاسمـاء عندما تتوفر لديـه بعض المعلومات نحو قولـه في الدراوردي وسمـي بذلك نسبة الـى دراوند في بـلاد فارس وبها كان منزلـه)(٦) .

---

(١) المصدر نفسه ـ ٥٨٧/٤

(٢) المصدر نفسه ـ ٦١٣/٤

(٣) المصدر نفسه ـ ٦٠٥/٤

(٤) المصدر نفسه ـ ٢٢٩/٣

(٥) المصدر نفسه ـ ١٩٤/٣

(٦) المصدر نفسه ـ ٢٨٨/١

• الشهـرة العلميـة :

ان هذا الموضوع من المواضيع التي غلبت على كتـاب المـدارك للقاضي عياض خاصة وكتب التراجم عامة لشهرة العلماء العـرب المسلمين . لقـد اشار المؤلـف في معظم الاحيـان الى شهرة المترجم ـه من الناحية العلمية والثقافيـة وبهذه الصورة تكمن اهمية هـذا العنصر المهم في الترجمة على الرغم من انه انتقـى بعض الآراء مـن موارد المترجم لـه الا انه كان يبدى رأيـه وتصوراتـه بهم وبرزت بصـورة اكثر وضوحا في الطبقـة الاخيرة ممن التقى بهم وسمع عنهم من شيوخـه نحو قولـه في ترجمـة ابي الوليد البـاجي (استاذنا ، احد ائمـة المسلمين لا يسأل عن مثلـه)(٣) وقولـه في ترجمة ابي جعفر بكر بن عيسى ابن احمد الكندى (عالما بالعربية بصيرا بـالنحو مشاركا في الادب ، لـه حظ من الطب)(٤) وكـذا الحـال بالنسبة لابي محمد عبدالله بن أبي زيـد

---

(١) المدارك ـ ١٩٤/٣

(٢) المصدر نفسه ـ ٢٨٨/١

(٣) المصدر نفسه ـ ٨٠٤/٤

(٤) المصدر نفسه ـ ٨٩٢/٤

(امام المالكية في وقته)[١] وابي سعيد خلف بن عمر (كان يعرف بمعلم الفقهاء)[٢] وقوله من ابي العرب احمد ابن تميم (وغلب عليه الحديث والرجال ، وكان كثير الكتب اذ كتب بيده ثلاثة آلاف كتاب وخمسمائة)[٣] ونحو قوله في ابي بكر الابهرى (وانتهت اليه الرئاسة في مذهب مالك)[٤] وقوله ((عالما بالسنن والاثار))[٥] ونحو هذا .

---

(١) المصدر نفسه – ٨٩٢/٤

(٢) المصدر نفسه – ٤٨٩/٤

(٣) المصدر نفسه – ٣٣٤/٣ ، ٣٣٥

(٤) المصدر نفسه – ٤٧٦/٣

(٥) المصدر نفسه – ٥٣٠/٤

هـ . المولـــد :

لقد اهتم كتاب التراجم والطبقات بهذا العنصر نظرا لاهميته باعتبار المولد عنصرا رئيسيا من عناصر الترجمة وتتجلى اهميته في الاستدلال على لقاء المترجم له بشيوخ عصره. اذ ثبت القاضي عياض مولد المترجم له في اغلب الاحيان اخر الترجمة الى جانب الوفاة نحو قوله في ترجمة ابي الحسن بن زرقون ((توفي في سنة اربع وعشرين وثلاثمائة ومولده سنة اربع واربعين ومائتين))(١) وبهذه الصورة نهج القاضي وفق ما انتهجه كتاب التراجم الذين سبقوه وممن نقل عنهم كابن الفرضي وابن عبدالبر وابي بكر المالكي وابي اسحاق الشيرازي والخطيب البغدادي .

كما اختلفت صيغه في الاشارة الى ولادة المترجم له فذكر المولد حينما يتوفر له من المعلومات ما يكفيه كما جاء في ترجمته لابي الوليد الباجي ((قال ابو علي الحياني : مولده في ذي القعدة سنة ثلاث واربعمائة))(٢) ومما يلفت النظر نراه احيانا يقرن ولادة احدهم بمترجم له اخر من هو اكثر شهرة من الاول نحو قوله في ابي جعفر

(١) المدارك ـ ٣/٣٣٤

(٢) المصدر نفسه ـ ٤/٨٠٨

الصمادحي ((مولده فيما ذكر ابو العرب ، مولد سحنون: بينهما ليلة ، وقيل سنة))(١) الى جانب هذا كان يحدد اعمار المترجم لهم ولعل السبب يعود الى عدم وقوفه على تاريخ زمني للولادة نحو قوله في ترجمة ابي عبدالله التستري ((توفي سنة خمس واربعين ومئتين ، وسنه اثنين وسبعين سنة))(٢) وكثير ما يذكر عمره الزمني وولادته في آن واحد نحو قوله في ترجمة ابي مروان بن مالك ((وسنة اذ ذاك ستون سنة ، مولده سنة اربعمائة))(٣) لقد أزداد الاهتمام في تثبيت سنتي الولادة والوفاة المترجم لهم في الفترة الاخيرة كما يبدو في كتب التراجم ولعل السبب الاول يعود الى ان المترجم له قد يكون من احد البيوتات ذات الشهرة العلمية المرموقة في المجتمع وان التحديد الزمني لولادة ووفاة المترجم له يبدو مهما نحو قوله ((توفي سنة اربع وخمسمائة وقد رأيته أنا))(٤) ونحو قوله ((قرأت بخط شيخنا القاضي عبدالله التميمي مولده سنة اثنين وستين وثلاثمائة))(٥)وقول ابن بشكوال ((كتب الي القاضي ابو الفضل بخطه ، يذكر انه ولد في

---

(١) المصدر نفسه - ٧/٣ ، ٥٩٠

(٢) المصدر نفسه - ٢٩٠/٣

(٣) المصدر نفسه - ٨١٥/٤

(٤) المدارك - ٨٢٨/٤

(٥) المصدر نفسه - ٧٥١/٤

منتصف شعبان من سنة ست وسبعين واربعمائة))(١) ولاهمية تثبيت تاريخ المولد فقد اتبع القاضي عياض طرقا عديدة في ذكره وغالبا ما يذكر اليوم ، والشهرة ، والسنة مع تحديد مكان الولادة نحو قوله ((مولده فيما حكله الخطيب : في رجب سنة اثنين وسبعين وثلاثمائة)(٢) وقوله ((مولده عام ثلاثة عشر واربعمائة)(٣) ونحو قوله في ترجمة ابي عمر بن القطان ((ومولده قرطبة سنة تسعين وثلاثمائة فيما ذكره ابن حيان))(٤)و ((مولده ببلخ في رجب سنة ثمان واربعين ومائة)) (٥) واحيانا اخرى بعد ذكر ولادة ووفاة المترجم لهم يطالعنا بالاشارة الى سنة في الطبقة التي ينتسب اليها نحو قوله (كان اكبر هذه الطبقة ويحلف في حياة الشيوخ))(٦) .

على الرغم من انه حدد لنا اليوم والشهر وسنة الوفاة ولكنه اشار الى الاختلاف في الروايات نحو قوله ((قال البخاري : (ولد سنة ح وثلاثين وثلاثمائة ، وقال ابن ابي خيثمة ومحمد بن سعيد في اولها ل الدار قطني في صغر منها))(٧) وبعد ذلك يرجح واحدة منهما او يجتهد ب رأيه نحو قوله ((وقيل سنة بضع وثمانين))(٨) . ونظرا لتعدد واقوال الرواة في ذكر سنة الولادة والوفاة نراه يأتي بعبارات دالة ة عن الشكوك نحو قوله ((والله اعلم ، والله تعالى اعلم))(٩) وهكذا.

المصدر نفسه - ٢٠/١
المصدر نفسه -٧٦٣/٤
المصدر نفسه - ٨٠٠/٤
المصدر نفسه - ٨١٣/٤
المصدر نفسه - ٥٢٣/٢
المصدر نفسه -٧٧١/٤
المصدر نفسه - ٣٦٠/١
المصدر نفسه
المصدر نفسه -٤٨٥/٢

و. الشيوخ والتلاميذ :

تميز منهج القاضي عياض بالناحية التفصيلية عند الحديث عن شيوخ المترجم له لانه ذكر بعضهم بكناهم واسماء شهرتهم نحو قوله ((روى عنه احمد بن صالح واخوه اسماعيل وابراهيم بن المنذر ، واسحاق بن موسى وسليمان بن بلال وعبدالرحمن بن عبد الملك ومحمد بن عبد الحكم))(١) وقوله ((الزم هذا الشيخ يعني محمد بن ادريس الشافعي))(٢) وقوله ((وحدث الليث بن سعد عن عبدالله بن وهب بحديث كثير))(٣).

فضلا عن ذلك اهتم القاضي عياض بذكر البلدان والاماكن التي سمع بها المترجم له من شيوخه وغالبا ما يربتهم بحساب ذلك نحو قوله في ترجمة ابي الوليد الباجي ((وسمع بالسراة من أبي بكر الطرطوشي وأبي بكر بن سحنون وابن ابي محمود الوراق وببغداد من ابي الطيب الطبرى وامام المالكية ابي الفضل بن عمروس وابي وابي اسحاق طاهر بن عبدالله الشيرازى الشافعي...والصميرى رئيس الحنفية ..... ودخل الشام فسمع بها من ابن السمسار وطبقته .... وبمصر

---

(١) المدارك -١/٣٧١

(٢) المصدر نفسه - ١/٣٨٦

(٣) المصدر نفسه - ١/٤٢٢

ـن ابي محمد بن الوليد وغير واحد)) (١) كما وذكر شيوخ المترجم لـه
لقاء نحو قوله ((ولقي مشايخ القرويين والمصريين وتفقه معهم)) (٢)
لـه ((ودون اسمعتهم وبوبها)) (٣) و ((لقي بها ببغداد جلة
الفقهاء)) (٤) وفي قوله ((لقي شيوخها وشيوخ قرطبة وسمع
ـسم)) (٥).

من الجدير بالملاحظة ان بعض شيوخ المترجم له كان يطنب
ي الوصف والثناء على تلميذه نحو قول ابن شعبان في ترجمة ابي
مسهر عبد الاعلى الغساني ((ما رأيت مثله منذ خرجت
بلادي اشبه بالمشيخة الذين ادركت من ابي مسهر)) (٦) ونظرا
دد شيوخ المترجم له فقد انتقى القاضي عياض على ما يبدو وابرز
يوخ نحو قوله ((وقد اجريت من ذكرهم في كتاب المعجم في الشيوخ
ـع من هذا)) (٧) ونحو ترجمته لمحمد بن احمد ابو العرب ((وشيوخه

المصدر نفسه -٤/٨٠٢

المصدر نفسه -٤/٦٨٨

المصدر نفسه -٢/٥٦٩

المصدر نفسه - ٤/٨٠٢

المصدر نفسه -٤/٨٢٣

المدارك - ٤١٦/١

المصدر نفسه - ٤/٨١٧

تنيف على عشرين ومائة شيخ))(١) ولغرض اختصارهم اكتفى باستخدام عبارات دالة على ذلك نحو قوله ((وفي هذا كفاية ان شاء الله تعالى))(٢) ولعل هذه المعلومات استقاها القاضي عياض من مشيخات الرواة بالرواية والسماع او القراءة لكتاب معين نحو قوله في ترجمة ابراهيم بن مسعود التجيبي ((من اصحاب ابن ابي زمنين روى عنه كتبه))(٣) وقوله ((وقرأت عليه من كتب الشروح وغيرها كثيرا))(٤) و ((الذى نقل لي عن خط شيخنا ابو علي الجياني))(٥).

كما نوه المؤلف الى اشهر العلوم والفنون التي اهتم بها المترجم له وشكلت ثقافته ذاكرا ابرز شيوخه الذين اخذ عنهم وفقا لفنونهم نحو قوله في ترجمة ابي بكر محمد بن بيقي بن زرب ((تفقه عند اللؤلؤى ، وأبي ابراهيم ، وسمع من قاسم ابن اصبغ ومحمد بن عبدالله بن ابي دليم وطبقتهما))(٦) ولعل علاقاته وارتباطه بالمترجم له بطريق السماع او القراءة والاسناد نحو قوله ((وسمع عليه هناك كتاب الامامة

---

(١) المصدر نفسه ـ٣/٣٣٥

(٢) المصدر نفسه ـ ٨١٧/٤

(٣) المصدر نفسه ـ ٨٢٨/٤

(٤) المصدر نفسه ـ ٨١٧/٤

(٥) المصدر نفسه ـ ٦٩٦/٤

(٦) المصدر نفسه ـ ٤٤٠/٤

لمحمد بن سحنون))(١) وقوله ((وسمع جامع سفيان الصغير من ابن ابي الخطاب))(٢) وقوله ((قال ابن شعبان له من مالك ما لا يحصى كثرة)) (٣).

ولم يغفل القاضي عياض تلامذة المترجم له وممن سار على نهجه نحو قوله في ترجمة ابي عثمان سعيد الكلابي ((اخذ عنه ابو بكر بن عطية وغيره))(٤) وقوله ((وعليه تفقه عبدالواحد بن عيسى الهمداني فقيه غرناطة .... وقد رأيته أنا))(٥) وفي ترجمة ابي القاسم بن بهلول ((له كتاب في شرح المدونة سماه التقريب استعمله الطلبة للمذهب في المناظرة .... وأخذت عليه فيه اوهام في النقل))(٦) ونحو قوله ((سمع منه الناس بالحجاز والعراق))(٧)

كما ذكر المؤلف بعض الاحاديث النبوية الشريفة وبيان الطرق التي وردت في ذكرها كالرواية والقراءة او اتصال السند نحو قوله ((خرج عنه البخاري وقال يحيى فيه : ثقة ، وقال احمد بن حنبل لا بأس به))(٨) ونحو قوله ((قال ابن معين فيه : صدوق ثقة ، وقال ابو حاتم الرازي : هو صالح الحديث))(٩) وقوله ((فجمع النسائي احاديث قد غلط فيها احمد بن حنبل))(١٠) وكذلك قوله ((خرج عنه البخاري ومسلم))(١١)

---

(١) المدارك ٣-/٣٣٥
(٢) المصدر نفسه ١-/٣٣٠
(٣) المصدر نفسه ٢- ٤١٥
(٤) المصدر نفسه ٤-/٨٢٨
(٥) المصدر نفسه
(٦) المصدر نفسه ٤/ ٨٢٩
(٧) المصدر نفسه ١-/٣٦٩
(٨) المصدر نفسه ١-/٢٨٢
(٩) المصدر نفسه - ١/ ٢٨٦
(١٠) المصدر نفسه ٢/ ٥٨١
(١١) المصدر نفسه - /٢٨٧

ز • الـــرحـــلات :

تعـــد الرحلات العلمية احـــد روافـد أزدهار الحياة الثقافية والعلميـة الشائعـة لدى طلبـة العلم والباحثين اذ كان طلاب علم الحديـث يرحلون لاجل البحث عن الاسانيـد العاليـة وقد امدتنـا كتـب التراجـم والطبقـات بذلك فأخذوا ((يجوبون البلاد الاسلامية شرقـا وغربـا لاجل توثيـق الروابط))(١) وكان هدفهم اخذ العلم من شـتى المراكز الفكرية والعالـم الاسلامـي. ويلاحظ من خلال دراسة الكتـب التاريخية ان الاندلسين كانوا اكثر النـاس رحلة لطلب العلم فمنهم من تكون رحلته الى المشرق بأخذ عن شيوخـه واعلامه ثم يعود الى بلاده (٢) ولابد من الاشارة الى ظاهرة مهمة هي دخـول المذهب المالكي الى الاندلس دفع الاندلسين للقيام برحلاتهم العلمية الـى المدينـة موطن مالك صاحب الموطأ (٣) وفي الوقت نفسه اصبح لهـذا المذهب تأثيرا كبيرا في مستقبل الحياة الفكرية والعلميـة في الاندلـس الذى منحها قوة وأزدهـارا •

وتتجلى اهميتها في السماع والبحث عن السند العالي والاستقصاء واللقاء ومما يدل على دقته العلمية من خلال اشاراته الى رحلات عـدد كبير من ترجم لهم ذاكرا احيانا شيوخهم الذين التقى بهم المترجم له نحو قوله في ترجمة عبدالله بن محمد الشفرى ((رحل فدخل العراق فسمع بها وبالبصرة من ابن ابي اسحاق المالكي والدينورى ....لـه رحلـة لقي فيهـا

---

(١) انظر تفصيلاتها في صبحي الصالح - علوم الحديث ومصطلحه - (ط - بيروت - ١٩٧٩م) - ص ٥٠ •

(٢) المقدسي - احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم - تحقيق دى غويـه (ليدن - ١٩٠٦ م) - ص ٣٤١

(٣) المصدر نفسه - نفس الصفحة

بالقيروان ابن زياد وابن اللباد))(١) وقوله في ابي عبدالله بن منظور القيسي ((رحل فسمع من ابي ذر الهروى وابي القاسم بن بقي وبعدها انصرف الى الاندلس واحتيج اليه وسمع منه))(٢) ونحو قوله ((وله رحلة لقي فيها القاضي ابو محمد عبد الوهاب بن نصر وحمل عنه تواليفه))(٣) وقوله ((رحل قديما فلقي الشيوخ والفقهاء وسمع من ابي حنيفة مسائل كثيرة مدونة))(٤).

كما نوه المؤلف الى الرحلة لغرض الحج وأهميتها العلمية اذ التقى المترجم له بعدد من شيوخ عصره واخذ عنهم نحو قوله (وحج فلقي شيوخ صقلية ومصر وسمع بمكة وغيرها من ابي محمد بن الوليد ، وكتب عن ابي منصور الشهرزورى))(٥) ذهب الباحث العمرى ولا الرحلة في طلب العلم لوجد طابعا فكريا محلي في كل مدينة من المدن الاسلامية بسبب العزلة المحلية (٦)

---

(١) المدارك - ٥٧٦/٤

(٢) المصدر نفسه - ٨٢٥/٤

(٣) المصدر نفسه -٨٣٠/٤

(٤) المصدر نفسه - ٣٤٤/١

(٥) المصدر نفسه - ٨٢٥/٤

(٦) اكرم ضياء - بحوث في تاريخ السنة المشرقة - ص ١٤٠.

ح ـ المنزلة العلمية :

أشاد القاضي عياض بذكر مكانة الاعلام المالكية ممن ترجم لهم وذلك من خلال ذكره لآراء نقلها من موارده تعكس ما كان للمترجم له من منزلة علمية لدى الفقهاء والعلماء نحو قوله في ترجمة ابن الماجشون ((قال ابن حارث : كان من الفقهاء والمبرزين، واثنى عليه سحنون وفضله))(١) ونحو قوله في ترجمة ابي بكر الباقلاني ((قال ابو بكر بن الخطيب البغدادي : كان اعرف الناس بعلم الكلام، واجودهم لسانا))(٢) وقوله ((كان امام رأس اربعمائة ابو بكر بن الطيب))(٣).

كما وضح المؤلف منزلة المترجم له عند العامة والخاصة نحو قوله ((قال ابو حاتم: هو امام ، وقال داود العطار : هو رجل طلع علينا من ناحية المشرق ... وقال ابن وضاح: سمعت جماعة من اهل العلم يقولون: ((اجتمع في ابن المبارك العلم والفتيا، والحديث والمعرفة بالرجال ، والشعر والسخاء والعبادة والورع)) (٤) ونحو قول احمد ابن حنبل في محمد بن ادريس الشافعي ((ما عرفت ناسخ الحديث من منسوخه حتى جالسته))(٥) وقوله في ابن سحنون ((انتشرت امامته في المشرق والمغرب .... لا يخاف في الله لومة لائم ... وكان لا يهاب سلطانا في الحق يقيمه عليه))(٦).

---

(١) المدارك ـ١/٣٦١

(٢) المصدر نفسه ـ٤/٥٨٧

(٣) المصدر نفسه

(٤) المصدر نفسه ـ١/٣٠١

(٥) المصدر نفسه ـ ١ /٣٨٧

(٦) المصدر نفسه ـ ٤/٥٨٨ ، ٦٠٢

اما بالنسبة لمن ادرك عصر القاضي عياض من المترجم لهم د ظهرت آراؤه واضحة عن شيوخه الى جانب اعتماده على آراء قسم من مصنفين والمؤرخين في توضيح منزلتهم العلمية نحو قوله (اخذ عنه ناس وحملوا عنه كتب القاضي ابي محمد.... وكان يحمل جميعها ـه فيمن روى عنه شيخنا ابو محمد بن عتاب))(١) اضف الى ذلك انه ان يذكر قسما من مصنفات المترجم له التي اعتمدها ممن ادرك عصره ظهرت واضحة في الطبقتين الاخيرتين التاسعة والعاشرة من الطبقة الاخيرة حو قوله في ترجمة عبدالله بن فتوح السبتي (من فقهاء هذه الطبقة..... ألف الوثائق المجموعة وهو تأليف مشهور مفيد وهو مستعمل))(٢).

---

(١) المصدر نفسه - ٨٣/٤

(٢) المصدر نفسه - ٨٣٠/٤

ط ه النتاجات العلمية والادبية :

اهتم القاضي عياض بتقديم صورة و

الاثار العلمية للمترجم لهم اذ يذكرها بأسما

ويشير الى المصنفات ولم يذكر اسمها نحو قول

الطب))(1) وقوله ((له تواليف بديعة مفيدة

كتبا كثيرة منها ((الكتب المسماة بالواضحة في ا

ومما يدل على دقته العلمية فقد تتب

نحو قوله ((والف كتبا كثيرة حسانا في الفقه

وبعد ان يسرد عدد مؤلفات المترجم له يؤكد

في اغلب الاوقات ان جميع تلك المؤلفات والاسما

نحو قوله ((وهي كلها بجمعها كتاب واحد))

لا يخلو منهجه في ذكر النتاج العلمي

نحو قوله في كتاب ابن حبيب (شرح الجامع) (وا

عبيد .... واخذ عليه فيه تصحيف قبيح وهو اضعف ك

يدل على اهتمامه بتأليف المصنفات في علوم مختلفة

قريش وانسابها ، خمسة عشر كتابا))[١] ولاجل الاختصار والابتعاد عن السرد والاطالة يشير الى مجموع ما بلغ من مصنفاته نحو قوله في ترجمة عبدالملك بن حبيب ((له الف كتاب وخمسون كتابا))[٢] ونظر الى اهميتها الفقهية والعلمية وقد وردت بعبارات عديدة منها ((وجملة تواليفه مفيدة بديعة ، غزيرة العلم))[٣] ونحو ذلك .

فضلا عما ذكره سابقا عن النتاجات
قدم لنا في قسم من تراجمه صفحات بمصنفات المترجم

ترجمة ابي عبدالله بن الحكم وعبدالملك بن حبيب وأب
بكر بن الطيب الباقلاني (١).

لقد اسهب القاضي عياض عند عرض هذه
للقارىء انه نقلها عن شيخه مباشرة وبعضه
الذى نقل عنه أو لم يرها اطلاقا نحو قوله ((...
القاضي ابو علي الصدفي))(٢) وقوله ((وقلما ...
وقفت عليه كتاب البيان))(٣) وقوله وله ((الاوسط
مما يدل على امانته ودقته العلمية في البحث والاست...
على علوم مختلفة لمصنفات المترجم له من اعلام المال...
ذلك تعطينا صورة واضحة للوضع الثقافي والعلمي الذ...
الزمنية التي عاش فيها المترجم له.

استعرض المؤلف قسما من نتاجات المترجم لهم وما تتضمنه من معلومات مطولة في اغلب الاحيان كما هو الحال في ترجمة محمد بن سحنون ((ألف ابن سحنون كتاب المسند في الحديث .... وهو كبير وكتابه الكبير مائة جزء، وعشرون في السير ، وخمسة وعشرون في الامثال ، وعشرة في ادب القضاة ، وخمسة في الفرائض ، واربعة في الاقراء واربعة في التاريخ والطبقات والباقي في فنون العلم))(١) واخيرا يمكننا القول ان هذا القسم من الترجمة ويعد واحدا من اهم الاقسام التي ابدع فيها المؤلف .

٥ ـ صفات المترجم لهم الخلقية والشخصية :

ذكر القاضي عياض الكثير من المظاهر ... له موضحا بما يتصل به من محاسن وعيوب ؛ ((كان جميل الصورة بهي الخلق))(١) وقوله ((وكا... اليمنى))(٢) وقوله ((وتقشف في ملبسه))(٣).

القاضي عياض من عاهات للمترجم له لم يكن هدفه الانتق... ما كان لهذه العاهات من اثر في اتقانه للحفظ والر... في ترجمة احمد بن سعيد بن بشير ((كان كثير السماع ... الحديث يعقد ، ويفتي ويحدث وكان اعور))(٤) وقوله في تر... بن سعيد المرواني ((وفقه للعامة يجتمع اليه في ... ويعقد للشروط مع فضل وعفة وصبر على القلة ، وكان... تغلب عليه))(٥).

ووضح القاضي عياض فضلا عن ذلك الصفا... والاخلاقية للمترجم له من حيث التواضع والهدوء وحدة ا... قوله في ترجمة ابي الحسن علي بن محمد الربيعي (وكان

ك . وظـائفهـم ومهنهـم :

نظـرا لتوفر شروط الزعـامة العلمية في شخصيـة القـاضي عيـاض وخصوصا في الحديث والفقه والتاريخ والادب فكان لها الاثر في توضيـح صورة عن الوظائف التي شغلها المترجم له اذ تتبعها بصورة دقيقة نقلا عن شيوخ المترجم لـه بالروايـة او بالسماع واللقاء نحو قوله ((ولـي الشورى بقرطبة وخطط بالوزارة وكانت مدة قضائه ثمانية اعوام))(١) فضـلا عن ذلك حدد الفترة الزمنية لتوليه المنصب الوظيفي في اغلـب الاحيان ذاكرا للقارىء الشهر والسنة واحيانا اخرى يحدد الفترة من عمر المترجم له ممن تولى احد المناصب الرئيسة في الدولة نحو قولـه في ترجمة عبدالله بن غانم ((ولـي قضـاء افريقية وكانت ولايته في رجب سنـة احدى وسبعين ومائة وهو ابن اثنتين واربعين سنـة))(٢). كما ويكتفـي المؤلـف احيانا بذكر المنصب الذي تولاه نحو قوله في ترجمة ابي عبدالله محمد بن عتاب ((وتقلـد القضـاء ببلـدة قرطبة))(٣) وقولـه ((ولـي الاحباس))(٤) ومما يلفت الانتباه انه ذكر سلوك المترجم

تصغر عن قدره كأربولة وشبهها))(١) .

أضف الى ذلك ان المؤلف نوه الى كيفية

عن المنصب الوظيفي الذى تولاه المترجم له ولعل السـ

سياسية ودينية نحو قوله في ترجمة ابي زيد عبد

((ولي قضاء طليطلة فحمدت فيها سيرته الى ان نكبه

يحيى بن ذى النون))(٢). واهتم ايضا بذكر بعض المهـ

زاولها المترجم له ونسبت اليه نحو قوله في ترجمة الصـ

دكاكين يضع فيها خدمته الصابون))(٣) على هذا النحو .

راجع ١٧٨ في هذا الكتاب

ل . وفـــاتهـــم :

بمـا ان كتابـه المدارك قسم وفقـا للتنظـيم على الطبـ

مـا كان لـه اثـر في تدقيقـه لتواريـخ وفيـات المترجم لهم فقـ

حـدد بعضهـا بالسنـة ، وبالسنـة والشهر بعضها الاخر(١) واهتم بتـ

التحديد الزمني الدقيق ذاكرا خلالهـا اليوم من الشهر والاسبوع نحو قول

في ترجمة ابن الحشـاء ((وكانت وفاته في نحـو السبعين وثلاثمائة))

وقولـه ((توفي في رجب سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة))(٣) ونحو قول

((توفي يوم الاحـد فـــــــــي ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة

كمـا استعمل الفاظـا وعبارات محددة باليوم او الفترة الزمـ

نحـو قولـه ((خلون ، صـدر ، نيف ، بقين ، اخـــــر ذي القعـ

اول رجـب))(٥) ويحدد الوفاة احيانا في يـوم مشهور ((قيل توفي يـ

خميس يوم عاشـوراء))(٦) . وغالبـا ما كـا يشـير الى الاختلاف فـ

الروايـات التي ذكرت سنة الوفـاة وعندما لا يقف على تاريخ زمني بحـ

يـ اجتهـاده للاقرب او يرجح رواية على اخرى نحو قوله ((قال محمـ

سنة اربع عشرة ، قال ابو بكر الحافظ والاول اص

أما اذا لم يحمل تحديد زمني للمترجم

بالقول ((والله اعلم ، والله اعلم بالسرائر))(٢

لوفاته نحو قوله ((توفي بعد ثلاثين وثلاثمائة ،،

، وقيل سبع وعشرين من صفر))(٣). على العموم

التحديدات الزمنية غير دقيقة .

ويظهر اهتمامه بتحديد كيفية الو

كالمرض او الفقدان او الاستشهاد او من سقطة وزل

وغالبا مايذكر لنا مراسيم الوفاة كالجنازة وال

الوفاة ومكان الدفن نحو قوله ((وصلى علي

عمه يوسف))(٥) وقوله ((وتوفي بشاطبة وحمل

فدفن بها))(٦) ويحدد الموضع الدقيق لقبره نحو

الفتوح الى جانب السور من خارج البلد))(٧) ويوضح لنا

ما كان لوفاة المترجم له من اثر عميق في نفوس الن

(واجتمع لجنازته خلق لم ير مثلهم))(٨).

المنامات والكرامات :

ثبت القاضي عياض جزءا من المنامات والكرامات التي
ى عليها انها من العجائب والغرائب وقد احتلت جانبا كبيرا في
جمة العلم المالكي وبعضها كان قد اسندها الى مواردها بغية
تعاد عن الظن والتأويلات وقد ذكرها في اغلب الاحيان مبينا
غلط في احيان اخرى نحو قوله ((وسنبين الغلط في هذا ....والاشبه
صحة هذه الحكاية ان تكون لابن نافع الصائغ))(١) وقوله ((وقد
أيت ان هذه الحكاية مع غير سحنون رجل اخر من اكابر اصحاب مالك
المصريين))(٢) وقوله ((وقد حدث ابن فروخ بهذه الحكاية عنه وعن
مالك))(٣) وضرب بعض الحكايات في اغلب الاحيان نحو قوله في ترجمة
سعيد بن سحنون ((ما قاله سحنون صحيح))(٤) وهكذا.

ومما يلفت النظر الى المنامات التي شغلت جانبا كبيرا من
تراجم الكتاب كرؤية الله عز وجل او رؤية رسول الله (ص) ورؤية

مالكـــا في النـــوم بعـــد الممـــات بأيـــام فقال لـــ

ببلدكـم رجل ، يقال له ابن عبد الحكم فخذوا عنـــه فان

اتخذهـــا لغرض العبرة والعظـــة نحو قولـــه في ترجمة ابـ

ابن احمد السبائي كان يقول (رأيت عمر بن الخطـــاب في

وقولـــه في ترجمة علي بن زيـــاد التونسي ((وحيـــاء رجل الـ

رأيت في المنـــام كأن قنديـــلا دخل من بـــاب تونس حتى دخل دا

ونحـــو هذا .

امـــا بالنسبـــة للكرامات فقد عـــزا ظهورهـ

او بشـــارة وبهذا اظهر المؤلف كرامات المترجمين التي ورد

المدارك نحو قولـــه في ترجمة جبلـــة بن حمـــود ((امـــر

فلـــم يفعل ، فقال لـــه ((سمـــاك ابوك حرسا ويلقى النـــاس

هذا فبعد قريب تولى الحرس بالقيروان) (٤) وقولـــه في الســـب

غلام اصيـــب ببصره ، فسئـــل الشيخ له في الدعـــاء فقال : امضـ

ان شـــاء الله ، فلمـــا اكمل تلك الليلة ابصـــر الغلام)

حدوث كل كرامـــة وظهورهـــا كرؤيـــة اللـــه عـــز وجل نحـــو

من وجهي ، يا ابا ميسرة ، بأني ربك الاعلى))(١) ونحو قوله ((رأيت في النوم قائلا يقول : عبدالله بن المبارك وفلان وفلان في الفردوس الاعلى))(٢) ولربما ترجع الى هدف اساسي كالفائدة الدينية من بشارة يجوز اظهارها لفائدتها وعلى هذا الاساس كان يؤمن بالكرامات.

فضلا عن هذا كان يستدرج بعض مصنفاتهم في الاجابات والكرامات نحو قوله في ترجمة محمد بن طاهر ((وله كتاب في الاجابات والكرامات اخذ عنه))(٣) وهكذا .

---

(١) المصدر نفسه - ٣٥٩/٣

(٢) المصدر نفسه - ٣٠٩/١

(٣) المصدر نفسه - ٦٨٣/٤

ن ٥ النـــوادر والاخبـــار :

كان القاضي عياض قد نـــوه الى ذكـر قسم من نوادر وملـــح واخبـار وحكايـات المترجم لـه وبهذا بدت ذاتيته واضحة فيها اذ افـرد لبعض المترجمين مبحثا او فصلا خاصا لذلك وغالبا ما نراه يحلل ويضيـــف على بعضها نحو قوله في ترجمة ابن العطار ((سئل ابن العطار عن مسألـــة من السهـو في الصـلاة ، فأفتى فيها بسجـود السهو، فقال له السائل : ان اصبـغ بن الفرج الطائي ، لم يـر علـي سجودا ، فرد عليه ابن العطـــار: كـلا لا تطعـه واقترب))[١] ونحو قوله في ترجمة ((مصعب بن الزبير)) [٢] وترجمته ((لابي مسهـر عبدالاعلى))[٣] ذاكرا فضـلا من نوادره وهكـــذا.

كذلـك اهتم المؤلـف بذكر الاخبار العامـة وحكم المترجـــم لـه لمـا لهـا من اهميـة فقهيـة وتاريخيـة وأدبيـة وقد افصح ذلـك بقولـه في ترجمة ابي عبدالله مصعب القرشي ((قال مصعب قال لنا ابـي اطلبوا العلم ، فأن لم يكن لك مال اكسبـك مالا ..... وان يكن لك مـــال اجداك جمالا))[٤] وقولـه في ترجمـة عيسى بن مسكين قال : (اشـــرف الغنى ترك المنى .... الحسـن بصحبـة التوفيق ... وقولـه : قارب النـاس في عقولهم تسلـم من غوائلهم))[٥] وتتجلى اهمية هذا العنصر من عناصـر الترجمة بتقديم فكرة واضحة لشخصية المترجم له .

---

(١) المدارك ـ ٦٥٥/٤

(٢) المصدر نفسه ـ ٣٨١/٢

(٣) المصدر نفسه ـ ٤١٧/٢

(٤) المصدر نفسه ـ ٣٨٠/٢

(٥) المصدر نفسه ـ ٢٢٦/٣

• معلومـــات متفرقـــة :

نظـرا الى وفـرة المعلومات التي اوردها القاضي عياض عـن

مترجم لـه حاولت قدر الامكان حصرها والالمام بها بشكل يوضح للقـــارئ

ا كان يثيـر اهتمام المؤلـف فيها وتدوينهـا في كتابـه هذا مختصـرا

بها احيانا على سبيل التمثيل ذكر لنا مذهبه في الرواية والحديـث

ـو قولـه في ترجمة عبدالله بن المبارك ((كان ينكـر التدليس فـي

حديث)) [1] وقولـه ((قال ابن وهـب كل شـيء في كتبي ، كتب الـي

ك فقد سمعته منه)) [2] وقولـه ((ولكن ان نظـرت الى حديثه وما اخـذ

ـن شيوخه وجدتـه صحيحـا)) [3] وأشـار الى تسنن المترجم لهـم

ناسبتهم لاهـل الاهواء نحو قوله ((قال ابن الحداد : قال لي ابن سنـان :

ـا سمعت بهلولا في داركم وهو يغدر ويقـول السنة ويلـح بهـا)) [4]

له ((قال سحنون : اتيت يومـا الى البهلول فوافاني رجل من اهـل

واء على بابه يسألني عن الشيخ ، فلم أرد عليه جوابا ، والشيـخ

ح)) [5].

المدارك - ٢/٣٠٩

المصدر نفسه -٢/٤٢٦

المصدر نفسه -٢/٤٢٨

المصدر نفسه - ١/٢٣٦

المصدر نفسه -١/٢٣٧

كما بين لنا ان المترجم له كان يرد على اهل البدع والاهواء نحو قوله ((قال ابو العرب : كان ابن فروخ كتب الى مالك يخبره ان بلدنا كثير البدع ، وانه ألف لهم كتابا في الرد عليهم))(١) .

فضلا عن ما ذكره اوضح لنا طرف من اشعاره مبينا نبذا من حكمه وكلامه في العلم وسيرته في التعليم على سبيل التمثيل :

كان سحنون اذا رأى اعراض الجهال عن العلماء يقول :

لمنزلة الفقيه من السفيه   كمنزلة السفيه من الفقيه (٢)

ونحو قوله (قال ابو القاسم : لا تعلموا اولادكم الا عند رجل حسن الدين، فدين الصبي على دين معلمه)(٣) وقوله (ثلاثة من اعلام الفكرة : سرعة الافكار ، وادمان الاعتبار ، وكثرة الاستغفار ،)(٤) .

---

(١) المصدر نفسه - ٣٤٥/١

(٢) المصدر نفسه - ٦٢٠/٢

(٣) المصدر نفسه - ٥١٥/٤

(٤) المصدر نفسه -٤٨٩/٢

الفصل الثالث

الموارد

...ي عياض والمصنفات السابقة

تنطوي دراسة الموارد الذين اعتمدهم القاضي عياض في كتابه ...ب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك) على ...خاصة لانها تكشف عن دورهم في عروض القاضي ومروياته وذلك ...ساهماتهم العلمية والتاريخية اذ اعتمد القاضي عياض في بناء ...ه على موارد تنوعت تنوعا كثيرا ، حرص على انتقائها ...رها بدقة وعناية فائقتين بأتصاله بأهل المغرب والاندلس والحجاز ...ي ومصر والشام فضلا عن تعددها الذى تمثل بكتب مشرقية ومغربية ...عتمدها على من سبقوه من الاساتذة والمشايخ . وعلى الرغم من ان ...كما اتضح من خلال دراستنا له انفا قد اتسم بالطابع ...ي الا ان القاضي عياض لم يكن ليعتمد على مصادر غير اعلية في ...ات التي تناولها ، بل لقد وضع نصب عينه ان يستقي ما يكتب من ...ن تتعلق بمادة الفقه والحديث او التاريخ والانساب او الادب من اولى ...ا وافضلها واوفاها. ومن الجدير بالملاحظة ان ثقافة القاضي عياض ...ة قد أثرت في طبيعة موارده اذ شكلت الموارد الفقهية جزءا مهما ...رده الاخرى والكتاب خصص لتراجم الاعلام المالكية من جميع العالم ...ي ، فقد احتفل بالفقهاء المالكية وابراز انتاجاتهم العلمية ...تهم في ميدان الفقه اكثر من غيرهم الامر الذى تطلب منه الرجوع ...عدد كبير جدا من المؤلفات الفقهية ، فكان كتابه اشبه بفهرس ...ات الفقه المالكي على وجه الخصوص .

اما بقية موارده الاخرى التي اضافت معلومات جديدة لكتابه ...رك في مجموعة مشايخه والتي يمكن اعتبارها المصدر الاول من بين

المصادر المهمة اذ زودته بما كان ينقصه كتابه هذا وقد رتبتها وفق تواريخ وفيات مؤلفيها ، مع بيان لمحة قصيرة عن صاحب المورد ومصنفاته العلمية وبيان اقتباسات القاضي عياض منه ، وطريقة تعامله والعودة الى اصل النص المقتبس وبيان مدى مطابقته مع نصوص طبقات المالكية . ومن الجدير بالاشارة ان الاجازات العلمية كانت متداولة في تلك الفترة بين الشيوخ والطلبة وذلك لتعدد العلوم والمعارف بمختلف فنونها خلال عصرى المرابطين والموحدين اذ عاش القاضي عياض شطرا منهما فقد كان يستجيزه العلماء والفقهاء والمحدثون لذلك اصبحت هذه الاجازات مصدرا مهما من موارده اما بقية موارده الاخرى فقد وردت وفق التسلسل التاريخي الزمني لوفيات مؤلفيها مع بيان لمحة موجزة عن صاحب المورد وانجازاته العلمية في مجال التصنيف وبيان اقتباسات القاضي عياض منه وطريقة تعامله مع النصوص ومدى تطابقه مع نصوص المدارك .

اعتمد القاضي عياض على اسس عديدة خلال تعامله مع موارده لعل ابرزها هي :

١ . **القاضي عياض والمصنفات السابقة :**

كتب القاضي عياض كتابه ترتيب المدارك معتمدا على جملة من الكتب المدونة سابقا ، اذ سبقه جماعة من العلماء ممن كتبوا في فضل علم اهل المدينة وموطأ مالك كما اهتم في اختيار مصادره على المعاصرة الزمنية قدر الامكان والبحث عن حكايات اصحاب وشيوخ المترجم لهم واقوالهم على سبيل التمثيل فيما

ـره ابن حيان[1] وعلى هذا الاساس اهتم بالمصادر المعاصرة والبلدانية ،

تجلى ذلك في ابرز مظاهرها في تبيان علاقة صاحب المصدر بالمترجم

ـه بالسماع منه او اللقاء او المشاهدة[2] وغير ذلك من التغييرات الدالة

ى المعاصرة وهذا ما جعله يفضل رواية دون اخرى في بعض تراجمه نحو

ـله في ترجمة ابي بكر عبدالله بن نافع الزبيرى (والاشبه ان صحة

ه الحكاية ان تكون لابن نافع الصائغ)[3] .

---

(١) المدارك - ٨١٥/٤

(٢) المصدر نفسه - ٨١٧/٤

(٣) المصدر نفسه - ٢٦٦/٢

٢ . المصـــدر :

اولى القاضي عياض عنايته الفائقة في ذكر موارده نتيجة لثقافته في العلوم الاسلامية مثل الحديث والفقه اللذين كانا يتطلبان الامانة والدقة وذلك لان الاول يعتمد على الاسناد والتدقيق في الرواة ، والاخر يرتبط بالاحكام الشرعية ، وعلى الرغم من حرصه هذا فقد كان شأنه شأن كثير من العلماء والمؤرخين ممن لم يتبعوا اسلوبا واحدا في اشارتهم لمواردهم ، فهو تارة يشير الى ذكر المؤلف دون الاشارة الى اسم كتابه نحو قوله : (قال ابن الفرضي ، قال ابن الحذّاء)[1] هذا مما يجعل مهمة ارجاع النصوص الى اصولها امرا ليس بالسهل خصوصا اذا كان للمؤلف اكثر من كتاب واحيانا يصرح بأسم المصدر المنقول الا انه لا يذكره بعنوانه الاصلي بل يكتفي بأشارته بصورة مختصرة نحو قوله (قال ابو بكر الخطيب في تاريخه)[2] و ((ذكر ابن ابي دليم في المالكية))[3] ويشير في بعض الاحيان الى ذكر اسم المؤلف والمصدر كاملا وبهذه الصيغة يجنب الباحث مشقة البحث عن النصوص المقتبسة نحو قوله على سبيل التمثيل قال (قال محمد بن حارث في تاريخ الافارقة)[4] و (ذكر ابن الفرضي

---

(١) المدارك - ٥٧٥/٤

(٢) المصدر نفسه - ٤٦٦/٤

(٣) المصدر نفسه - ٩٣/٣

(٤) المصدر نفسه - ١٩٥/٣

ي كتابه المؤلف في طبقات الادباء،(١) ونحو

ك .

ومهما يكن من امر فأن هذه الطرق في الاشارة الى

وارد كانت شائعة في عصره لدى جمهور العلماء ، كما

ا تتبع الذوق الفني للمصنف .

المصدر نفسه - ٢٣/٣

٣ . النقل :

أ . الاشارة الى موضعه :

اهتم القاضي عياض في بعض الاحيان بتحديد موضع اقتباساته للنصوص فقد كانت عناية العلماء بتنظيم مصنفاتهم من الكتب وفق نظام الحوليات او الطبقات وما شابه ذلك وقد يسرت الطريق على من يريد الوقوف على نص من خلال عودته الى الكتاب المعني شريطة معرفته بأسلوب تنظيمه (١) وقد تجلت بصورة واضحة من خلال موارده الفقهية نحو قوله ((ونقلته من خط ابن الحارث)) (٢) ونحو قوله ((قال نقلته من كتاب ابن حارث وأراه كان بخطه)) (٣) فضلا عن اهتمامه في النقل عن مترجم ما بذكر مكان الخبر او الحكاية اذ لم يكن في ترجمته من الكتاب الذى ينقل عنه نحو قوله من ترجمة عبدالرحمن بن القاسم العتيق ((قال ابن الحارث في عبد الرحمن بن القاسم العتيق)) (٤) وهكذا .

---

(١) بشار عواد - الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الاسلام - (القاهرة - ١٩٧٦ م) - ص ٢٧٤ .

(٢) المدارك - ٥٢٢/٣

(٣) المصدر نفسه - ٤٦٨/٢

(٤) المصدر نفسه - ٤٣٣/٢

ب ـ بدايته ونهايته :

اشار القاضي عياض الى بدايات نقولاته بألفاظ وعبارات
في اغلب الاحيان في مقدمة الاقتباس ، نحو قوله ((قال)) و((ذكر))
و((حكي)) و((روى عنه)) و ((شرح)) و ((وفي رواية)) و ((حكاه))
و((حدث عنه)) ونحو ذلك ، ويورد احيانا نصوصا تتبعها الفاظ وعبارات
تدل على اقتباسها من مصدر معين ابتداء وانتهاء نحو قوله ((كذا ذكر
ابو علي البصرى))[1] و ((ذكر الباجي في كتابه خبره مع ابن
...))[2] و ((رأيت في كتاب محمد بن سعد))[3] وعبارة ((وانا بريء
من ذلك))[4] ، وما الى ذلك من الالفاظ والعبارات .

كما اورد نصوصا تدل على بداية النقل وانتهاء الاقتباس
بعد ان ينهي ترجمته للعلم يقول ((وهو قول الواقدى) واحيانا
يصوب راو ويغلط اخر بعد ان يختم النص نحو قوله ((وغلط ابن
... هذا او الصواب ما رواه ابو العرب))[5] ومع ذلك فغالبا ما ينهي
القاضي عياض اقتباسه بأيراد نص واستعماله لفظ يدل على بداية
قول جديد ، او ختم النص المقتبس باستعماله لفظة ((رأيت او قلت))
للتعبير عن رأيه في نص او مسألة ما او لزيادة معلومات لم يذكرها
غيره ، نحو قوله ((ذكر الشيخ ابو بكر بن ثابت الحافظ في تاريخ
بغداد ..... ورأيت سماعه من .....)[6] ونحو هذا .

المدارك - ٤٨٥/٢
المصدر نفسه - ٥٢٦/٢
المصدر نفسه - ٥٤٩/٢
المصدر نفسه - ٤٨٧/٢
المصدر نفسه - ٩/٣
المصدر نفسه - ٤٦٧/٣

جـ . دقتــــــه :

اشترط القاضي عياض في المؤرخ ان يكون امينــا فيمــا ينقلــه من رواية او نص وان يكون دقيقـا خلال نقلــه وهذا لا يعنـي انــه وضــع شرطـا في نقل النص بصورة حرفيـة فهو على سبيل التمثيل انتقد ابـي بكـر الباقلانـي نحو قولــه في ترجمـة ابي جميـل البصرى ((لا حقيقــة عندى ، من ضبطهـم هذا الرجل)) او ((لا حقيقـة عندى من تصحيــح طبقتــه))(١) ونحـو ذلك .

ووفـق هذا الاسلوب عالـج منقولــه عن موارده ، فالتزم بالنقل الحرفـي في بعض الحالات على سبيل التمثيل اقوال العلمـاء في الجـرح والتعديل نحو قولـه في ترجمة ابن وهـب القريشي قال الطحاوى ((وكانـت فيه بطالة))(٢) ولذلك لا تخلو ايـة ترجمة من هذا الجانب او في بعض المسائل الفقهيـة (٣) فضـلا عن الروايات المسنـدة عن شيوخـه ونصوص الاحاديـث النبوية الشريفـة (٤) فضـلا عـن ذلك نراه يؤكـد على ضـرورة معرفـة بلـد المترجم لـه نحو قولـه في ترجمـة سليمان بن بـرد التجيبي نتيجة اختلاف العلماء والرواة في البلـد الذى ينسـب اليه ((ولم يذكره غـيره وهو وهم والله اعلم))(٥) وفضـلا عن ذلك بعد ان ينهي النص او الروايـة المنقولة يختمها بقوله ((والله اعلم)) او ((والله تعالى اعلم))(٦) او

(١) المدارك – ٤٦٦/٣
(٢) المصدر نفسه – ٤٣٣/١
(٣) المصدر نفسه – ٤٩٣/١
(٤) المصدر نفسه – ٤٧٥/١
(٥) المصدر نفسه –
(٦) المصدر نفسه – ٤٦٩/١

جـ . دقتـــه :

اشترط القاضي عياض في المؤرخ ان يكون امينا فيما ينقله من رواية او نص وان يكون دقيقا خلال نقله وهذا لا يعني انه وضع شرطا في نقل النص بصورة حرفية فهو على سبيل التمثيل انتقد ابي بكر الباقلاني نحو قوله في ترجمة ابي جميل البصرى ((لا حقيقة عندى ، من ضبطهم هذا الرجل)) او ((لا حقيقة عندى من تصحيح طبقته))(١) ونحو ذلك .

ووفق هذا الاسلوب عالج منقوله عن موارده ، فالتزم بالنقل الحرفي في بعض الحالات على سبيل التمثيل اقوال العلماء في الجرح والتعديل نحو قوله في ترجمة ابن وهب القريشي قال الطحاوى ((وكانت فيه بطالة))(٢) ولذلك لا تخلو اية ترجمة من هذا الجانب او في بعض المسائل الفقهية(٣) فضلا عن الروايات المسندة عن شيوخه ونصوص الاحاديث النبوية الشريفة(٤) فضلا عن ذلك نراه يؤكد على ضرورة معرفة بلد المترجم له نحو قوله في ترجمة سليمان بن برد التجيبي نتيجة اختلاف العلماء والرواة في البلد الذى ينسب اليه ((ولم يذكره غيره وهو وهم والله اعلم))(٥) وفضلا عن ذلك بعد ان ينهي النص او الرواية المنقولة يختمها بقوله ((والله اعلم)) او ((والله تعالى اعلم))(٦) او

---

(١) المدارك - ٤٦٦/٣
(٢) المصدر نفسه - ٤٣٣/١
(٣) المصدر نفسه - ٤٩٣/١
(٤) المصدر نفسه - ٤٧٥/١
(٥) المصدر نفسه -
(٦) المصدر نفسه - ٤٦٩/١

((اظن ذلك)) وهذا مما يؤكد عدم دقة النقل من قبل المصنف في اقتباساته كما في ترجمته الى ابن خرخسن الفارسي قال ((وكان والله اعلم في ارض حلوان شيء))(١) وفي بعض الاحيان نراه يختصر النص او ينتقي منه ويقدم ويؤخر في اجزائه مع احتفاظه بمضمونه مستخدما لذلك الفاظا وعبارات دالة على نحو ذلك في ترجمته لابي خارجة عنبسة الغافقي يختمها قائلا ((وأنا بريء من عهدة هذه التأويلات الا الاخيرة فالحديث الصحيح يحتج لها))(٢) واذا حدث ان خالف ما سبق ان سطره في مقدمة كتابه ، نبه عليه كما جاء في ترجمته لفتيان بن ابي السمح نحو قوله ((وقد تقدم ذكر ابنه في الطبقة الاولى)) او ((سيأتي ذكره في طبقته بعد ذلك ان شاء الله))(٣) اذ لا نرى في كتبه استطرادا كما هو الشأن في كتب كثير من معاصريه .

---

(١) المصدر نفسه - ٤٦٢/١

(٢) المدارك - ٤٨٧/١

(٣) المصدر نفسه -٣٨٣/١

مـــــــوارده :

اولا : عن كتب التراجم والطبقـــات :

تعد كتب التراجم احدى انماط الكتابة التاريخية التي ظهرت منذ بواكير التدوين عند العرب المسلمين [١] كما وتعد السيرة النبوية أوسع ما في التراجم الاسلامية [٢] فضلا عن ذلك فأن السيرة النبوية لابن اسحق اولى صور كتب التراجم العربية الاسلامية واقدمها ظهورا [٣] ولقد تأثر مؤلفوالطبقات والتراجم بطريقة المحدثين في رواية الاحاديث ، فهم لا يذكرون الخبر مجردا ، وانما يسندونه الى رواته قائلين ((حدثنا فلان عن فلان)) [٤] وذلك بقصد بيان قيمة المحدث ومكانته من الاسناد ونظرا لتوسع انواع العلوم فقد اهتم كثير من العلماء بوضع تراجم للرجال يرتبون فيه ويجمعون بحسب العلم الذى تخصصوا وتفرغوا له [٥]. مسجلين بذلك تطور الثقافة العربية الاسلامية على اختلاف فروعها من خلال التاريخ لرجالها ، حتى ليبدو وكأن العلم عندهم هو رجاله [٦]. كما اخذت كتب

---

(١) اكرم العمرى ـ موارد الخطيب البغدادى ـ رسالة دكتوراه ـ (جامعة عين شمس ـ ١٩٧٣م) ـ ص ١٥١.

(٢) د. هاني العمد ـ دراسات في كتب التراجم والسير ـ (عمان ـ ١٩٨١م) ـ ص ١٨

(٣) الكواكب السائرة في اعيان المائة العاشرة ـ ١/ ص ١ (المقدمة)

(٤) د. هاني العمد ـ دراسات في كتب التراجم والسر ـ ص ٢٠

(٥) المصدر نفسه ـ ص ٥٣

(٦) المصدر نفسه ـ ص ١٤، لزيادة المعلومات راجع عنه : شاكر مصطفى ـ التاريخ العربي والمؤرخون ـ (ط ١ ـ بيروت ـ ١٩٧٨م) ـ ٣٨٢/١

التراجم والطبقات بعد ذلك تكثر وتتنوع ويقوم بها المؤلفون بوحي من انفسهم واستجابة لدواعي العلم .

وعلى الرغم من تأثر واضعي كتب التراجم [١] بطرائق المحدثين وعدم خروجهم على الانماط التقليدية لكنها تميزت بسعة مادتها وغناها بالمادة التاريخية واهتمامها بالاخبار والحكايات والطرائق والاشعار وذكر مصنفات المترجمين ، ووظائفهم وخصائصهم العقلية والجسمية [٢] وبهذه الصورة غدت كتب تراجم الرجال على اختلاف انواعها ومناهجها ذات اهمية كبيرة في دراسة التاريخ العربي الاسلامي اذ قدمت معلومات وفيرة ومهمة عن المظاهر الحضارية والثقافية والتيارات العقلية والروحية التي اثرت في المجتمع العربي الاسلامي ، على الرغم من عدم تقديمها وفق سياقها الزمني المتسلسل وترابطها المنطقي [٣].

---

(١) اتخذت كتب التراجم اشكالا عديدة ، منها التنظيم على الطبقات ، والانساب ، والبلدان ، وعلى حروف المعجم ، القرون ، تبعا لميول المؤرخ ومنطلقاته الفكرية والعقائدية .
روزنثال – علم التاريخ عند المسلمين – ص ١٤٢ ،
التاريخ العربي والمؤرخون – ١/٤٢٣م

(٢) كب – هاملتون – دراسات في حضارة الاسلام – ترجمة د. احسان عباس (ط ٢ – بيروت – ١٩٧٤م) – ص ١٦١ – ١٦٣ .

(٣) د. ملكة ابيض – كتب التراجم ومكانتها في دراسة الثقافة العربية والاسلامية .

وقد اقتبس القاضي عياض كثيرا من كتب التراجم في كتابه الطبقات نجده يلتزم في كتابه هذا قد لا يكون مسبوقا اليه. فكتب الطبقات قديمة في التراث العربي ومن اقدمها طبقات ابن سعد واصحابها يراعون فيها التسلسل الزماني لانها كتب رجال الحديث لذا نرى القاضي عياض في كتابه المدارك راعى التسلسل الزماني الا انه رأى انه غير كاف ، وذلك لان الرجال الذين سيضعهم كتابه لم يكونوا رجال بلد واحد بل هم من جميع العالم الاسلامي ولذلك اعد للكتاب تقسيما اخر هو التقسيم بحسب البلدان الاسلامية . وقد تتوالى الطبقات الواحدة تلو الاخرى وداخل كل طبقة يرد الفقهاء مرتبين حسب ترتيب خاص ، فضلا عن ذلك كانت مصادرة التاريخية والادبية قد شكلت جزءا يسيرا فضلا عن مصادره التي عنت بالرجال والتراجم وقد اضفتها للمبحث مرتبة حسب التسلسل التاريخي الزمني لوفيات اصحابها على سبيل التمثيل :

١ . محمد بن عبدالله بن عبد الحكم (١٨٢ هـ /٧٩٨م)(١)

صحب الامام الشافعي ، وسمع من ابيه وابن وهب ، روى عنه ابو بكر النيسابوري ، وابو حاتم الرازي وعيسى بن مسكين وابو جعفر الطبري(٢) اشاد به ابن حارث الخشني ، كان من اهل النظر والمناظرة ،

---

(١) ابو عبدالله المصري ، الامام الحافظ ، فقيه عصره .
تذكرة الحفاظ - ٥٤٧/٢ انظر : مجموعة من الاساتذة - دراسات عن ابن عبد الحكم - (القاهرة - ١٩٧٥م) .

(٢) المدارك - ٦٢/٣

والیه كانت الرحلة الحجة فيما يتكلم منه ويتقلده من مذهبه ، وصفه الشيرازي اذ قال من المغرب في العلم والفقه من الاندلس (١) وذكره في طبقة الشافعية على (اليه انتهت الرئاسة بمصر)(٢) ويبدو ان القاضي عياض لم يذكر سببا الرغم من انه مالكي المذهب . ولعل السبب يعود لذلك بل اكتفى بالقول ((لا اعرف لم فعل هذا))(٣) الى صحبته الحميمة للامام الشافعي اذ كان من اصحاب الناس للشافعي، وكان ممن تعلم منه الفقه ، اثنى عليه ابن ابي دليم نحو قوله (كان فقيه مصر في عصره ، على مذهب مالك ، وصحب الشافعي ، فرسخ في مذهبه)(٤) اما الكندي فقد وصفه اذ قال (كان افقه اهل زمانه، واليه انتهت الفتيا بمصر)(٥).

صنف تواليف كثيرة في فنون العلم والرد على المخالفين وكلها حسان على سبيل المثل (كتاب احكام القرآن ، كتاب الوثائق

---

(١) المصدر نفسه - نفس الصفحة

(٢) حمل في المحنة الى بغداد الى ابن ابي داود ولم يجب الى ما طلب منه ورد الى مصر .
طبقات الفقهاء - ص ٩٩

(٣) المدارك - ٣/٦٥

(٤) المصدر نفسه - ٣/٦٣

(٥) المصدر نفسه

والشروط ، كتاب الرد على الشافعي فيما خالف فيه الكتاب والسنة ، وكتاب الرد على اهل العراق ، وكتاب مجالسه اربعة اجزاء ، وكتابه الذى زاد فيه على مختصر ابيه ، وكتاب أدب القضاة ،وكتاب الدعوات والبينات ، وكتاب اختصار كتاب اشهب ، وكتاب اللزوم وكتاب الرد على اسد المدني ، وكتاب المؤيدات) ويبدو انها مؤلفة عليه دون سماعه من احد الرواة او الشيوخ ، اذ ذكر ابن حارث لكونها مسائل منثورة لم تضم لباب كالاسمعة (١).

اقتبس القاضي عياض من محمد بن عبدالله بن عبد الحكم سبعة وثلاثين نصاً ، ويبدو أنه استقى معلوماته من مختلف تصانيفه اذ لم يشر الى مصدر واحد اخذ عنه بعض النصوص ، وردت اقتباساته بالصيغ الاتية (محمد بن عبد الحكم ، محمد بن عبدالله بن الحكم ، وبلفظ ((روى عنه ، ذكره))(٢) وتناولت معظم النصوص المقتبسة مسائل فقهية واحكام شرعية ، كما وتناولت مقتبساته بعض الاعلام المالكية اذ ذكرت كناهم ومكانتهم ، وظائفهم التدريسية ، حكاياتهم ، شيوخهم ، وقد تطابقت بعض النصوص من خلال دراستي لكتب الطبقات والتراجم في ترجمة محمد بن عبد الحكم .

---

(١) المدارك – ٦٥/٣

(٢) المصدر نفسه – نفس الصفحة

كان القاضي عياض في اقتباساته ناقلا حرفيا مباشرا ومختصرا ، ومعظمها خالية من الاسناد عدا بعض النصوص التي اسندت الى راو واحد اخذ عنه نقلا القاضي عياض على سبيل المثل (ذكر الخطيب في تاريخ البغداديين)[١] وتبدو معظم نقولاته متطابقة مقارنة مع ما ذكره ابو القاسم عبد الرحمن[٢] في كتابه فتوح افريقية والاندلس [٣] وعلى النحو التالي :

ترتيب المدارك	فتوح افريقية والاندلس
٢٦/١	٥ ، ٤١ ، ٦٥ ، ١٠١
١٣٨/١	٢٩
٦٢/٣	١ ، ٢ ، ٥ ، ٦
٤٠٧/٣	٥٠ ، ٩٥ ، ١٠١ ، ١٠٤
٥٢٣/٣	٣٩

٢ . عبدالعزيز بن الدراوردى (١٨٧هـ / ٨٠٢ م) .

ابو محمد القضاعي، صحب مالكا وغلب عليه الحديث وروى عنه ابن وهب وابو نعيم والقعبني وقتيبة ويحيى بن يحيى[٤] اثنى عليه احمد بن صالح نحو قوله ((اذا حدث في كتابه فهو صحيح ، واذا حدث في كتب الناس اوهم))[٥] وفي بعض الاحيان يذكر من يروى عنه ما فيه

---

(١) المصدر نفسه - تذكرة الحفاظ - ٥٤٦/٢
(٢) المصدر نفسه - ٧٠/٣
(٣) مطبوع - تحقيق عبدالله انيس الطباع - (بيروت - ١٩٦٤م)
(٤) المدارك - ٢٨٨/٢
(٥) المصدر نفسه - ٢٨٩/٢

من جرح وتعديل نحو قول محمد بن سعد (كان ثقة ، كثير الحديث يغلط)(١) وعده ابن حبيب في طبقاته خير فقهاء المدينة بعد مالك(٢) .

اقتبس القاضي عياض من الدراوردى خمسة عشر نصا ، لم يذكر المصدر الذى نقل عنه كما انه لم يشر الى مصنفاته وقد وردت بصيغة (الدراوردى) وبلفظ (قال ، روى عنه)(٣) وكان القاضي عياض في اقتباساته ناقلا حرفيا وناقد واسندت نقولاته الى راو واحد واحيانا يجمع اثنين من الرواة في ذكر النص على سبيل التمثيل قال ابن ابي حازم ومصعب (كان مالك يوثق الدراوردى)(٤) وتضمنت النقولات ترجمة لاعلام المالكية ذاكرا نسبهم ، سكانتهم العلمية ، وظائفهم ، شيوخهم وتلامذتهم ، ما قيل فيهم من جرح وتعديل ، وفياتهم .

تبدو معظم نقولاته متطابقة من خلال ما اشارت اليه المصادر التي ذكرت الدراوردى(٥) ونحو هذا .

---

(١) المصدر نفسه

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه

(٤) المصدر نفسه

(٥) تذكرة الحفاظ - ١/٢٦٨ ، التبصرة والتذكرة - ١/٣٣٨

• محمد بن ادريس الشافعي (١٥٠ – ٢٠٤ هـ / ٧٦٧ – ٨١٩ م) .

الامام ابو عبدالله ، روى عن مالك وابن عيينة
سلم ابن خالد ، وروى عنه احمد بن حنبل والحميدى ويونس بن عبدالاعلى
حمد بن عبد الحكم(١) ، ووصفه ابن خلكان بقوله (كان كثير المناقب
م المغافر منقطع القرين(٢) واثنى عليه احمد بن حنبل اذ قال
ما عرفت ناسخ الحديث ومنسوخه حتى جالست الشافعي))(٣) واضاف لقوله
ما احد يحمل بخبره من اصحاب الحديث الا وللشافعي عليه منّة)(٤) سمع
موطأ من مالك ، وسر به مالك (٥) ، وقد اوضحت المصادر والمراجع
محمد بن أدريس كان مالكيا حتى اكثر فتيان عليه فحمله ذلك على
ا وضعه على مالك (٦) وفي رواية ذكرها القاضي عياض كان الشافعي
اثنى على مالك اذ قال ((مالك بن انس معلمي واستاذي منه تعلمنا
لم)(٧) كما وصفه بقوله (اذا ذكر العلماء فمالك النجم)(٨) وقد

---

(١) المدارك – ٣٨٢/٢ ، ذكره الذهبي قائلا ((سمّي ببغداد ناصر الحديث)
– التذكرة – ٣٦٢/١ .

(٢) وفيات الاعيان – ١٦٣/٤

(٣) المدارك – ٣٨٦/٢ ، ابن قاضي شهبة – طبقات النحاة واللغويين –
تحقيق محسن غياض – (النجف – ١٩٧٤م) – ص ٦٢ .

(٤) المصدر نفسه – ٣٨٧/٢

(٥) المصدر نفسه – ٣٨٥/٢

(٦) المصدر نفسه

(٧) المصدر نفسه ، التذكرة – ٣٦٠/١ –٣٦٣ ، رسائل ابن حزم – ٢٨٨/١

(٨) المصدر نفسه

اشاد العلماء والمؤرخون بمكانته العلمية ، قال محمد بن عبدالله بن الحكم قال لي ابي ((الزم هذا الشيخ فما رأيت ابصر منه بأصول العلم واصول الفقه))[١] قال ابن هشام (الشافعي حجة في اللغة وذاكر بمصر في انساب الرجال[٢] اذ قام الشافعي في علم العربية وايام الناس عشرين سنة[٣] ومدحه ابن يونس اذ قال عنه ((ما رأى اهل العراق مثل الشافعي ، لوضعت عقول الناس كلهم الى عقله لغرقت عقولهم في عقله[٤] . وذكره محمد بن عبد الحكم نحو قوله ((كان الشافعي يأخذ من كتبنا كتب الامام مالك في كل يوم جزأين ، ثم يغدو وقد فرغ منهما فيردهما ويأخذ اخرين))[٥].

صنف عددا كبيرا من المؤلفات القائمة منها كتاب السبق والرمي[٦] ذكره القاضي عياض نقلا عن المزني وكان الشافعي بصيرا له وأي علم كان يذهب عليه[٧] وكان الثناء عليه كثيرا وفضله مشهورا وقد

---

(١) المصدر نفسه

(٢) المصدر نفسه - ٣٨٨/٢

(٣) نفس المصدر ، نفس الصفحة

(٤) المصدر نفسه

(٥) المدارك - ٣٩٢/٢

(٦) المصدر نفسه -/٣٨٨/٢

(٧) المصدر نفسه ، التبصرة والتذكرة - ١٩/١

وعلى الرغم ان القاضي عياض لم يشر الى ذكرها ، قال عنه ابو يعقوب البويطي ((رايت الناس بمصر والشام والعراق والكوفة والبصرة والحجاز من كل صنف من علماء القرآن والفقه ولسان العرب والسير والكلام وأيام العرب ما رايت احدا يشبه الشافعي (١) ومن اقواله ((القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر)(٢) .

اقتبس القاضي عياض من ابن ادريس سبعة وعشرين نصا ، ولم يصرح في ذكر المصدر الذى استقى منه معلوماته عن الشافعي، كما اشار الى خمسة نصوص انها من كتابه (السبق والرمي) اما بقية نقولاته تدو في الاغلب من شتى مؤلفات الشافعي ، وقد وردت بعبارة ((ابن ادريس، محمد بن أدريس ، ابو عبدالله محمد بن ادريس الشافعي) وبلفظ (قال ، ذكر) وان معظم نقولاته تخلو من الاسناد عدا قلة ينسبها الى صديق الشافعي المؤرخ عبدالله بن عبدالحكم، قال لي ابي) (٣) وكان القاضي عياض ناقلا حرفيا مباشرا مطولا في بعض الاحيان ومختصرا في احيان اخرى ، وكانت معظم نقولاته تتحدث عن اصحاب الحديث والفقهاء، وما فيهم من جرح وتعديل، فضلا عن ذلك كان ناقدا على سبيل المثل (انما ضعف حديثه لروايته عن الضعفاء)(٤) ونحو ذلك.

---

(١) المصدر نفسه - ٣٨٩/٢

(٢) المصدر نفسه -٣٩٠/٢

(٣) المصدر نفسه -٣٨٦/٢

(٤) المصدر نفسه - ٣٨٩/٢ ، انظر : محمد بن سحنون - كتاب اداب المعلمين - (تونس - ١٩٧٢ م) - ص ١٨ - ٧٦ .

٤ . عبدالله بن عبد الحكم (١٥٠ - ٢١٤ هـ / ٧٦٧ - ٨٢٩ م)

المكنى ابو محمد ، سمع مالك والليث والقعنبي وابن عيينة، وغير واحد(١) ، وصفه ابن عبدالبر اذ قال (كان ابن عبد الحكم رجلا صالحا، ثقة متحققا بمذهب مالك(٢) وذكره الكندى كان فقيها(٣) وقال الشيرازى ((اليه انتهت الرئاسة بمصر بعد اشهب))(٤) .

صنف جملة مؤلفات منها كتاب ((المختصر الكبير))(٥) شرحه الشيخ ابو بكر الابهرن ، ويبدو انه نحى به اختصار ((كتب اشهب ، المختصر الاوسط (صنفين) وفيه اربعة الاف مسألة ، المختصر الاصغر ، وفيه الف ومائتا مسألة ، وله كتاب الاهوال (٦) ، وكتاب القضاء في البنيان، كتاب فضائل عمر بن عبدالعزيز ، كتاب المناسك(٧).

اقتبس القاضي عياض من عبدالله بن عبد الحكم سبعة وثمانين نصا، ذكر ثلاثة نصوص على انها عن كتابه (المناسك) ونصين من كتاب المختصر الاصغر ونصين من كتابه المختصر الاوسط وصرح في خمسة نصوص على انها من كتابه الاهوال(٨) وردت بصيغة (ابن عبد الحكم ، عبدالله

---

(١) المدارك - ٥٢٣/٢
(٢) المصدر نفسه - ٥٢٤/٢
(٣) المصدر نفسه ، دراسات عن ابن عبد الحكم - (القاهرة - ١٩٧٥ م).
(٤) طبقات الفقهاء - ص ١٥١ ، المدارك - المصدر نفسه .
(٥) المدارك - ٥٢٥/٢
(٦) المصدر نفسه
(٧) المصدر نفسه
(٨) المصدر نفسه -٥٢٦/٢

ابن عبد الحكم)[١] وبلفظ (قال ، روى عنه ، قرأت بخط) وكان القاضي عياض في اقتباساته ناقلا حرفيا مباشرا وناقدا ، وقد ترجم لاعلام المالكية اذ اشار الى نسبهم ومنزلتهم العلمية ، شيوخهم وتلامذتهم ، ذاكرا جرحهم وتعديلهم ، وفياتهم) وقد وردت معظم نقولاته متطابقة من خلال ما ذكرته المصادر والمراجع[٢] .

(١) المصدر نفسه ٢/٥٧ ، ٤٠٨ ، ٤٤٦

(٢) طبقات الفقهاء ص ١٥١ ، كتاب محمد بن سحنون - اداب المعلمين - ص ١٧ .

٥ . اسماعيل بن ابي أويس (٢٢٦ هـ/٨٤٠م)

ابو عبدالله ابن ابي اويس ابن ابي عامر الاصبحي ابن عم مالك ابن انس (١) كان ممن يسمع العلم وروى عن ابن شهاب وابن المذكور وهشام بن عروة . اثنى عليه ابن حنبل قائلا ((زعموا ان سماعه وسماع مالك كان شيئا واحدا اذ سمع منه الناس بالحجاز والعراق (٢) وروى عن مالك حديثا كثيرا ، وفقها (٣) حتى قيل عنه وهو خير من ابيه لانه كان مقبلا وشديد القول فيمن يقول بالمخلوق (٤) وأشاد به الذهبي نحو قوله محدث المدينة (٥) وذكره ابو حاتم الرازي كان يكتب حديثه لا يحتج به (٦).

اقتبس القاضي عياض منه ثلاثة عشر نصا ولم يذكر المصدر الذى استقى عنه معلوماته ووردت بعبارة ((ابن ابي اويس ، اسماعيل بن ابي اويس ، ابي أويس) وبلفظ (قال ، ذكر ، حكى) (٧)، وكان القاضي عياض ناقلا حرفيا مختصرا وتبدو معظم نقولاته خالية من الاسناد خلا قلة اسندت الى راو واحد واشار الى جرحه وتعديله نحو قوله ((ضعف حديثه يحيى ابن معين لكنه قال كان صالحا)(٨).

---

(١) الخطيب البغدادى ـ الفقيه والمتفقه ـ (دمشق ـ ١٩٧٥م) ـ ٩٨/٩ ، المدارك ـ ٣٦٩/٢.

(٢) المصدر نفسه ، انظر: ابو نعيم الاصبهاني ـ حلية الاولياء ـ (مصر ـ ١٣٥١هـ / ١٩٣٢ م) ـ ٣٢٨/٦، تهذيب التهذيب ـ ٣١٠/١.

(٣) نفس المصدر ، ابن حجر العسقلاني ـ تقريب التهذيب ـ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ـ (ط ١ ـ القاهرة ـ ١٣٨٠ هـ/١٩٦٠م) ـ ٣٩٦/٢ .

(٤) المصدر نفسه ـ ٣٧٠/٢ ، وفيات الاعيان ـ ٣٦٨/٥ ، تذكرة الحفاظ ـ ٤٠٩/١ .

(٥) تذكرة الحفاظ ـ ٤٠٩/١

(٦) المدارك ـ ٣٦٩/٢

(٧) المصدر نفسه ـ ٣٥٩/٢

(٨) المصدر نفسه ـ ٣٦٩/٢

٥ عبدالملك بن حبيب (١٧٩ - ٢٣٨ هـ /٧٩٥ /٨٥٢ م)

ابو مروان السلمي المالكي، فقيه اهل الاندلس (١) تفقه

ديما بيحيى ابن يحيى وعيسى ابن دينار والحسين بن عاصم وسمع من

بدالله بن عبد الحكم وابن ابي اوبس ورحل الى الاندلس اذ جمع علما

ظيما (٢) كما شجع طالبي العلم من اهل الاندلس على ان يفدوا

لى المشرق للدراسة على علماء الشارقة والاخذ عنهم ،لانهم احيطوا

أحاديث الرسول (ص) وما روى عنه (٣) ، ولعل ما اشار اليه الاستاذ

يفي بروفنسال صحيح من ان المشرق قد فاز بنصيب كبيرفي

تكوين الثقافة الاندلسية (٤) .

---

(١) طبقات علماء افريقية وتونس - ١٦٢/٢ ، طبقات الفقهاء - ص ١٦٢ ، جذوة المقتبس - ص ٢٦٣ ، البيان المغرب - ٢٠/٢ ، ميزان الاعتدال -١٤٨/٢ ، تهذيب التهذيب - ٣٩٠/٦ ، تذكرة الحفاظ - ١١٧/٢ ،طبقات الحفاظ - ٢٣/١ ، بغية الوعاة - ٢١٦/٢

(٢) المدارك -٣١/٣

(٣) كان اهل الاندلس يأخذون بأقوال اساتذتهم المشارقة ويبخسون بقدر ما يسمعون من اهل بلدهم انفسهم لان اولئك الشيوخ كانوا ينظرون الى اهل بلد الاندلس بأحتقار عظيم ويرون انهم جهلاء اجلاف . تاريخ الفكر الاندلسي - ص ١٩٦.

(٤) كل ما كان يفد من بغداد ومن المدن الكبرى الاخرى في العالم الاسلامي كان يستقبل باعجاب او بامتثال في ربوع بلاد الاندلس وان هذا الدليل على تلمس الطابع المشرقي في الاندلس من خلال دراسة مختلف العلوم الدينية واللغوية في المصادر . انظر : حضارة العرب في الاندلس - ص ٤٧ .

لقد اطنب العلماء والمؤرخون في الثناء عليه اذ مدحه ابن الفرضي نحو قوله (كان حافظا للفقه على مذهب اهل المدينة ، نبيلا فيه)(١) ووصفه ابن فرحون قائلا ((لقد رتب الدول عنده كل يوم ثلاثين دولة لا يقرأ عليه فيها شيء الا كتبه وموطأ مالك)(٢) لذلك اعتبر من اعلام الاندلس البارزين ومن العناصر الفعالة في تحويل الاندلس الى المذهب المالكي عن مذهب الاوزاعي(٣) الذى اخذت به الشام ثم انتشر في المغرب والاندلس كما يعد في طليعة العارفين بالشعر والتاريخ والانساب ويعرف عنه انه كان ممن يقدر العلم والعلماء.

صنف مؤلفات جلة في الفقه والتواريخ والاداب كثرة حسان(٤) ، منها كتاب ((الواضحة)) لم يؤلف مثلها ، الجوامع ، كتاب فضل الصحابة ، كتاب غريب الحديث ، وكتاب تفسير الموطأ ، وكتاب طبقات الفقهاء والتابعين ، وكتاب مصابيح الهدى ، ذكر فيه عددا من الصحابة والتابعين ، وكتاب سيرة الامام في الملحدين ، وكتاب اعراب القرآن ، وكتاب الفرائض ، مالك بن أنس ، كراهية الغناء ، ذكر القاضي عياض بلغ مجموع ما صنف من الكتب الفا وخمسين كتابا(٥) وغير ذلك من كتبه المشهورة(٦).

---

(١) تاريخ علماء الاندلس - ٣١٣/١
(٢) الديباج - ٣٠/٣
(٣) تاريخ افتتاح الاندلس - ٢٣
(٤) المدارك - ٣٦/٣
(٥) نفس المصدر - نفس الصفحة
(٦) تاريخ علماء الاندلس - ٣١٣/١

على الرغم من اشادة العلماء بمنزلته العلمية ولكن تحامل بعض الفقهاء عليه لتقدمه عليهم بعلوم لم يكونوا يعلمونها ، ولا يشرعون فيها[1] نحو قول ابن الفرضي : (لم يكن لابن حبيب علم بالحديث))[2] . مدحه القاضي عياض قائلا ((ليس فيها ما تقوم به دلالة على تكذيبه ، وترجيح نقل غيره عن نقله)[3] ، ووصفه العتبي قائلا : (((ما اعلم احد الف على مذهب اهل المدينة تأليفه ولا لطالب انفع من كتبه))[4] . وقال فيه الصدفي ((كان كثير الرواية والجمع ، يعتمد على الاخذ بالحديث ، ولم يكن يميزه ، وكان فقيها بالمسائل يطعن عليه بكثرة الكتب وانه يستجيز الاخذ بلا رواية ولا مقابلة))[5]. وكان محمد بن عمر بن لبابه يقول (عبد الملك بن حبيب عالم الاندلس ، ويحيى بن يحيى عاقلها ، وعيسى بن دينار فقيهها)[6].

ترجم له المستشرق الاسباني بالنشيا في كتابه[7] اذ عدد آثاره العلمية وكتبه.

---

١) المدارك - ٣٧/٣

٢) المصدر نفسه

٣) المصدر نفسه

٤) الديباج - ٣٠/٣

٥) المدارك - ٣٧/٣

٦) المصدر نفسه - ٣١٢/١

٧) انظر :

Historia dela literatura Arabigo- Espaniola
-P- 123.

اقتبس القاضي عياض من عبد الملك بن حبيب تسعة وسبعين نصا، صرح في ثلاثة منها على انها من كتابه الواضحة (١) واشار الى نص واحد انه من كتابه في كراهية الغناء (٢) ومن المعلوم ان اغلب اقتباساته كانت من كتابه المعروف بكتاب ابن حبيب وهو مجموعة لكتبه الاولى التي ذكرها القاضي عياض نحو قوله ((وهي كلها يجمعها كتاب واحد لابن حبيب) (٣) اذ انه لم يشر الى المصدر الذي استقى منه بقية النصوص . وقد وردت بالصيغ الاتية (ابن حبيب ، عبد الملك بن حبيب ، المأمون عبد الملك بن حبيب ، لابن حبيب) وبالفاظ عديدة منها (كتب ، قال ، ذكر ، ذكره ، قال اخرون عنه ، حدثنا ، قال فلان فيه ، وجاء منه ، قال بعضهم قلت له) (٤) .

ويبدو ان القاضي عياض في هذه الاقتباسات كان ناقلا حرفيا وناقدا لبعض العبارات ومسقطا بعضها الاخر، وقد اسندت بعض النصوص الى احد شيوخه او رواته واما بقيتها فقد خلت من الاسناد . وتناولت المقتطفات المقتبسة الاعلام المالكية بذكر مكانتهم العلمية وصفاتهم الخلقية ، شيوخهم وتلامذتهم، وتحديثهم وسماعهم ، ومكانتهم وما قيل فيهم من تعديل وتجريح، اذ ذكر القاضي عياض ان كتابه العاشر طبقات الفقهاء اخذ عليه فيه تصحيف قبيح ، وهو اضعف كتبه (٥) ووصفه مادحا اذ قال والاكثر ما نجد احدهم ، كابن عبد البر يقول (كذب عبد الملك ، او اخطأ ولا يأتي بدليل على ما ذكره) (٦).

ومن خلال المصادر التي ترجمت له اتضح لنا تطابق بعض النصوص المقتبسة في المدارك مع ما ذكره ابن حبيب .

---

(١) المدارك ـ ٣٤/٣

(٢) المصدر نفسه ـ ٣٨/٣

(٣) المصدر نفسه ـ ٣٥/٣ ، انظر عنه ـ استفتاح الاندلس ، نشره محمود علي مكي ـ مجلة معهد الدراسات الاسلامية ـ (مدريد ـ العدد (٥) ـ ١٩٥٧م) ـ ٢٢١، للاستفادة راجع :

Juan vernont Gines-Losmusulmanes-Espanoles-Barcelona-1961-P-896.

انظر ايضا :

Anwar G.CheJne-Historia de Espan's Musulamana - Madrid - 1980 - P- 317

عبد الواحد ذنون ـ نشأة التدوين التاريخي في الاندلس ـ مجلة الدراسات الجامعة الاسلامية ـ العدد الاول ـ ١٩٨٠ م ـ م٩١/٧

(٤) المصدر نفسه ـ ٣٢/٣ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٤٥

(٥) المصدر نفسه ـ٣٥/٣

(٦) المصدر نفسه ـ٣٧/٣

٧ • ابو سعيد سحنون (١٦٠ - ٢٤٠ هـ / ٧٧٦ - ٨٥٤ م)

الحافظ الفقيه سحنون بن سعيد التنوخي من اهل القيروان اخذ العلم عن مشايخها ابن غانم وابن اشرس وابن ابي كريمة واخيه[1] رحل الى مصر سنة (١٧٨ هـ/٧٩٤ م) في حياة مالك وكانت رحلته الاخرى الى الحجاز اذ سمع من ابن وهب وطلحيب بن كامل وسفيان بن عيينة ، ووكيع وابن نافع الصائغ وابن الماجشون[2] وغيرهم .

لقد اثنى العلماءعليه نظرا الى منزلته العلمية اذ انتشرت امامته في المشرق والمغرب وسلم له الامامة اهل عصره[3] وان مناقبه واثاره العلمية كثيرة اذ افرد لها ابو العرب التميمي[4] ووصف علمه سليمان بن عمران نحو قوله ((اذا سألت سحنون اجابني من بحر عميق ومعنى جوابه ازد في سؤالك) واشاد به ابن وضاح نحو قوله (كان سحنون يروى تسعة وعشرين سماعا ما رأيت مثله في المشرق)[5] . ومدحه ابو علي البصرى قال (سحنون فقيه اهل زمانه وشيخ عصره وعالم وقته)[6] واخرون كثيرون اطنبوا في مدحه . وكان قد تولى القضاء

---

(١) المدارك - ٥٨٥/٢

(٢) نفس المصدر - ٥٨٦/٢

(٣) المصدر نفسه - ٥٨٨ ، المعجب - ٣٥٥

(٤) المصدر نفسه

(٥) المصدر نفسه - ٥٩٠

(٦) المصدر نفسه - ٥٩٢ ، المرقبة العليا - ٢٨

بافريقية حتى موتـــه (١).

صنف من الاثار العلمية الجليلة عـدة منها كتاب (البيوع في اربعة واربعين مصنفا ، اربع مسائل في الموطأ) (٢) وصنف ((المدونة)) (٣) وعليها اعتمد اهل القيروان ، وعنه انتشر علم مالك في المغرب .

اقتبس القاضي عياض منه تسعة وخمسين نصا ، أشـار الـى ثلاثة منها على انها من كتابه التاريخ نحو قوله قال ابـن سحنون في تاريخه (٤) وصرح في خمسة نصوص على انها من كتابه (لم يذكـر اسمه) نحو قوله : وقد جاء في كتاب سحنون (٥)، كما ذكر اربعة نصـوص اخرى على انها من كتابه المدونة نحو قوله : قال سحنون في المدونة (٦) اما بقية النصوص فلم يذكر المصدر الذى اخذ عنه معلوماته ويبدو ان معظـم اقتباسات القاضي عياض اخذها عن ابنه محمد بن سحنون نحو قوله قال لـي ابنه او قال ابنه (٧) وردت بصيغة : (ابن سحنون ، ابنه ، سحنون)وبلفظ (قال ، روى عنه ، وقد جاء) (٨) وعلى هذا النحو.

---

(١) المصدر نفسه – ٥٩٥

(٢) المصدر نفسه – ٥٩٠

(٣) المصدر نفسه – ٥٩٢

(٤) المدارك – ٢٤٧/٣ ، كتاب اداب المعلمين لابنه محمد – ص ٩ – ١٣٥

(٥) المصدر نفسه – ٦٠٦/٢ ، المعجب – ٣٥٥

(٦) المصدر نفسه – ٢٤٧/٣

(٧) المصدر نفسه – ٥٩١/٢

(٨) المصدر نفسه

كان القاضي عياض في اقتباساته ناقلا حرفيا مباشرا
مطولا، وتبدو معظم اقتباساته خالية من الاسناد عدا قلة منها اسندت الى
حد شيوخه والى ولده محمد بن سحنون وتضمنت النقول المقتبسة
رجمة لاعلام الفقهاء المالكية ذاكرا نسبهم ، مكانتهم العلمية ،
ظائفهم ، شيوخهم ، وفياتهم .

تبدو معظم اقتباسات القاضي متطابقة مقارنة مع ما ذكره
لده في كتابه (١).

---

١) راجع - محمد بن سحنون - كتاب اداب المعلمين .

٨ . الحارث بن مسكين (ت ٢٥٠ هـ /٨٦٤ م)

ابو عمرو المصري[١] ، يعد من اكابر اصحاب ابن وهب والقاسم واشهب[٢] دون اسمعتهم وبوبها[٣] روى عن سفيان ابن عيينة ويوسف بن عمر ، وحدث ببغداد ومصر[٤] وكان ممن روى عنه ابو حاتم الرازي وابن وضاح وعبدالله بن احمد بن حنبل[٥] تولى قضاء مصر وكان عدلا في قضائه محمودا في سيرته[٦] وقال فيه الكندي ((ولي الحارث ابن مسكين قضاء مصر من قبل المتوكل[٧] وامدنا القاضي عياض بمعلومات مفيدة مشيرا الى محنته ايام الخليفتين المأمون والمعتصم .

بالرغم من ان المصادر لم تذكر له مصنفات عدا قلة ذكرها الشيرازي اذ قال ((وله كتاب فيما اتفق فيه رأى ابن القاسم وابن وهب وأشهب[٨] وذكره القاضي عياض بأسم (فيما اتفق فيه رأى الثلاثة) وكتابه الثاني ((فيما اتفق فيه رأى الليث ومالك والمفضل بن فضالة)[٩] .

---

(١) الولاة وكتاب القضاة ـ ص ٥٠٥ ، طبقات الفقهاء ـ ص ١٥٤

(٢) طبقات الفقهاء ـ ص ١٥٤

(٣) المدارك ـ ٥٦٩/٢

(٤) المصدر نفسه ـ المقدمة

(٥) المصدر نفسه ـ المقدمة ـ ٥٦٩/٢ ـ ٥٧٠

(٦) المدارك ـ ٥٧٠/٢

(٧) الولاة وكتاب القضاة ـ ص٥٠٣ ـ ٥٠٥ ، المدارك ـ ٥٧١/٢

(٨) طبقات الفقهاء ـ /ص ١٥٤

(٩) المدارك ـ ٥٦٩/٢

الف مصنفات عدة في النسب واخبار العرب واخبار بعض شعرائها حتى قيل بلغ مجموع مصنفاته اكثر من خمسة وثلاثين مصنفا وكان القاضي عياض قد اكتفى بذكر مصنف واحد له في النسب (كتاب جمهرة انساب قريش) [1] ومن كتبه الاخرى كتاب (العتيق ، مزاح النبي(ص) [2] وكتاب نوادر اخبار النسب ، وكتاب اخبار المدينة [3] وان معظم كتب متاع .

اقتبس القاضي عياض عنه سبعة وثلاثين نصا ، صرح في ثلاثة منها على انها من كتابه الجمهرة [4] كما صرح في سبعة نصوص على انها نظم من اشعاره [5] ، ولم يشر الى بقية المصادر التي استقى منها نقولاته ويبدو في اغلب الاحتمال ان معظمها كانت من كتاب الجمهرة وكتاب اخبار الموفقيات وقد وردت بالعبارات الاتية : (الزبير بن بكار ، الزبير ، الزبير وفلان نقلا عن فلان) على سبيل المثل كما في ترجمته لسعيد بن عمر بن العوام الاسدى اذ قال القاضي عياض ، قال الزبير بن بكار ووكيع القاضي عن ابي

---

(١) اخبار الموفقيات – ص ١٨

(٢) الفهرست – ص ١٦٦

(٣) المدارك – ٥١٤/٢ ، ابن حجر العسقلاني – الاصابة في تمييز الصحابة – ٢٨/٢ ، ذكره الكتاني بأسم تاريخ المدينة . الرسالة المستطرفة – ص ١٣٤.

(٤) المصدر نفسه – ٥١٥/٢

(٥) المدارك – ٥١٨/٢

يحيى الزهري (١) ووردت بلفظ (قال ، روى ، انشد ، ذكر) وكان القاضي عياض ناقلا حرفيا مختصرا وناقدا وان معظم رواياته تخلو من الاسناد خلا قلة ذكرت نقلا عن احد تلامذة الزبير بن بكار او احد شيوخ القاضي عياض .

تبدو اقتباساته متطابقة مقارنة مع كتابه جمهرة نسب قريش وعلى النحو الاتي :

ترتيب المدارك	جمهرة نسب قريش
٥٨/١ ، ٩٠	١٨٢ ، ٣١٩ ، ٣٢٨
٢٨٢/١	٢٣٤
٣٣/٣ ، ١٣٥	٢٠
٢٨٨/٢	١٤

(١) المصدر نفسه - ٥١٥/٢

١٠ • عيسى بن مسكين (١١٤ - ٢٧٥ هـ /٧٣١ - ٨٨٨ م)

اشاد[1] الفقيه ابن جريح الافريقي ، ونسب الى قريش وسمع ووصفه ابو العرب قال عنه سمع من سحنون وابنه جميع كتبه وسمع بالمغرب من غيره وفي بلاد الشام اخذ من ابي جعفر الابلي اما بمصر فقد سمع من الحارث بن مسكين ومحمد بن المواز ومحمد بن عبدالله بن الحكم ويونس الصدفي[2] وسمع منه الناس امثال محمد بن يونس السدري وعلي بن حماد وابو الحسن الكانشي[3] تولى منصب وظيفة القضاء بعد سحنون[4] بعد اجماع الناس عليه .

لم يذكر القاضي عياض له مصنفا علميا على الرغم من انه اشاد بعلميته ومنزلته بين العلماء والمؤرخين اذ نقل عن ابي الحسن الكانشي قوله ((ادخلني عيسى ابن مسكين الى بيت مملوءة بالكتب ثم قال كلها رواية وما فيها كلمة غريبة الا وأنا حفظ لها شاهدا من قول العرب))[5] .

اقتبس القاضي عياض فيه ستة وأربعين نصا ، لم يصرح في ذكر المصدر الذى استقى عنه معلوماته بل اختصرها بصيغة ((عيسى بن مسكين - ابن مسكين) وبلفظ (قال - ذكر)[6] وكانت معظم نقولاته

---

(١) المدارك -٢١٢/٣ ، المرقبة العليا - ص ٣٠

(٢) نفس المصدر - نفس الصفحة

(٣) المصدر نفسه

(٤) المصدر نفسه - ٢١٣/٣ و ٢١٤ ، ٢١٦

(٥) المصدر نفسه - ٢١٣

(٦) المصدر نفسه - ٦٠١/٢

تتضمن تراجم لاعلام الفقهاء المالكية ذاكرا حياتهم فمصهم شيوخهم ما قيل فيهم من جرح وتعديل مكانتهم العلمية وفياتهم وان معظم النصوص كانت موثقة بالآيات القرآنية الكريمة والاحاديث النبوية الشريفة نحو قوله قال تعالي: لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر)(١).

كان القاضي عياض ناقلا حرفيا مباشرا مطولا في نقولاته احيانا ذاكرا رواية او حكاية لعيسى بن مسكين الا ان معظم نقولاته ظهرت خالية من الاسناد عدا قلة منها نسبت الى احد شيوخ القاضي عياض او رواته كما ذكرنا سابقا.

تبدو معظم اقتباسات القاضي عياض متطابقة مقارنة مع ما ذكر عن عيسى بن مسكين من خلال كتب التاريخ والتراجم والطبقات (٢).

---

(١) المصدر نفسه - ٢٢٤/٣

(٢) المرقبة العليا - ص ٣٠ ، لزيادة المعلومات راجع - كتاب اداب المعلمين - ص ٢١ و ٢٦ .

١١ ٠ ابو حاتم الرازى (١٩٥ - ٢٧٧ هـ / ٨١٠ - ٨٩٠ م)[١]

محمد بن ادريس بن المنذر التميمي الحنظلي ، احد الائمة الاعلام ممن رحلوا في طلب العلم[٢] كما وصف بأنه من الحفاظ الاثبات العارفين بعلل الحديث والجرح والتعديل[٣] . اشاد فيه القاضي ابو الوليد الباجي انه من ائمة المالكية[٤] واثنى عليه ابن اسحق الانصارى القاضي (ما رأيت احفظ للحديث ولا اعلم بمعانيه من ابي حاتم)[٥].

الف مصنفاته من الكتب في التفسير والحديث والتاريخ[٦] منها كتاب (طبقات التابعين))[٧].

اقتبس القاضي عياض من ابي حاتم الرازى وابنه ابي محمد عبد الرحمن ثلاثة وعشرين نصا ، اشار الى نص واحد من كتابه (الجامع في الفقه) وقد تناولت علماء المالكية وما قيل فيهم من جرح وتعديل، اما بقية النصوص الاخرى فلم يذكر فيها المصدر الذى اخذ عنه وهذا ما يؤكد انه اخذ من شتى مصنفات ابي حاتم الرازى .

---

(١) المدارك - ٤٨١/١

(٢) تذكرة الحفاظ - ٥٦٧/٢

(٣) تاريخ بغداد - ٧٣/٢ ، الوافي بالوفيات - ١٨٣/٢

(٤) المدارك - ٤٨١/٤

(٥) تذكرة الحفاظ - ٥٦٧/٢

(٦) الفهرست - ٢٤٠

(٧) الرسالة المستطرفة - ص ١٣٩ .

كانت نقولاته من ابي حاتم قد وردت بصيغ عديدة على سبيل التمثيل ((ابي حاتم - ابي حاتم الرازي - عبدالرحمن ابن ابي حاتم الرازي) وبلفظ (ذكر - قال) (١). وكان القاضي عياض ناقلا حرفيا مباشرا مع العلم ان ابي حاتم لم يسند اى من نصوصه ، فظهرت نصوصه خالية من الاسناد ووردت معظم اقتباساته متطابقة كما يبدو ومقارنة مع كتابه الجرح والتعديل وعلى النحو الاتي :

ترتيب المدارك	كتاب الجرح والتعديل
٤٤/١	ق ١- م ١٢٠/٤
٥٢٢/٢ ، ٥٨٠ ، ٣٨٢، ٣٨٧	ق ١- م ١١١/٢ ، ٣٤٤ ، ٤٢٧
١٨٧/٣	ق ١- م ١٢٠/٤

---

(١) المدارك - ٢٨٦/١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٧ ، ١٧٠/٣

ابو الربيع سليمان بن سالم (ت ٢٨٩ هـ /٩٠١ م)

القاضي ابن القطان المعروف بـ (ابن الكحالة) (١) من

صحاب سحنون سمع عنه ومن ابنه وعن الجفري وابن رزين وزيد بن بشير

ودخل المدينة فحدث عن محمد بن مالك بن انس بحكايته عن ابيه (٢) سمع

منه ابو العرب ووصفه كان ثقة كثير الكتب والشيوخ (٣) وذكره ابن ابي

دليم ((كان الغالب عليه الرواية والتفسير)) (٤) تولى وظيفة القضاء

في باجة كما ولاه ابن سليمان مصالح القيروان وبعدها قضاء صقلية

ونشر بها علما كثيرا (٥) اثنى عليه الشيرازي نحو قوله (وعنه انتشر

مذهب مالك بها) (٦). صنف من المؤلفات في الفقه وعرفت مصنفاته بأسم

((السليمانية)) (٧). اقتبس القاضي عياض منه تسعة وثلاثين نصا ،

لم يصرح في ذكر المصدر الذى اخذ عنه معلوماته وقد وردت بصيغة

(سليمان بن سالم ، نقلا عن فلان ،) وبلفظ (قال ، ذكر) (٨) وتبدو معظم

نقولاته خالية من الاسناد عدا قلة اسندت الى راو واحد .

---

(١) المدارك - ٢٣٣/٣ ، مؤلفات ابن رشد - ص ٥

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه - ص ٢٣٤

(٤) المصدر نفسه

(٥) المصدر نفسه

(٦) المصدر نفسه

(٧) المصدر نفسه

(٨) المصدر نفسه - ٥٩٣/٢ ، ٩٧/٣

١٣ • حمد بن القطان (٢٣٠ – ٢٨٩ هـ/ ٨٤٤ – ٩٠١ م)

احمد بن محمد الاشعري من اصحاب سحنون له رحلة الى المدينة تفقه بأبي مصعب وغيره اما في مصر فقد اخذ عن ابن وهب وابن حارث (١) . اثنى عليه ابو العرب نحو قوله (كان كثير الكتب مجانبا لاهل الاهواء) وقال فيه ابن عباس (كان ورعا كاملا ثقة مأمونا)(٢).

لم يدون له القاضي عياض من اشاره العلمية على الرغم من انه اقتبس عنه احدى واربعين نصا وقد وردت بصيغة (حمد بن القطان، حمد بن) وبلفظ (قال ، ذكر ،)(٣) وكان القاضي عياض في نقولاته ناقلا حرفيا مختصرا وبدت خالية من الاسناد خلا قلة منها اسندت الى احد شيوخه.

---

(١) المدارك – ٢٠٤/٣ ، المرقبة العليا – ص ٣١

(٢) المصدر نفسه – ص ٢٥٥

(٣) المصدر نفسه – ٦١٩/٢ ، ٢٠٩/٣ ، ٢٥٤

١٤ . ابو بكر الفريابي (٢٠٧ - ٣٠١ هـ /٨٢٢ - ٩١٣ م)

جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض قاضي الدينور[١] وصفه الخطيب البغدادى كان احد أوعية العلم طوف به شرقا وغربا[٢] التقى باعلام المحدثين في كل بلد وسمع بخراسان وما وراء النهر والعراق والحجاز واستوطن بغداد وحدث بها عن جماعة منهم ابو مصعب الزهرى وعبدالاعلى بن حماد وغيرهم[٣] مدحه ابو الفضل الزهرى نحو قوله (كان في مجلس الفريابي ، ممن يكتب من اصحاب الحديث نحو عشرة الاف انسان سوى من لا يكتب)[٤] وقد روى عنه ابو بكر الشافعي وخلف كثير وكا ثقة حجة[٥] فضلا عن ذلك كان مكثرا في الحديث ، مأمونا موثوقا به[٦]. صنف مؤلفات حسنة منها كتاب (مناقب مالك ، السنن الكبير)[٧]. اقتبس القاضي عياض منه ثلاثة عشر نصا ، ولم يصرح في اسم المصدر الذى اقتبس منه لكنه اشار في مقدمة كتابه المدارك الى انه اعتمد على كتابه في (مناقب مالك). وعلى ما يبدو ان معظم نقولاته عن المالكية وردت بصيغة ((ابي بكر) الفريابي ، الغريابي) وبلفظ (قال ، ذكر)[٨] وكان القاضي عياض ناقلا حرفيا مختصرا وجاء معظم نقولاته خالية من الاسناد عدا قلة اسندت الى احد الشيوخ او الرواة . يتضح لنا من خلال ما اوردته المصادر[٩] تطابق تلك النصوص.

---

(١) تاريخ بغداد - ١٩٩/٧ ، المدارك - ١٨٧/٣ ، تذكرة الحفاظ - ٦٩٢/٢

(٢) المدارك - ١٨٧/٣ ، حلية الاولياء - ٢٧٦/٤ ، ٣١٧/٦

(٣) المصدر نفسه ، الديباج - ص١٠٢

(٤) المصدر نفسه -١٨٨/٣

(٥) المصدر نفسه - ١٨٧/٣

(٦) المصدر نفسه ، الديباج - ص١٠٢

(٧) المصدر نفسه - ١٨٨/٣

(٨) المصدر نفسه - ١٨٧/٣

(٩) تذكرة الحفاظ - ٦٩٢/٢ ، الديباج - ١٢

١٥ . ابو محمد بكر بن خلف المعروف بوكيع (ت٣٠٦ هـ/٩١٨ م)

القاضي ابن صدقة ، كان مفننا في جميع الاداب ، تولى القضاء ببعض النواحي ، حدث عنه الزبير بن بكار (كان عالما فاضلا عارفا بالسير وايام الناس واخبارهم)(١) له شعر كشعر العلماء وله من المصنفات كتاب اخبار القضاة وتاريخهم واحكامهم(٣) .

اقتبس القاضي عياض من كتابه اخبار القضاة ثلاثة وعشرين نصا ، وقد وردت بصيغ عديدة منها (القاضي ابو بكر محمد بن خلف المعروف بوكيع في طبقات الفقهاء ، القاضي وكيع ، وكيع ، وكيع نقلا عن فلان(٣) ، القاضي وكيع في طبقات القضاة نحو قوله (انشد له القاضي وكيع في طبقات القضاة(٤) ، قال وكيع في كتابه(٥) وبلفظ (قال ، حدثني ، انشد

---

(١) اخبار القضاة - ١/المقدمة

(٢) مطبوع - (ط ١ - القاهرة - ١٩٤٧ م) .

(٣) المدارك - ٥١٨/٢ ، المقتبس من انباء اهل الاندلس - ص ٨١ .

(٤) المصدر نفسه

(٥) المصدر نفسه - ١٨٣/٣

اعلام المالكيـــــــــة

نقـلا عـن فلان ، ذكـــر) وترجـم لعـــدد مـــن

منزلتهـم العلميـة ، شيوخهـم ، ثقافتهـم مصنفاتهـم ، ذاكـــرا نسبهـــم

وفيـاتهـم ، وكان القاضي عياض ناقـــلا حرفيـا مباشـرا مختصـرا وناقـدا

احيانـا وتبدو معظم اقتباساتـــه عن القاضي وكيع خاليـة من الاسنـــاد

عـدا قلـة منهـا تنسـب الى احـد شيوخـه ، وقد وردت معظـم نقـولاتـــه

متطابقة مقارنـــة مع كتابـه لاخبار القضـاة) وعلى النحو الاتـــي :

ترتيب المدارك	اخبـار القضـاة
٣٦٩/٢	٢٠٣/١ ، ٣٢٣ ، ٣٧٢ ، ٥٦٩
٥١٤/٢	٦٥/٢ ، ١٣٣
٥٦٩/٢	٢٢٢/٣ ، ٢٢٣
٢٣٨/٣	١٤٤/٣ ، ١٥٣ ، ١٦٤
١٦٧/٣	٩/١
١٨٢/٣	١٦٠/٢ ، ٢٩٥

١٦ ٠ ابو عبدالله بن لبابة (٣٣٠ هـ/٩٤١ م)

الفقيه المحدث محمد بن يحيى بن عمر المعروف بالبربري ابن ابي الشيخ ابن لبابة [(١)] رحل فسمع بالقيروان من حماس بن مروان ، وكان من احفظ اهل زمانه للمذهب عالما بعقد الشروط [(٢)] تولى وظيفة القضاء والشورى بمدينتي البيرة وقرطبة [(٣)] وعلى الرغم من من اشادة العلماء بمكانته العلمية اذ اثنى ابن حزم الفارسي على كتابه (المنتخبة) وانه ليس لاصحابه مثلها وبعضهم جرحه نحو قولهم ((ولم يكن له علم بالحديث ، وكان ينحرف عنه))[(٤)] اما القاضي عياض فلم يضعف علمه بالحديث نحو قوله (أما قلة علمه بالحديث فظاهر ، وأما انحرافه عنه فلا ، بل يميل اليه في تواليفه ، وان اعتمد على نظره في مسألة ، او ضعف فيها قول المدنيين ، وكثيرا ما يقول الا ان يأتي بذلك أثر صحيح)[(٥)] ونحو ذلك .

صنف في الفقه كتاب (المنتخبة ، الوثائق)[(٦)] وغيرها .

---

(١) المدارك - ٣٩٨/٣ ، المرقبة العليا - ٥٠ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه ، رسائل ابن حزم الاندلسي - ١٨١/٢ ، ٢٤٠

(٤) المصدر نفسه

(٥) المصدر نفسه

(٦) المصدر نفسه

اقتبس القاضي عياض منه تسعة وستين نصا ، ولم يذكر لنا مصنفا واحدا اخذ عنه نقولاته بل اختصر ذلك بصيغة (ابن لبابة) بلفظه (قال ، وفي رواية)(١) وكان القاضي عياض في اقتباساته ناقلا حرفيا مباشرا وان معظمها تخلو من الاسناد الا قلة منها اسندت الى احد شيوخه على سبيل التمثيل : قال ابن عفيف (٢) .

---

(١) المصدر نفسه - ٥١٠/٢ ، ٥٣٧

(٢) المصدر نفسه - ٣٩٩/٣ ، المقتبس من انباء اهل الاندلس - ٥٣ ، ٥٩ ، ٨٤ ، ٢٦٤ .

١٧ . محمد بن احمد بن تميم التميمي(٢٥٠-٣٣٣هـ/٨٦٤ - ٩٤٤ م)

ابو العرب ، حافظ المذهب المالكي ، قال ابو عبدالله الخراط ((كان رجلا صالحا ثقة عالما بالسنن، من ابصر اهل وقته))(١) ، اشتهر بين مواطنيه بأنه رافع لواء التاريخ بافريقية (٢) ، سمع اكثر رجال افريقية كمحمد بن مسكين، عبدالله بن سهل القبرياني ، وحبيب بن نصر ابن سهل وابو عثمان سعيد بن الحداد ،. كما ذكره ابن ابي دليم معتنيا بالمذهب المالكي حافظا له غلب عليه الحديث والرجال(٣).

صنف ابو العرب كتبا عديدة اشاد المؤرخون فيها اذ كتب بخطه في الحديث والفقه ثلاثة الاف كتاب وخمسمائة ، وكتاب طبقات علماء افريقية ، وكتاب عباد افرقية ، ومسند حديث مالك وكتاب التاريخ سبعة عشر جزءا ، وكتاب فضائل مالك ، كتاب فضائل سحنون ، كتاب مناقب بني تميم ، كتاب طبقات رجال افريقية (٤) وغيرها . لقد حمل عليه تلميذه ابن الحارث الخشني ولا تذكر المصادر سببا لذلك اذ قال : ((تغلب عليه الرواية والجمع ولم احسن عنده علما ولا فقها))(٥) على الرغم من ثناء العلماء والمؤرخين عامة له .

---

(١) المدارك - ٣٣٤/٣ ، الديباج - ٢٥٠ ، معالم الايمان - ١٩٧/٣

(٢) طبقات علماء افريقية وتونس - ص ٢٧

(٣) المدارك - ٣٣٤/٣

(٤) المصدر نفسه - ٤٢٥/٣ ، الديباج - ٢٥٠ ، شجرة النور الزكية - ص ٨٤

(٥) المصدر نفسه - ٣٣٥/٣

اقتبس القاضي عياض منه مائة وتسعة واربعين نصـا ،
صرح في واحد منها على انه من كتابه ((المحن))واثنين في
كتابه (طبقات علماء افريقية) وأما نقولاته الاخرى فقد جاءت
كما يبدو ومن مختلف مصنفاته ووردت بالصيغ الاتية ((ابو العرب ،
ابو العرب التميمي ، وبلفظ ((ذكره ، قال في كتابه ، والصواب ما رواه
ابو العرب ، ويصوب ابو العرب ، وقد بين ، وترجم ، قال ، سمع
منه ابو العرب ، انشد)) كما ان اغلب اقتباسات القاضي عياض كانت
منقولة عنه نقلا حرفيا مباشرا خاليا من الاسناد ومختصرا في
بعض الاحيان وان معظم نقولاته المقتبسة كانت متطابقة مقارنة
بكتابه ((طبقات علماء افريقية وتونس) وعلى النحو الاتي :

ترتيب المدارك	طبقات علماء افريقية وتونس
٥٧٨/٢ ، ٥٢٧ ، ٤٦٥	١٨٢ ، ٢٠٥ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ،
	١٧٢ ، ١٩٨ ، ٢٠٢ ، ٢٢٠، ٢٢٤
٥٨٦/٢	٤٣ ، ٥٠ ، ٧٠ ، ٨٩ ، ١٣٩ ، ٢٠٩،
٩/٣	، ٢١٣ ، ٢٢٦، ٢٢٥، ٢٢٦

---

(١) طبقات علماء افريقية وتونس ـ ص ٢٦ نقلا عن طبقات الخشني ـ ص ١٧٣.

١٨ • ابن اللباد (٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م)

ابو بكر الامام الجليل محمد بن وشاح مولى موسى بن نصير اللخمي(١) واخذ عن اخيه محمد بن عمرو دمد يس بن القطان(٢) له من المؤلفات الجليلة عدة منها كتاب (الطهارة ، عصمة النبيين (ص) ،فضائل مالك ، الاثار والغرائد في عشرة اجزاء)(٣).

اقتبس القاضي عياض من ابن اللباد تسعة وسبعين نصا ، ولم يصرح في ذكر المصدر الذى استقى عنه معلوماته ، ويبدو ان معظم نقولاته كانت من مختلف مؤلفات ابن اللباد اذ اكتفى بالاشارة اليها وفق الصيغ الاتية (ابو اللباد ، ابن اللباد) وبلفظ (ذكر ، حكي، ذكره ابن حبيب ، قال) وكان القاضي عياض ناقلا حرفيا مباشرا، وان معظم نقولاته وردت خالية من الاسناد عدا قلة اسندت الى احد شيوخه •

---

(١) المدارك — ٣٠٤/٣ ، الديباج — ص ٢٤٩ ، شجرة النور الزكية — ص ٨٤

(٢) المصدر نفسه ، المرقبة العليا — ص ١٤١

(٣) اطنب في مدحه محمد بن ادريس الشافعي قائلا ((صحبت العلماء بالمشرق والمغرب ، ما رأيت مثل ثلاثة ، ابو بكر بن اللباد ، وابي الفضل الممسي ، وابي اسحاق بن شعبان) :
المصدر نفسه — ٣٠٥/٣ ، ٣٠٦ ، ٣٧٥/٢ ، ٤٦١ ، ٥٨٥ •

١٩ . محمد بن سحنون (٢٠٢ - ٢٥٦ هـ /٨١٧ - ٨٦٩م)

ابو عبدالله الانصارى الطليطلي ، كان فقيها زاهدا ورعا عاملا حافظا للمسائل وقد سمع من عمه ابن ارفع وهبة الله بن يحيى [1] . ولم يشر القاضي عياض الى مصنفاته بل اختصر قوله ذكر (انه مستظهر المدونة) وكتبها في اللوح وحفظها كما يحفظ القرآن ولم يخلط بها غيره [2].

اقتبس القاضي عياض منه ثمانية واربعين نصا ولكنه لم يذكر المصدر الذى نقل عنه معلوماته وقد وردت بصيغة (محمد بن سحنون) وبلفظ (قال ، قال لي ابي)[3] وبهذه الصيغة تتضح لنا معظم معلوماته اخذها عن والده ابي سعيد سحنون الفقيه المشهور [4] .

كان القاضي عياض في اقتباساته ناقلا حرفيا مباشرا وبدت معظم اقتباساته خالية من الاسناد متطابقة مقارنة مع كتابه

---

(١) المدارك - ٤٦١/٤ ، جامع بيان العلم وفضله - ص ٩١

(٢) المصدر نفسه - ٤٦٢/٤ ، المقتبس من انباء اهل الاندلس - ص ٢٦٣ ، وفيات الاعيان - ١٨٠/٣

(٣) المصدر نفسه - ٥٩١/٢ ، ١٠٦

(٤) انظر - ص من هذا الفصل .

(اداب المعلمين)[١] وعلى النحو الاتي :-

ترتيب المدارك	كتاب اداب المعلمين
١٨/١ ، ١٩	٥٤
١١/١ ، ٣١	٦١
٥١٤/٢	٧٧
٥٧٠/٢ ، ٥٩٨	٧٦ ، ، ١٧ ، ٧٥ ، ٨٢ ، ٧٩
٣٠٥/٣ ، ٢١٢	١٨ ، ٧٦ ، ١٠٥ ، ٢٦ ، ٣٨
٥٢١/٤	١٨ ، ٧٦ ، ١٠٥
٤٨٨/٤	٣٦

(١) مطبوع ـ طبعة تونس ـ تحقيق حسني عبدالوهاب (١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م) .

٢٠ . ابو عبدالله التستري (٢٧٣ - ٣٤٥ هـ/٨٨٦ - ٩٥٦ م)

القاضي الامام محمد بن احمد بن عمر ، من اهل البصرة (١)
كان له اتساع في الرواية والحديث وحظ من العربية (٢) ، اخذ عن ائمة المالكية كأبراهيم بن حماد وابي عبدالله الزبيري ، وسمع من ابيه ، قال الفرغاني : ادرك عصر سهل بن عبدالله التستري العابد وسمع منه حكايتين ، قال سمعته يقول (من اصبح ولم يعتقد انه يمسي في القبر ، لعبت به الشياطين طول يومه) وسمعته يقول ((الاكل على ثلاثة اصناف))(٣) ، قال القاضي عياض (كان عالما بمذهب مالك شديد التعصب له ، ووضع في مناقبه نحو عشرين جزءا)(٤).

صنف عدة مؤلفات ويبدو ان معظم اعتماد القاضي عياض في نقولاته على كتابيه (في فضائل المدينة ، الحجة لها)(٥) اذ صرح قائلا ((وانتقيت اكثر اعتمادى على كتابي التسترى والضراب ،وتتبعت من غيرهما ما فيه زيادة فائدة او نادرة لم تقع فيهما ، وحذفت

---

(١) المدارك - ٢٨٨/٣ ، شجرة النور الزكية - ص ٨٠
(٢) المصدر نفسه ، الديباج - ص ٢٤٧
(٣) المصدر نفسه
(٤) المدارك - طبعة الرباط - ٩/١ - هامش رقم (١)
(٥) للاسف لم اعثر على مصنفا له . الديباج - ص ٢٤٧

كثيرا مما اطالوا به من كلامه في التفسير والجوامع والرجال)[١] اخيرا اضاف لقوله ثبت جريدة في اسماء مشاهير الرواة عن مالك وحملة الفقه والعلم ذكر فيها تواريخهم واخبارهم[٢] وان هذا الدليل على انه روى عن مالك منه شيوخه التابعين وغير التابعين .

اقتبس القاضي عياض من التستري ثلاثة وعشرين نصا وذكرها بالصيغ الاتية ((التستري ، القاضي ابو عبدالله التستري) وبلفظ ((انشد ، ذكر ، قال ، قرأت بخط فلان)[٣]. وكان القاضي عياض في اقتباساته ناقلا حرفيا أذ وردت معظم اقتباساته مباشرة وخالية من الاسناد خلا قلة منها وردت نقلا عن راو او أحد شيوخه. ويبدو واضحا ان نقولات القاضي عياض وردت متطابقة من خلال اشارة المصادر[٤] .

---

(١) المدارك – ٩/١ – هامش رقم (١)

(٢) المصدر نفسه – ٤٥/١ ، الديباج – ٢٤٧

(٣) المصدر نفسه

(٤) الديباج – ص ٢٤٧ ، شجرة النور الزكية – ص ٨٠

٢١ . ابـن يـونـس (٢٨١ - ٣٤٧ هـ/٨٩٤ - ٩٥٨ م)

ابـو سعيـد عبدالرحمن بن احمـد بن يونـس بن عبد الاعلـى المصرى الصدفي وصفـه الذهبي بـ (الحافظ ، الامام المثبت)[١] كـان اماما في علم التاريخ[٢] خبرا بأيام النـاس وتواريخهم[٣] صنـف تاريخ مصـر ، خـص بـه المحدثين من اهـل مصـر ، واخر في الـواردين علـى مصر سمـاه (تـاريخ الغربـاء)[٤] . كمـا اختصـر الذهـبي كتابـه الاكبر (تـاريخ مصـر) ، وجميـع مؤلفـاته تعـد حاليا مـن المفقودات .

اقتبـس القاضـي عياض من ابن يونـس احـد عشر نصـا ، صرح فـي احدهـا على انهـا من كتابـه (تـاريخ مصـر) وذكرهـا بصيغـة (ابن يونس ، وسعيد بن يونس) وبلفظ (قـال ، ذكر) ومعظم النصوص وردت مجردة من الاسنـاد.

تناولـت المقتطفـات المقتبسة الاعـلام المالكيـة من اهـل مصـر ، تذكر كناهم ، ثقافتهم ، مكانتهم ، صفـاتهم ، جرحهم ، نتـاجاتهـم العلمية والادبية احيانا ومناصبهـم الدينية والادارية ووفياتهم في اغلـب الاحيـان .

---

(١) التذكرة - ٨٩٨/٢

(٢) فوات الوفيـات - ٢٦٨/٢

(٣) البداية والنهايـة - ٢٣٣/١١

(٤) تـاريخ بغداد - ٧٥/٦ ، معجم الادبـاء - ١٥٥/٢ ، فوات الـوفيـات - ٢٦٨/٢ ، التذكرة - ٨٩٨/٢ ، البغية - ١/ص ٣ ، السخاوى - الاعـلان بالتوبيخ لمن ذم التـاريخ - تحقيق احمد باشـا تيمور - (دمشـق - مطبعة الترقـي - ١٣٤٩ هـ /١٩٣٠ م) - ص ٥٩٢

٢٢ • محمد بن القاسم بن شعبان (٣٥٥ هـ/٩٦٥ م)

الحافظ النظار ابو اسحاق القرطبي ، اشاد فيه الفرغاني نحو قوله (كان رأس الفقهاء المالكيين بمصر في وقته ، واحفظهم لمذهب مالك ، مع التفنن في سائر العلوم ، من الخبروالتاريخ والادب)(١)وكان واسع الرواية ، كثير الحديث ، مليح التأليف (٢) ووصفه الشيرازى قائلا ((واليه انتهت رئاسة المالكيين بمصر))(٣) وكان القاضي عياض حينما يروى له نقلا عن احد الرواة يشك في قوله هذا نحو قوله في ابي الحسن القابسي (وغالب ظني انه ابو الحسن القابسي)(٤)وكان يقول في ابن شعبان (انه لين الفقه)(٥).

ذكر القاضي عياض ان كتبه فيها غرائب من قول مالك ، وأقوال شاذة عن قوم لم يشتهروا بصحبته ، ليست مما رواه ثقات اصحابه ، واستقر من مذهبه (٦) ولعل اهمها في الفقه كتاب (الزاهي الشعباني) وكتاب (في احكام القرآن) وكتاب (مختصر ما ليس

---

(١) المدارك - ٢٩٣/٣، شجرة النور الزكية - ص ٩٠

(٢) المصدر نفسه ، الديباج - ص ٢٤٨

(٣) المصدر نفسه

(٤) المصدر نفسه - ٢٩٤/٣

(٥) المصدر نفسه ، الديباج - ص ٢٤٨

(٦) المصدر نفسه

في المختصر) وكتاب (مناقب مالك) وكتاب (شيوخ مالك) وكتاب (الرواة عن مالك) وكتاب (جماع النسوان) وكتاب (مواعظ ذى النون الاخميمي) وكتاب النوادر) وكتاب (الاشراط والمناسك) وكتاب (النوادر)[1] .

اقتبس القاضي عياض عن ابن شعبان ثلاثة واربعين نصا ، ولم يشر الى المصدر الذى نقل عنه معلوماته في المدارك ، وذكرت بصيغة (ابو اسحاق بن شعبان ، ابن شعبان) وبلفظ (قال ، ذكر)[2] وتبدو اغلب نقولاته خالية من الاسناد الا بعضها نسبت الى احد شيوخه او رواته .

---

(١) المصدر نفسه

(٢) المصدر نفسه – ٤٨١/٢

٢٣ . محمد بن الحارث بن اسد الخشني (ت ٣٦١ هـ/٩٧١ م)

ابو عبدالله الفقيه الحافظ الامام المتفنن المشاور والمؤرخ [١] من اهل القيروان ، سمع من عدة من رجال افريقية [٢] بعد ان انتقل الى قرطبة استطاع ان ينمي ثقافته اللغوية والفقهية اذ صنف لامير المؤمنين المستنصر بالله تواليف حسنة منها كتابه في الاتفاق والاختلاف في مذهب مالك وكتاب الفتيا وكتابه تاريخ الافريقيين وكتابه (تاريخ قضاة الاندلس) وكتاب التعريف ، وكتاب الاقتباس ، وكتاب المولد والوفاة ، وكتابيه (تاريخ علماء الاندلس وفقهاء المالكية) [٣] اعتمدهم القاضي عياض من خلال ترجمته لطبقة المالكية وكتابه الذى لم يشر اليه القاضي عياض في ترتيب المدارك (تاريخ قضاة قرطبة) [٤] ويبدو انه تاريخ قضاة الاندلس الذى نقل عنه القاضي عياض في كتابه ترتيب المدارك لاربعة من قضاة الاندلس المالكيين . نستدل على ذلك من خلال ما ورد عن ابي الوليد بن الفرضي (بلغني انه صنف للمستنصر بالله مائة ديوان) [٥].

---

(١) شجرة النور الزكية – ٩٤

(٢) تاريخ علماء الاندلس – ٢/١١٤ ، جذوة المقتبس – ص ٦٨ ، بغية الملتمس – ص ٦١ .

(٣) المدارك – ٤/٥٣١ ، تذكرة الحفاظ – ٣/ص ١٠٠١ ، الديباج – ص ٢٥٩

(٤) للخشني – (طبعة مصر – ١٩٦٦ م)

(٥) المدارك – ٤/٥٣١

اقتبس القاضي عياض مائة وتسعة وخمسين نصا ، صرح في واحد منها انه من كتاب تاريخ الافارقة والاخر من كتاب القضاة اما بقية المنقولات الاخرى فقد وردت كما يبدو من مختلف مصنفات الخشني الاخرى وقد وردت بالصيغ الاتية (محمد بن حارث ، ابن حارث ، ابو عبدالله بن حارث ، محمد بن الحارث ، ابن حارث الخشني ، وبلفظ (قال ، ذكر ، قرأت في كتاب ، اراه كان بخطه) وكان القاضي عياض في اقتباساته ناقلا حرفيا على ما يبدو وان معظم نقولاته خالية من الاسناد الا قلة مسندة الى احد شيوخه ، وتناولت المقتطفات المقتبسة ترجمة للفقهاء المالكية قد تطول او تقصر في بعض الاحيان ذاكرا نسبهم من ثقافتهم ، شيوخهم ، مصنفاتهم ، وفياتهم والمسائل الفقهية التي افتوا بها ، وجرحهم وتعديلهم نحو قوله مدحه احمد بن عبادة قائلا ((رأيت ابن حارث في مجلس احمد بن نصر وهو شعلة بتوقد في المناظرة))(١) وقد تطابقت معظم اقتباساته مقارنة بكتاب (تاريخ قضاة قرطبة) وعلى النحو الاتي :

ترتيب المدارك	تاريخ قضاة قرطبة
٥٤٢/٢ ، ٥٤٨ ، ٢٧/٣ ، ٦٣١/٤	١٢٠ ، ٣٨ ، ١١١

---

(١) تاريخ علماء الاندلس -١١٤/٢ ، شجرة النور الزكية - ص ٩٤ .

٢٤ ‌ـ الفرغاني (٢٨٢ - ٣٦٢ هـ / ٨٩٢ - ٩٧٢ م)

ابو محمد عبدالله بن احمد بن جعفر الفرغاني صاحب ابي جعفر الطبرى المؤرخ المشهور ، كان احد الامراء القادة (١) نشا ببغداد وصحب الطبرى وقدم دمشق وحدث عنه الكثير ، وقد وثقه الخطيب بقوله ((وكان ثقة))(٢).

صنف الفرغاني كتاب التاريخ ، الذى ذيل به على تاريخ الطبرى (٣) واسند المراكشي له كتاب اطلق عليه اسم (الصلة)(٤)

اقتبس القاضي عياض منه خمسة وثلاثين نصا ولكنه لم يشر الى المصدر الذى نقل عنه معلوماته وقد تضمنت نقولاته الصيغ الاتية (الفرغاني) وبلفظ (قال ، ذكره)(٥) وكان القاضي عياض ناقلا حرفيا مباشرا وتبدو معظم نقولاته خالية من الاسناد عدا قلة اسندت الى احد رواته او شيوخه.

---

(١) الولاة وكتاب القضاة - /٤ ، ٥ ، ٥٦٤ ، يتيمة الدهر - ٥٠٧/١

(٢) تهذيب تاريخ دمشق - ٢٨٠/٢

(٣) المصدر نفسه -/٢٨٠ ، تاريخ الحكماء -/١١٠ ، ١١١

(٤) المعجب - ص ٩٤

(٥) المدارك - ١٧٨/٣ ، المرقبة العليا - ٣٢

٢٥ • محمد بن عبد العزيز بن القوطية (ت ٣٦٧ هـ /٩٧٧ م)

ابو بكر ، من اهل قرطبة ، اصله من اشبيلية ، وقد تولى والده قضاء اشبيلية [١] انتقده ابن الفرضي نحو قوله (ولم يكن بالضابط لروايته في الحديث والفقه ولا له اصول يرجع اليها) [٢].

صنف تصانيف حسان، منها كتاب المقصور والممدود تصاريف الافعال ، كتاب شرح رسالة ادب الكاتب) [٣] وغير ذلك . لعل كتابه الشهير (تاريخ افتتاح الاندلس) [٤] في طليعة المصادر التاريخية لدراسة الفتح العربي وواقع العرب من لدن الفتح حتى نهاية امارة الامير عبدالله بن محمد سنة ٢٩٩ هـ/٩١٢ م) [٥].

اقتبس القاضي عياض عنه احدى عشر نصا ولم يصرح في ذكر اسم المصدر الذى استقى منه معلوماته عن ابن القوطية . ويبدو انه اخذ عن ابن القوطية من مختلف مصنفاته من الكتب ، اذ ترجم لاعلام المذهب المالكي ، ذاكرا اخبارهم، رواياتهم، اساطيرهم وحكاياتهم وما قيل فيهم من جرح وتعديل ، وقد

---

(١) المدارك – ٥٥٤/٣

(٢) المصدر نفسه – ٥٥٥/٣

(٣) المصدر نفسه – ٥٤٤/٣

(٤) الكتاب مطبوع – بيروت – ١٩٥٧ م

(٥) تاريخ افتتاح الاندلس – ٢٨ .....الخ.

وردت نقولاته عن ابن القوطية بالصيغ الاتية (ابو بكر بن القوطية ، ابن القوطية) وبلفظ (قال ، ذكر) [1] وكان القاضي عياض في اقتباساته ناقلا حرفيا مباشرا وتبدو معظم اقتباساته كانت خالية من السند خلا قلة منها نسبها الى احد شيوخه اواحد تلامذة ابن القوطية على سبيل المثل قال القاضي عياض ذكر ابن الفرضي [2] وفي اغلب الاحيان يكون القاضي عياض ناقدا له نحو قوله (وكانت فيه غفلة وسلامة ، وتقشف في ملبسه وورعه)[3]. وقد تطابقت نقولاته مقارنة مع كتاب ابن القوطية (تاريخ افتتاح الاندلس) وعلى النحو الاتي :

ترتيب المدارك	تاريخ افتتاح الاندلس
٤٩٢/٢ ، ٥١٠ ، ٥٣٧ ، ٥١٠	٢٥ ، ٦٧ ، ٧٨
٣١/٣ ، ١٩ ، ٣٩٨ ، ١٥٠ ، ١٥١	٢٣ ، ١٢٣ ، ٥٩ ، ٧٣

---

(١) المدارك - ٤٩٤/٢ ، ٤٩٥

(٢) المصدر نفسه - ٥٥٤/٣

(٣) المصدر نفسه

٢٦ • عبدالله بن ابي زيد (٣٨٦ هـ /٩٩٦ م)

ابو محمد ، نفزى النسب ينتمي الى الطبقة السادسة من اهل افريقية (١) ، سكن القيروان ، كان امام المالكية في وقته وقدوتهم (٢) وجامع مذهب مالك وشارح اقواله ، واسع العلم كثير الحفظ والرواية (٣). حاز رئاسة الدين والدنيا وعرف قدره الاكابر اذ وصفه الشيرازى بأسم (مالك الصغير) (٤) واشاد به ابو الحسن القابسي فقال (امام موثوق به ، في درايته وروايته (٥) بصيرا بالرد على اهل الاهواء وهو الذى لخص المذهب وضم نشره وملأت البلاد تأليفه (٦) تفقه بفقهاء بلده وسمع من شيوخها اخذ عن محمد بن مسرور بن الغسال وابي العرب ابن تميم وحج فسمع من ابن الاعرابي ، واستجاز ابن شعبان والابهرى كما تفقه عنده جلة من اصحاب القرويين والاندلسين واهل المغرب (٧).

---

(١) الديباج - ص ١٣٧

(٢) رياض النفوس - ص ٣٦ م ، المدارك - ٤٩٢/٤

(٣) المدارك - المصدر نفسه

(٤) المصدر نفسه - ٤٩٣/٤ ، الديباج - ص ١٣٧

(٥) المصدر نفسه

(٦) المصدر نفسه

(٧) نفس المصدر - ٤٩٤/٤

له من المصنفات الحسنة كتاب النوادر والزيادات على المدونة)(١) ازيد من مائة جزء مشهور و (مختصر المدونة) و ((الاقتداء باهل السنة)) و ((الذب عن مذهب مالك ، والرسالة)) و((التنبيه على القول في اولاد المرتدين)) و ((مسألة الحبس على ولد الاعيان)) و ((تفسير اوقات الصلاة)) وكتاب ((الثقة بالله)) و((التوكل على الله سبحانه)) ورسالة ((النهي عن الجدال))و((رسالة في الرد على القدرية)) و ((مناقشة رسالة البغدادى المعتزلي ، وكتاب ((الاستظهار في الرد على الفكرية)) ورسالة ((الى اهل سجلماسة في تلاوة القرآن)) وغيرها(٢). وجملة تواليفه كلها مفيدة بديعة غزيرة العلم(٣).

اقتبس القاضي عياض من ابن ابي زيد احدى وتسعين نصا ، على الرغم من كثرة تواليفه الا انه لم يذكر لنا القاضي عياض مصدرا نقل عنه معلوماته بل اكتفى بذكرها وفق العبارات التالية (الشيخ ابو محمد بن ابي زيد ، ابي محمد بن ابي زيد)(٤) وبلفظ ((حكى ، قال سمعت ، قال) وكان القاضي عياض ناقلا حرفيا مباشرا ومختصرا في بعض الاحيان، وتبدو معظم نقولاته خالية من السند .

---

(١) المصدر نفسه

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه

(٤) المصدر نفسه -- ٢/٤٣٩ ، ٣/١٧٠ ، ٤/٤٩٣

٢٧ . ابو الحسن بن فهر المصري (دون سنة الوفاة)

فقيه مالكي محدث ، له سماع من الحسن بن رشيق وابي الحسن بن زريق وابي القاسم الجوهري واحمد بن فراس [١] واخرين [٢] سمع منه المهلب بن ابي صفرة وابن الوليد والدلائي والشعالب عليه الرواية [٣] وصفه ابو عمران الفاسي قائلا ((تفقه بمصر وبمكة ولم الق مثله)) [٤]

صنف في فضائل مالك واهل المدينة اثني عشر جزءا [٥] .

اقتبس القاضي عياض منه سبعة نصوص وتبدو معظمها عن كتابه ((في فضائل مالك واهل المدينة)) وقد وردت بصيغة ((الفهري ، ابو الحسن الفهري)) وبلفظ ((ومثل ذلك ، قال)) [٦] وكان القاضي عياض في اقتباساته ناقلا حرفيا مختصرا وان معظم نقولاته كانت خالية من الاسناد عدا قلة نسبت الى راو واحد وتبدو معظم اقتباساته متطابقة خلال ما اشارت اليه المصادر [٧] .

---

(١) المدارك - ٦٩٩/٤ ، الديباج - ص ٢٠٢ ، شذرات الذهب - ٢٤٧/٢

(٢) نفس المصدر - نفس الصفحة

(٣) المصدر نفسه - ٧٠٠/٤ ؛ ابن النديم - ص ٢٦٣

(٤) المصدر نفسه

(٥) المصدر نفسه - ٦٩٩/٤

(٦) المصدر نفسه - ٤٤/١

(٧) الفهرست - ٢٦٣ ، الديباج - ٢٠٢ ، شذرات الذهب - ٢٤٧/٢ .

٢٨ ـ عبدالله بن محمد بن يوسف الازدي ابن الفرضي[1] (ت ٤٠٣ هـ / ١٠١٢م).

الحافظ الامام ، الحجة ابو الوليد القرطبي ، كان متفننا عالما ذا حظ من الادب وافر[2] روى عنه ابن عبد البر القرطبي اذ قال (كان فقيها عالما في جميع فنون العلم وفي الحديث والرجال[3] مدحه ابن حبان بقوله ((لم نر مثل ابن الفرضي بقرطبة في سعة الرواية وحفظ الحديث ومعرفة الرجال والافتنان في العلوم والادب .[4] واضاف انه (صاحب تاريخ علماء الاندلس)[5] .

له تصانيف عدة منها ((تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس))وكتاب كبير في ((المؤتلف والمختلف)[6] ، فضلا عن هذا كان اديبا شاعرا اذ صنف له كتابا ادبيا ((في شعراء (اهل الاندلس)[7]ومصنفا اخر ورد في التذكرة سماه ((مشتبه النسبة))[8] .

---

(١) جذوة المقتبس ـ ص ٤ ، البغية ـ ص ٦٧ ، شجرة النور الزكية ـ ص ١٠٢

(٢) المصدر نفسه ـ ص ٢٥٤ ، للفائدة انظر :
S-M- IMAMUDDIN- Some Aspects of the socio-Economic and Cultural History of Muslim SPAIN 711-1492- (LEIDEN- 1960) - P - 17 , 147.

(٣) المصدر نفسه ، تذكرة الحفاظ ـ ١٠٧٦/٣

(٤) التذكرة ـ ١٠٧٦/٣

(٥) المقتبس ـ تحقيق محمود علي مكي ـ ص ١٩

(٦) الجذوة ـ ص ٢٥٥

(٧) التذكرة ـ ١٠٧٦/٣ ، الرسالة المستطرفة ـ ص ١٢٠

(٨) نفس المصدر

اقتبس القاضي عياض من ابن الفرضي مائتين وثلاثة عشر نصا ، صرح في ثلاثة منها على انها من كتابه ((المؤلف في طبقات الادباء))(١) وذكر القاضي عياض ان بقية النصوص الاخرى التي وردت في كتابه المدارك كان قد استقاها من كتاب ابن الفرضي (تاريخ العلماء والرواة بالاندلس ، يبدو ذلك واضحا لكونه لم يشر الى مصدر اخر اقتبس عنه نقولاته الاخرى .

وقد وردت بصيغة (ابن الفرضي ، ابو الوليد بن الفرضي ، القاضي ابو الوليد بن الفرضي ، وبلفظ (ذكر ، قال ، نقل عن فلان ، سماعا) كما في قوله ((ذكره سماعا ابن الفرضي عن ابي لبابة))(٢) ومن كتاب ابن الفرضي (٣).

وكانت اغلب نقولاته دونت بصورة مباشرة وكان فيها ناقدا وناقلا حرفيا مختصرا في بعضها ومطولا في البعض الاخر منها ، وكانت متطابقة مقارنة لكتابه ((تاريخ العلماء والرواة بالاندلس)) اذ ترجم فيه لعدد كبير من العلماء والرواة من رووا عن

---

(١) المدارك - ٣٣/٣

(٢) المدارك - ٥١٠/٢

(٣) المصدر نفسه - ١٣٥/٣

مالك ، ذاكرا اسماء الرجال وكناهم ، منزلتهم العلمية وفياتهم ، ومن كان يغلب عليه حفظ الرأى منهم ، ومن الحديث والرواية ، واشتمل على الاخبار والحكايات وجاءت معظمها خالية من السند ما عدا قلة منه يذكر فيه نقل او سمع عن فلان (احد شيوخه) وعلى النحو الاتي :

ترتيب المدارك	تاريخ علماء الاندلس
٤٠٨/٢	٥٠/١
٣٣١/٣	٣١٢/١
٢٨/٣	١٣٣/١
١٤٠/٤ ، ٤٣٥ ، ٥٣٢	٨٥/٢ ، ٩٣ ، ١١٤

٢٩. ابو الحسن القابسي (٣٢٤ - ٤٠٣هـ /٩٣٥ -١٠١٢م)

الفقيه النظار المحدث علي بن محمد بن خلف المعافري النسب ، القيرواني الاصل ، سمع من رجال بلده بافريقية كأبي الحسن الدباغ وابي عبدالله بن مسرور الغسال ودراس بن اسماعيل الفاسي والسدرى (١) له رحلة الى المشرق حج وسمع بمصر ومكة من ابي زيد المروزى وابي الحسن النيسابورى وكتب اليه ابو بكر بن خلاد (٢) كان واسع الرواية عالما بالحديث وعلله ورجاله ، فقيها اصوليا متكلما مؤلفا مجيدا، ومن اصح الناس كتبا واجودها ضبطا وتقييدا (٣) كان عالما بالفروت وغير ذلك من الرقائق (٤) .

الف مصنفات بديعة ومفيدة منها كتابه ((المهذب في الفقه، احكام الديانة ، المنقذ من شبه التأويل ، المنبه للفطن من غوائل الفتن، الرسالة المعظمة ، احكام المتعلمين والمعلمين ، الاعتقادات ، مناسك الحج ، الذكر والدعاء، ملخص الموطأ ، رسالة كشف المقالة في التوبة ، رتب العلم وأحوال اهله، اهمية الحصون ، تزكية الشهود وتجريحهم ، رسالة في الورع))(٥) .

اقتبس القاضي عياض منه احدى وثمانين نصا، ولم يصرح في ذكر المصدر الذى اخذ عنه نقولاته التي وردت بصيغة (ابو الحسن القابسي، القابسي ، وبلفظ (قال ، حكي ، ذكره)(٦).

وكانت معظم نقولاته مختصرة خالية من الاسناد .

---

(١) المدارك - ٦١٦/٤ ، الديباج - ص ٢٥٥
(٢) المصدر نفسه - نفس الصفحة
(٣) المصدر نفسه - ٦١٧/٤ ، تذكرة الحفاظ - ١٠٧٩/٣
(٤) المصدر نفسه -٦١٨/٤
(٥) المصدر نفسه - ٦١٩/٤ ، ذكر ابن فرحون كتابه في الفقه باسم (الممهد في الفقه) - الديباج - ص ٢٥٥
(٦) المصدر نفسه - ٢٩٢/٣

٣٠ـ ابو بكر الباقلاني (٤٠٣ هـ /١٠١٢ م)

القاضي شيخ السنة ولسان الامة ، محمد بن الطيب المتكلم على مذهب المثبتة ، واهل الحديث وطريقة ابي الحسن الاشعري [١] .

صنف القاضي ابو بكر الباقلاني عدة تواليف وقد نقلها القاضي عياض من خط شيخه ابو علي الصدفي منها كتاب (الابانة والاستشهاد ، اكفار الكفار ، التعديل والتجريح ، التمهيد [٢]. شرح اللمع ، الامامة الكبيرة ، الاصول الكبير في الفقه ، امالي اجماع اهل المدينة ، الارشاد في اصول الفقه ، المقنع في اصول الفقه ، مناقب الائمة ، التبصرة ، الرد على الباطنية ، اعجاز القرآن ، كتاب في امامة بني العباس [٣] ومصنفات اخرى [٤] يطول عدها وذكرها ولكن يكفينا القول فيه ما اشاد به الميورقي نحو قوله (حسبت تواليفه ، واملاءاته ، فحسبت على ايام عمره ، من مولده الى موته ، فوجد انه تقع لكل يوم منها عشرون قلت او نحوها) [٥].

---

(١) المدارك ـ٤/٥٨٥ ، ٥٨٦ ، المرقبة العليا ـ ٣٧ ، ٤٠ .

(٢) مطبوع ـ عني بنشره الاب (تشرد يوسف مكارتي اليسوعي ـ(بيروت ـ ١٩٥٧م) .

(٣) المدارك ـ ٤/٦٠١ ، التبصرة والتذكرة ـ ٣١١/١

(٤) المصدر نفسه ، كتاب الانصاف للباقلاني ـ (القاهرة ـ ١٩٥٠م) .

(٥) المصدر نفسه ـ ٤/٥٨٨

اقتبس القاضي عياض منه تسعة نصوص ، ولم يصرح في اسم المصدر الذى استقى عنه معلوماته ، وقد وردت بصيغة ((الباقلاني ، المقرىء الباقلاني ، القاضي الباقلاني) وبلفظ (قال ، نقلتها من خط شيخي ابي علي الصدفي)(١) .

وكان القاضي عياض في اقتباساته ناقلا حرفيا مباشرا وناقدا في احيان اخرى وكان يخطىء رواية ويرجح اخرى نحو قوله في سنة وفاة الباقلاني ((وهذا خطأ ، والاول هو الصحيح)(٢) وان معظم رواياته خلت من الاسناد عدا قلة منها اسندت الى شيخ واحد من شيوخ القاضي عياض وتبدو معظم اقتباساته متطابقة مقارنة مع كتابه ((الانصاف))(٣) على الرغم من ان القاضي عياض لم يذكره في ترتيب المدارك في فقهاء مذهب مالك مع ذكره لمعظم مؤلفات الباقلاني وهذا مما يزيد الاهتمام به ووردت على النحو الاتي :

ترتيب المدارك	كتاب الانصاف
٢١/١	١٠
٣٨٢/١	٨
١٨/١ ، ٢٨٦ ، ٢٩١، ٣٩١	٧ ، ٢١٧ ، ١١٨
١٨٧/٣ ، ٤٨١ ، ٦٠٨	٨
٢٩٤/٣	٦

---

(١) المصدر نفسه - ٦٠١/٤ ز ٦٣٣

(٢) المصدر نفسه - ٥٨٨/٤ ، رسائل ابن حزم الاندلسي - ٢٣٦/٢

(٣) مطبوع - (القاهرة - ١٣٦٩ هـ/١٩٥٠ م)

٣١٥- محمد بن عبدالله بن محمد الحاكم النيسابوري (٣٢١ - ٤٠٥هـ/ ٩٣٣ - ١٠١٤م) .

الحافظ ابو عبدالله ، المعروف بابن البيع ، وصفه الخطيب كان ((ثقة عدد من العلماء واشادوا بعلمه))(١) وذكره الذهبي (امام اهل الحديث في عصره العارف به حق معرفته (٢)وصف بكثرة تصانيفه ويقال ان مؤلفاته بلغت قريبا من الف جزء))(٣) تناولت علوم الحديث والرجال ، كتاب المستدرك على الصحيحين (٤) كتاب فضائل الشافعي(٥) وكتابه المشهور وتاريخ نيسابور)(٦) الذي ذكر فيه تراجم الفقهاء نيسابور، ذكره السبكي قائلا ((تخضع له جهابذة الحفاظ وهو عندي سيد التواريخ(٧).

اقتبس القاضي عياض مصنفاته سبعة نصوص ، الا انه لم يشر الى المصدر الذي استقى عنه معلوماته ، ولعل نقولاته كانت من مختلف مؤلفات الحاكم النيسابوري وقد اكتفى بالاشارة الى صيغة (ابو عبدالله النسابوري ، الحاكم) وبلفظ (قال ، ذكر) وكان القاضي عياض ناقلا حرفيا مباشرا وتبدو اغلب نقولاته خالية من الاسناد خلا قلة منها مسندة الى احد شيوخ الحاكم ، ويعزو اغلب اقتباساته الى كتابه تاريخ نيسابور

---

(١) تاريخ بغداد - ٤٧٣/٥ ، المنتظم - ٢٧٤/٧ ، التذكرة - ١٠٤٥/٣ ، الطبقات الكبرى - ١٦٤/٤ .

(٢) التذكرة -١٠٤٣/٣

(٣) المصدر نفسه - نفس الصفحة

(٤) الرسالة المستطرفة - ص٢١٠ ، هناك المستدرك على الصحيحين للدار قطني وآخر لابي ذر الهروي . المصدر نفسه - ص٢٣٠

(٥) التذكرة - ١٠٤٣/٣

(٦) الانساب - ٥٧٤ أ ، الاعلان بالتوبيخ - ص٦٥٢ ، (ذكره السيوطي انه في ست مجلدات) بغية الوعاة - ٦/١

(٧) الطبقات الكبرى - ٣٢٤/١

اذ ان طبيعة معلوماتها تناولت رجال الفقه والحديث من اهل نيسابور الواردين عليها وبيان حالهم من الجرح والتعديل وذكر مكانتهم العلمية ، وشيوخهم ، وفياتهم . وتبدو معظم اقتباسات القاضي عياض عنه كانت متطابقة مقارنة لكتابه معرفة علوم الحديث والرجال وعلى النحو الاتي :

ترتيب المدارك	معرفة علوم الحديث والرجال
٢٦/١، ٢٨، ١٣٨، ١٤٣، ١٣٠، ٢٨٨	١٢٥، ١٢٧، ٩، ٨، ١٨٦، ١٤٢
٣٩٩/٢	١٢٢، ١٣٩
٢٩٤/٣	١٣٩
٥٦٠/٤	١٤٤

٣٢. ابو عمر بن عفيف (٣٤٠ - ٤١٠ هـ/٩٥١ - ١٠١٩ م)

الفقيه القاضي احمد بن محمد القرطبي[1] سمع بها من ابن زرب وابن بطال وابن عون الله وابن القوطية وعباس ابن اصبغ البصرى[2] برع في الوثائق والشروط . تولى خطة الشرطة والوثائق وبعدها قلد قضاء مدينة لورقة .

له من المصنفات الحسنة كتاب (في علم الشروط ، المعلمين وكتاب الاحتفال في علماء الاندلس ، وصل به كتاب ابن عبد البر ، نظم شعربة)[3].

اقتبس القاضي عياض منه ثلاثة عشر نصا ولم يصرح في ذكر المصدر الذى استقى عنه نقولاته وقد وردت بعبارة (ابن عفيف وبلفظ (قال ، ذكر)[4] وكان القاضي عياض ناقلا حرفيا مختصرا وسمت معظم نقولاته خالية من الاسناد عدا قلة منها اسندت الى احد رواته .

---

(١) المدارك - ٧٣٥/٤

(٢) نفس المصدر

(٣) المصدر

(٤) المصدر نفسه - ٥٥٠/٤ ، ٦٣٥/٢

٥٣٣ سعيد بن احمد بن الحداد (٤٢٨ هـ/١٠٣٦م)

الفقيه ابو الطيب ، حاز رئاسة بلده طليطلة ، من بيوت الشرف والعلم(١) له رحلة اذ حج وكتب العلم ، وسمع بمصر من عبد الغني بن سعيد الحافظ (٢) .

لم يدون له القاضي عياض مصنفا علميا ، على الرغم من تصريحه انه اقتبس من ابن الحداد احدى وعشرين نصا ، دون الاشارة الى المصدر الذي اخذ عنه بل اقتصر في ذكره بعبارة (ابن الحداد ، سعيد بن الحداد ، ابو محمد بن سعيد بن الحداد) وبلفظ (قال ، جالست فلان ، جالست المتكلمين)(٣).

وردت نقولاته بصورة مختصرة ومباشرة وكانت معظمها تخلو من السند الا قلة منها اسندت الى احد شيوخ القاضي عياض نحو قوله قال القاضي صاعد بن احمد بن صاعد(٤) ونحو ذلك .

---

(١) المدارك - ٧٥٣/٤ ، لزيادة المعلومات راجع كتاب اداب المعلمين- ص٥٦ .

(٢) المصدر نفسه - ٧٥٤/٤ ، جامع بيان العلم وفضله - ص٨٢ .

(٣) المصدر نفسه -٢٠٢/٣ ، ٥٩٢/٢

(٤) المصدر نفسه - ٧٥٣/٤

٥٣٤ ابو عمر الطلمنكي (٣٤٠ هـ - ٤٢٩ هـ/٩٥١ - ١٠٣٧ م)

احمد بن محمد بن عبدالله المعافري ، اصله من طلمنكة (١) نشأ بقرطبة وسمع من علمائها كابن مفرج وابن نعمان والانطاكي (٢) له رحلة الى المشرق فلقي جماعة منهم ابو القاسم الجوهري وابن غلبون وابو اسحاق التمار (٣) وغالب عليه علم القرآن ، قراءته واحكامه وناسخه ومنسوخه ومعانيه (٤) .

الف مصنفات نافعة وكثيرة كبارا ومختصرة احتسابا ، مثل كتاب (الدليل الى معرفة الجليل (في مائة جزء) في تفسير القرآن) ، البيان في اعراب القرآن ، فضائل مالك ، ورجال الموطأ ، وكتاب الرد على ابن مسرة ، كتاب الوصول الى معرفة الاصول (٥) وغير ذلك من التواليق

اقتبس القاضي عياض منه تسعة نصوص ، لم يصرح في الاشارة الى المصدر الذي نقل عنه كمعلوماته واتخذت صيغة (ابو عمر الطلمنكي ، الطلمنكي) وبلفظ (قال ، روى عنه) (٦) وغير هذا ، وكان القاضي عياض ناقلا حرفيا مختصرا وبدت نقولاته خالية من الاسناد خلا قلة اسندت الى راو واحد فقط او احد شيوخ القاضي عياض نحو قوله قال ابن الحصار الخولاني (٧) ونحو هذا .

---

(١) مدينة بثغر الاندلس الشرقي ، المدارك - ٧٤٩/٤
(٢) المصدر نفسه - ٧٥٠/٤
(٣) المصدر نفسه ، انظر : تذكرة الحفاظ - ١٠٩٨/٣
(٤) الذهبي - معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار - تحقيق سيد جاد الحق - (القاهرة - ١٩٦٩ م) - ٢٧٤/١
(٥) المدارك - ٧٥٠/٤
(٦) المصدر نفسه - ٤٨٣/٤
(٧) المصدر نفسه - ٧٥٠/٤

٠٣٥ ابو عمران الفاسي (٣٦٣-٤٣٠ هـ/٩٧٣- ١٠٣٨م)

الفقيه موسى بن عيسى ابن ابي حاج ، اصله من مدينة فاس وتفقه عند ابي الحسن القابسي وسمع بها من ابي بكر الدويلي وعلي ابن احمد اللواتي السوسي[1] له رحلة الى قرطبة اذ تفقه بها عند ابي محمد الاصيلي وكانت رحلته بعدئذ الى المشرق فحج ودخل العراق فسمع من ابي الفتح ابن ابي الفوارس وابي العباس الكرخي واخرين[2] كما درس علم الاصول على القاضي ابي بكر الباقلاني وله سماع بالحجاز ومصر واخيرا استقربه المقام في مدينة القيروان فلم يزل اماما بالمغرب اذ تفقه عليه جماعة من الفاسيين، والسبتيين والاندلسين[3] فطارت فتاويه في المشرق والمغرب .

على الرغم من ان القاضي عياض في كتابه لم يصرح في ذكر مصنفاته من الكتب الا انه اقتبس منه اربعة وعشرين نصا وقد وردت بصيغة (الفاسي ، ابو عمران الفاسي ، الشيخ ابا عمران) وبلفظ (قال . حدث)[4] وقد تناولت اقتباساته تراجم لاعلام المالكية وذكر ثقافتهم ، مصنفاتهم ، مروياتهم وحكاياتهم و ما قيل فيهم من جرح وتعديل ، شيوخهم وفياتهم . وان معظم نقولاته اسندت بالاحاديث النبوية الشريفة . وكان القاضي عياض ناقلا حرفيا مطولا في بعض الاحيان وان نقولاته وردت خالية من السند الا قلة اسندت الى احد شيوخه .

---

(١) المدارك - ٧٠٢/٤ ، المرقبة العليا - ٣٧ - ١٦٩

(٢) المصدر نفسه - ٧٠٢/٤ - ٧٠٣

(٣) المصدر نفسه ، انظر ايضا :
The moors in Spain and Portugal -P-124

(٤) المصدر نفسه -٧٠٢/٤ - ٧٠٦

٣٦. ابـو ذر الهروى (٣٥٦ - ٤٣٥ هـ/٩٦٦ - ١٠٤٣ م)

عبدالله بن احمد بن النجار ، اصله من هراة ، تمذهب بمذهب مالك (١) . لقي عدة من اعلام مالك واخذ عنهم كالقاضي ابي بكر الابهرى وأبي اسحاق الدينورى واشتغل في الحديث فتقدم في امامته (٢) له رحلة الى الحجاز ومصر اذ سمع من جلة علمائها كأبي الحسن الدار قطني، سمع منه عالم لا يحصى من اهل الاقطار من شيوخ شيوخنا (٣) وقد ادركنا غير واحد ممن سمع منه (٤) فضلا عن ذلك كان اماما في الحديث حافظا له ، ثقة ثبتا متقنا ، واسع الرواية ، كثير المعرفة بالصحيح والسقيم ، وعلم الرجال (٥) وغير ذلك .

له من المصنفات كثيرة منها كتابه الكبير في (المسند الصحيح ، المخرج على البخارى ومسلم ، كتاب السنة والصفات ، كتاب الجامع ، الرواة ، القرآن ، فضائل يوم عاشوراء ، مسانيد الموطآت ، كرامات الاولياء ، فضائل مالك بن انس ، كتاب دلائل النبوة ، ما روى في

---

(١) المدارك ٤/٦٩٦ ، المرقبة العليا - ص ٩ - ٤٧

(٢) المصدر نفسه ، لزيادة المعلومات راجع - كتاب الانصاف - ص ٢٧

(٣) المصدر نفسه - ٤/٦٩٧

(٤) المصدر نفسه ، تذكرة الحفاظ - ٣/١١٠٣

(٥) المصدر نفسه - ٤/٦٩٧

وغيرها (٢) . بسم الله الرحمن الرحيم ، كتاب في شيوخه (١)

اقتبس القاضي عياض من الهروى ثلاثة وثلاثين نصا

، لم يصرح في ذكر المصدر الذى استقى عنه نقولاته ووردت معظم نقولاته

بصيغة (ابو ذر ، ابو ذر الهروى) وبلفظ (قال ، ذكر) (٣) وكان القاضي

عياض ناقلا حرفيا مباشرا وان معظم اقتباساته خلت من الاسناد خلا قلة

مسندة الى احد رواته او شيوخه .

---

(١) المصدر نفسه - ٦٩٨/٤

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه

٣٧٠ ابو اسحق الشيرازى (٣٩٣ - ٤٤٦ هـ/١٠٠٢- ١٠٥٤م)

ابراهيم بن علي بن يوسف بن عبدالله الفيروز ابادى (١) الشافعي المذهب ، كان قد تفقه بشيراز ثم دخل بغداد وقرأ على شيوخها ابي الطبرى وابي علي الزجاجي (٢) ، كما اقر بعلمه الموافق والمخالف (٣).

اقتبس القاضي عياض من العلامة الشيرازى احدى وثمانين نصا وردت بصيغة (الشيخ ابو اسحاق الشيرازى ، الشيخ ابو اسحاق الفيروز ابادى ، الشيخ ابو اسحاق ، وابو اسحاق) وكانت بلفظ (قال ، ذكر ، ما اقتضبه) .

كانت معظم اقتباساته على ما يبدو مباشرة وكان القاضي عياض ناقلا مطولا في ترجمة العلم الذى يذكره الشيرازى بصورة مختصرة كما في ترجمته لابن اشرس التونسي قال الشيرازى (منهم ابن اشرس التونسي من شيوخ المغرب) (٤) ، ذاكرا نسبهم - ثقافتهم ، نشأتهم

---

(١) المدارك - ٣١/١

(٢) السمعاني - الانساب - ٤٣٥ ب ، طبقات ابن قاضي شهبة - ٢٤٥/١

(٣) المنتظم - ٧/٩

(٤) طبقات الفقهاء - ص١٥٢ ، المدارك - ٣٢٩/١

وفياتهم ، ماقيل العلمية ، وظائفهم الادارية والدينية - شيوخهم ، وفياتهم ، ماقيل فيهم من جرح وتعديل . كان القاضي عياض في اغلب الاحيان ناقدا اذ اعترض على الشيرازى اشياء تتصل بتراجم الاعلام المالكية على سبيل المثل (عد ابراهيم بن محمد بن فرين في رواة سحنون من اهل الاندلس) قال ((ولا يعرف ذلك في الاندلس)) وقد رده عليه اهل الصنعة والاشبه انه ابن بلز ، وهو من جلة تلك الطبقة ، وكذلك صنع في اسماء كثيرة منهم في انسابهم وذكرهم في غير طبقاتهم(١) . واخيرا يؤكد القاضي عياض ان مثل هذه الاستدراكات لم يتورط في مثلها ابو اسحق الشيرازى وحده وانما وقع في مثلها كثير من العلماء ومستندا الى ما قاله الشيرازى ، لعل الموقع الجغرافي النائي للمغرب والاندلس(١) كان السبب الاول في اضطراب الاسماء وتصحيفها في النقل وصعوبة الحصول على معلومات دقيقة .

وردت اقتباساته متطابقة مقارنة مع كتاب طبقات الفقهاء للشيرازى وعلى النحو الاتي :

ترتيب المدارك	طبقات الفقهاء
٣٦٠/١ ، ٣٦٥	١٤٨
٥١١/٢ ، ٦٢٧	١٤٩ ، ١٥٧
٢٩٣/٣ ، ٤٨٢	١٥٥
٤٩٢/٤ ، ٥٢٨	١٦٠

---

(١) المدارك - ٤٧/١

(٢) طبقات الفقهاء - ص ٢٥

٣٨ ـ عبدالله المالكي (٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م)

الفقيه ابو بكر[١] ، وهو والد محمد بن عبدالله المالكي الذي تفقه بصاحبه الشيخ ابي الحسن القابسي ولازمه وكان يقال له ابن الشافعي فقال القابسي هو المالكي بن المالكي[٢] ويبدو واضحا ان والده ابو بكر المالكي كان قد تفقه من علم ابيه واخذ وسمع عنه .

كانت له رحلة الى المشرق سنة ٣٧٧ هـ/٩٨٧م واجازه عدد من شيوخه وجميعهم اجازوه اجازة عامة[٣] ، اذ انتفع الناس من علمه وبلغ مجموع اصحابه من اخذ عنهم نحو المائة والعشرين[٤].

لم يلتفت اليه المؤرخون واصحاب التراجم ومن المدهش ان القاضي عياض لم يترجم لابي بكر المالكي ولا لوالده ابي عبدالله رغم اعتماده الفائق عليهما وتقديره لكتابه (رياض النفوس) وما فيه من فوائد كثيرة وكثرة نقولاته عنه .

صنف بعض المؤلفات منها كتاب (تاريخ صلحاء افريقية) ، وكتابه الشهير (رياض النفوس)[٥] اذ ترجم فيه لطبقة المالكية ممن رووا عن مالك من الطبقة الاولى من التابعين والغير التابعين ، وان له كتابا اخر في (طبقات القضاة)[٦] وغيرها .

---

(١) رياض النفوس ـ المقدمة

(٢) معالم الايمان ـ ٣/٢١٥

(٣) رياض النفوس ـ ٤٢ م

(٤) نفس المصدر

(٥) المطبوع حاليا ـ (ط ١ ـ (ط ١ ـ القاهرة ـ ١٩٥١م)

(٦) المدارك ـ ٢/٥٦٤

اقتبس القاضي عياض اغلب نقولاته من كتابه (رياض النفوس) عدا ثلاثة نصوص صرح بها انها من كتابه (طبقات القضاة بمصر)(١) ، ووردت بصيغة (ابو بكر المالكي) وبالفاظ منها (قال ، ذكر ، حكي ، رجح في كتاب رياض النفوس)(٢) وفي اغلب الاحيان كان ينتقي الرواية ويرجحها على الاخرى، كانت معظم نقولاته خالية من السند ، وقد تطابقت جميعها مقارنة مع كتاب ((رياض النفوس) للمالكي وعلى النحو الاتي :

ترتيب المدارك	رياض النفوس
٢٥٤/١ ، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧	٤٥٢ ، ٤٥٦
٢٨٢/٢	٤٥٦

---

(١) المصدر نفسه

(٢) المصدر نفسه - ٤٩١/٢

٣٩ ـ محمد بن عتاب (٣٨٣ - ٤٦٢ هـ /٩٩٣ - ١٠٦٩ م)

شيخ المفتين القرطبي ابو عبدالله، تفقه بالقاضي ابن بشير واحمد بن ثابت الواسطي والطلمنكي(١) أشاد العلماء بوصفه ذكره شيخ القاضي عياض ابو علي الغساني الحافظ قال (كان من جلة الفقهاء واحد العلماء الاثبات ، وممن عني بسماع الحديث دهره وقيده فأتقنه)(٢) وتقلد قضاء بلده(٣).

اقتبس القاضي عياض منه سبعة عشر نصا على الرغم من انه لم يذكر مصنفاته والمصدر الذى نقل عنه معلومات وقد وردت بصيغة (ابن عتاب ، ابو محمد بن عتاب ، وبلفظ (قال ، حدث ، اثنى عليه)(٤).

كان القاضي عياض من اقتباساته ناقلا حرفيا مختصرا ذاكرا بعض الحكايات والمرويات ولكن معظم اقتباساته خلف من الاسناد الا البعض منها اسندت الى احد شيوخه.

---

(١) المدارك - ٨١٠/٤

(٢) المصدر نفسه - ٨١٢/٤

(٣) المصدر نفسه

(٤) المصدر نفسه - ٨١٠/٤

٤٠ . صاعد بن احمد بن صاعد الاندلسي (٤٢٠-٤٦٢ هـ/١٠٢٩-١٠٩٨م)

ابو القاسم صاعد بن احمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد التغلبي، قاضي طليطلة [١] ، الفقيه المؤرخ المتقن ، القرطبي الاصل ، روى عن ابي محمد بن حزم والفتح بن قاسم وابي الوليد الوقشي وغيرهم [٢] وكان من اهل المعرفة والذكاء والرواية والدراية [٣] .

ولصاعد عدة مصنفات منها كتاب (جوامع اخبار الامم من العرب والعجم ، صوان الحكم في طبقات الحكماء، مقالات اهل الملل والنحل، كتاب اصلاح حركات النجوم ، وله مفقودات (تاريخ الاندلس) ، (تاريخ الإسلام) [٤] ولعل اشهر اثاره العلمية كتابه (طبقات الامم) [٥] الشهير.

اقتبس القاضي عياض من كتابه طبقات الامم سبعة نصوص ، ولم يذكر المصدر الذي استقى عنه نقولاته ، وذكره بالصيغ الاتية (صاعد بن احمد بن صاعد ، القاضي صاعد بن احمد بن صاعد) [٦] وبلفظ (قال، ذكر)

---

(١) طبقات الامم - المقدمة

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه

(٤) المصدر نفسه

(٥) مطبوع - مصر - مكتبة السعادة.

(٦) المدارك - ٧٥٣/٤

وتناولت الاقتباسات الاعلام المالكية فتذكر نسبهم ، مكانتهم العلميـــة والثقافية ، مواليدهم ووفياتهم ، وظائفهم الادارية ، وشيء من مروياتهم ، والنصوص معظمها غير مسندة الى شيوخه .

وكان القاضي عياض ناقلا حرفيا مباشراوومختصرا ، وتبدو ان معظم نقولاته كانت متطابقة مقارنة لكتاب ابن صاعد (طبقات الامم) وعلى النحو الاتـــي :

ترتيب المدارك	طبقات الامم
٥٢٣/٢	١٠٠
١٦٠/٣ ، ١٧٨ ، ٢٣٣	٩٢، ٨٦، ١١٠
٧٩٧/٤	١١٨

٤١ . ابن عبد البر (٣٦٨ - ٤٦٣ هـ/٩٧٨ - ١٠٧٠ م)

ابو عمر، جمال الدين يوسف بن عمر بن عبد البر النمري القرطبي الحافظ شيخ علماء الاندلس وكبير محدثيها في وقته (١) كان امام عصره وواحد دهره في علوم الحديث والاثر (٢) .

صنف عددا كبيرا من المصنفات في علم الاثر والفقه ومعاني الحديث وعلم النسب والخبر ، ذكر القاضي عياض نقلا عن شيخه ابي علي الغساني وألف تواليف مفيدة طارت في الافاق (٣) منها كتاب ((التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد وهو عشرون مجلدا، وكتاب الاستذكار لمذاهب علماء الامصار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأى والاثار ، وكتاب الاستيعاب ، وكتاب جامع بيان العلم ، واشار الى ان اغلب اقتباساته كانت من خلال كتاب عبدالله التسترى في مناقب مالك وفي فضائل اهل المدينة والحجة ، اذ صرح بأنه ادخل جميع ماله فيها من كلام صاحب الاستيعاب ، في جامعه (٤) وكتاب بهجة المجالس وكتاب الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء مالك والشافعي وابو حنيفة ، وكتاب الكافي في الفقة عشر مجلدات ، اقوال مالك واصحابه (٥) وغيرها (٦).

اقتبس القاضي عياض من ابن عبد البر تسعة وستين نصا صرح في احدها على انها من كتابه التمهيد وذكرها بصيغة (لابي عمر في وصف

---

(١) المدارك - ٨٠٨/٤
(٢) الصلة - ٩٧٣/٣
(٣) المدارك - ٨١٠/٤
(٤) المصدر نفسه - ٢٨٨/٣
(٥) المصدر نفسه - ٨١٠/٤
(٦) المصدر نفسه

كتاب التمهيد) ، وصرح في اثنين منها على انهما من كتابه (المنتقى في الفقهاء من اصحاب مالك)[1] وبلفظ (قال ، ذكر ، حدث عنه) واسند قسما من هذه النصوص الى شيوخه كأبي الوليد الباجي وكان ناقلا حرفيا وناقدا في بعض الاحيان وان اغلب اقتباساته وردت خالية من السند اذ ترجم فيها الفقهاء المالكية ولم تخل من الجرح والتعديل ، وتبدو معظم نقولاته كانت متطابقة مقارنة مع كتابه جامع بيان العلم وفضله وعلى النحو الاتي:

ترتيب المدارك	جامع بيان العلم وفضله
٣١/١، ٤٤ ، ٤٥ ، ٢٨ ، ٨٢ ،٢٨٦	٥٢، ١٦٩، ٨٢ ، ١٩٤
١٤/٢، ٥٦٩، ٥٨٥، ٥٢٣	٥٣، ١٩٩، ٨١، ٩١، ٨١
٤١٦/٣	١١١

---

(١) المدارك ٢- ٤٠٨/٢ ، ٧٤٨/٤ ، ٨١٠

الخطيب البغدادى (٣٩٢-٤٦٣ هـ/١٠٠١ -١٠٧٠م)

٤٢ . ابو بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد البغدادى ، الفقيه الحافظ ، احد ائمة الحديث المشهورين ((ومن ختم به ديوان المحدثين))(١).

اقتبس القاضي عياض من الخطيب البغدادى مائة وثلاثة عشر نصا ، صرح في ثلاثة عشر منها الى انها من كتابه (تاريخ بغداد) وتناولت اخبارا عن علماء المالكية وابيات شعرية وأورد نصا واحدا على انه من كتاب الحجة في الشافعي ، اما بقية نقولاته تبدو انها من مصنفات البغدادى الاخرى . وقد اشار القاضي عياض في اقتباساته من الخطيب البغدادى بالصيغ الاتية : (ابو بكر الخطيب البغدادى ، الخطيب ابو بكر وبلفظ ((ذكر ، انشد ، قال ، من كتاب الخطيب قال فلان ، في تاريخ البغداديين ، نقلا عن فلان ، في تاريخه ، في تاريخ علماء بغداد ، حدث عنه ، فيما حكاه)) وكان ناقلا حرفيا مباشرا وتبدو اغلب نقولاته خالية من الاسناد عدا قلة نقلت عن راو واحد وترجم فيه لفقهاء طبقة المالكية ممن روى عن مالك مشيرا الى مكانتهم العلمية والثقافية والوظيفية وشيوخهم ووفياتهم ، جاءت اغلب نقولاته متطابقة مقارنة مع كتابه تاريخ بغداد وعلى النحو الاتي :-

ترتيب المدارك	تاريخ بغداد
٣٨٢/١	٣٧٨/٧
١٨٧/٣ ، ٤٨١	٣٧٨/٧ ، ٣٨٧
٦٠٨/٤	٢٧٦/٧

(١) تهذيب تاريخ دمشق - ٣٩٨/٨ ، معجم الادباء - ٢٤٦/١ ، تذكرة الحفاظ - ١١٣٧/٣ ، الرسالة المستطرفة - ص ٥٣ .

٤٣ ـ ابو نعيم الاصبهاني (٣٣٦ - ٤٣٠ هـ/٩٤٧ - ١٠٣٨ م)

احمد بن عبدالله بن احمد بن اسحاق الاصبهاني الحافظ ، احد الاعلام المحدثين ومن اكابر الحفاظ الثقات(١) اثنى عليه الخطيب البغدادي فقال ((لم ار احدا اطلق عليه اسم الحافظ غير ابي نعيم ، وابي حازم العبدي))(٢) كما وصفه ابن النجار بقوله (تاج المحدثين) واحد اعلام الدين، ومن جمع الله له في الرواية والفهم والدراية (٣).

صنف ابو نعيم الاصبهاني عددا من المؤلفات التي تناولت الحديث والرجال والادب والعقائد ، منها معجم شيوخه، وكتاب دلائل النبوة ، وكتاب (فضائل الجنة) وكتاب ((معرفة الصحابة)) وغيرها (٤). وكتابه الشهير (حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ، ترجم فيه للصوفية وقد اثنى عليه السبكي بقوله ((وهو من احسن الكتب))(٥). وله كتاب (تاريخ اصبهان) الذى ترجم فيه لاهل اصبهان لمن دخلها من الصحابة ورتبها على حروف المعجم)(٦).

---

(١) وفيات الاعيان - ٩١/١

(٢) التذكرة - ١٠٩٢/٣

(٣) الطبقات الكبرى - ٢١/٤

(٤) وفيات الاعيان - ٩١/١ ، الوافي بالوفيات - ٢١٣/٧ ، التذكرة -١٠٩٢/٣، انظر عنه :

(٥) الطبقات الكبرى -٢٢/٤

(٦) وفيات الاعيان - ٩١/١

يشر الى المصدر الذى اخذ عنه نقولاته وذكرها بصيغة (ابو نعيم) وبلفظ (قال) نحو قوله في ابن الطهرى قال ابو نعيم (ما قدم علينا فتى اعلم بحديث الحجاز منه)(١) ، وتبدو اقتباساته خالية من الاسناد وبصورة مباشرة اعتمده القاضي عياض اذ اقتبس منه خمسة نصوص الا انه لم

وتطابقت معظم نقولاته القاضي عياض مع كتاب ابو نعيم حلية الاولياء على سبيل المثل :

ترتيب المدارك	حلية الاولياء
٤٤/١ ، ٢٨ ، ٣٨٢/٢	٤٠١/١ ، ٢٢٠/٨
	١٧٤/٣
٥٥/١ ، ٦١	٢٢٢/٥ ، ٣٢٨/٦
٢٨٢/١، ٢٨٨ ، ٥٣١/٢، ٥٦٨	٣٨٢/١
٣٩٩/٢ ، ٥٦٦	٣١٨/٦، ٢٢٠/٨ ، ٣١٩/٦
١٦٦/٣	٢٥٧/٦

(١) المدارك - ٥٨٠/٢

٤٤ • ابن حيان الاندلسي(ت ٤٦٩ هـ /١٠٧٦م)

حيان بن خلف بن حسين بن حيان القرطبي الذى كان عالما من الطبقة الاولى وقد لقب بـ (شيخ الادب والمؤرخين في الاندلس)[١] كما وصف بـ (صاحب لواء التاريخ بالاندلس)[٢] وكان قد اخذ عن ابيه خلف بن حسين كاتب المنصور محمد بن ابي عامر صاحب مدينة الزاهرة وكان صاحب سره في جميع ما يتعلق باخباره وحوادثه .

صنف مؤلفا عدة منها كتاب (المقتبس في ذكر ولاة الاندلس)[٣] في عشر مجلدات وكتاب (المبين في تاريخ الاندلس)[٤] ستون مجلدا .

اقتبس القاضي عياض منه اكثر من ثلاثة وتسعين نصا ، ولكنه لم يذكر المصدر الذى استقى عنه نقولاته وقد وردت بصيغة (ابن حيان، ابن حيان القرطبي) وبلفظ (قال ، ذكر) وكثير ما كان يسترحم له في اخر

---

(١) المقتبس من ابناء اهل الاندلس - ص/ـ ؟ ، انظر د. مصطفى الشكعة بحثه بعنوان - ابو مروان بن حيان بين الادب الابداعي وادب كتابه - مجلة المناهل - السنة الحادية عشرة - العدد - ٢٩ - الرباط - ١٩٨٤ م) - ١٥١ .

(٢) نفح الطيب - ٢٧٢/٤ ، المرقبة العليا - ٤٠ ، ٧٧ ، ٨٨ ، ٩٤ ، راجع: مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد السابع والعشرون - (الكويت - ١٩٨٣) - ١٥١/١ .

(٣) مطبوع - تحقيق محمود علي مكي - طبعة مصر .

(٤) ولكن هذا الكتاب للاسف مفقود الان - شذرات الذهب - ٣٢٣/٣ .

النص نحو قوله (رحمه الله وغفر له) (١). وان نقولاته كانت مباشرة وبدت بعيدة عن الاسناد وتبدو معظم نقولاته متطابقة مقارنة مع كتابه المقتبس وعلى النحو الاتي :-

ترتيب المدارك	المقتبس من ابناء اهل الاندلس
١/٥٤، ١٤٢	٤٣،٨٣، ٤٤، ٤٦
٢/٤٩٤، ٥٨٥، ٥٩٩، ٦٢٦	٥٥، ٥٢، ٥١، ١١٠
٣/٣٣، ١٥٨	٣٣، ٤٧
٤/٤٤٥	١٦٤، ١٨٩

---

(١) المدارك - ٤/٥٤٣ ، ٦٣٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠

٤٥ ـ سليمان بن خلف الباجي (٤٠٢-٤٧٤هـ/١٠١٢-١٠٨١م)

الفقيه الامام القاضي ابو الوليد البطليوسي، كان من علماء الاندلس وحفاظها، اخذ بالاندلس عن ابن الرحوي وابي الاصبغ ابن ابي درهم وابي محمد مكي وابي شاكر القبري ويونس بن مغيث(١)، رحل الى المشرق سنة ٤٢٦ هـ، فأقام بالحجاز مع ابي ذر ثلاثة اعوام حج فيها اربع حجج(٢) ثم ببغداد وبقي يدرس الفقه ويسمع الحديث عن ائمتها ثلاثة عشر عاما عاما، كأبي بكر الخطيب وأبي القاسم التنوخي، ودخل الشام فسمع بها من ابن السمسار وطبقته، وسمع بمصر من ابي محمد بن الوليد وغيره، ودخل الموصل فأقام بها عاما يدرس على السمتياني الاصول، وحاز علما كثيرا(٣) روى عنه القاضي عياض نحو قوله ((سألت عنه شيخنا قاضي قضاة الشرق ابا علي الصدفي الحافظ صاحبه فقال لي (هو احد ائمة المسلمين لا يسأل عن مثله ما رأيت مثله)(٤) وقد عظم جاهه وقربه الرؤساء وقدروه، تولى وظيفة قضاء مواضع من الاندلس تصغر عن قدره كأربولة وشبهها(٥)

---

(١) المدارك -٨٠٢/٤، وفيات الاعيان - ٣٠٤/١

(٢) المصدر نفسه، المطرب من اشعار اهل الاندلس و المغرب - ص ٤١، ٢١٢

(٣) المصدر نفسه

(٤) المصدر نفسه - ٨٠٤/٤

(٥) المصدر نفسه

له من المصنفات المشهورة والجليلة نظرا لتنوع ثقافته العلمية ولكن ابلغ ما كان فيها في الفقه واتقانه [١].

اقتبس القاضي عياض منه مائة وخمسة نصا، صرح في اثنين منها على انها من كتابه (الفرق) [٢] كما صرح في ثلاثة منها على انها من رسالته المسماة (تحقيق المذهب) [٣] وذيلها بالاحاديث النبوية الشريفة، اتخذت اشكالا متعددة من الصيغ والعبارات منها ((ابو الوليد الباجي، القاضي ابو الوليد الباجي، القاضي ابو الوليد) [٤] وبلفظ (قال، سمعته، حسب ما قاله). وبهذا الشكل كان القاضي عياض ناقلا حرفيا مباشرا على ما يبدو، وان معظم نقولاته تضمنت ترجمة لاعلام المالكية وكان ناقدا في بعض الاحيان وبدت نقولاته خالية من الاسناد وان اغلب اقتباساته كانت متطابقة على ما يبدو وذلك من خلال اشارة كتب الطبقات والتراجم [٥].

---

(١) عن مصنفاته انظر : المدارك – ٤/٨٠٥، ٨٠٦

(٢) المصدر نفسه، تذكرة الحفاظ – ٣/١١٧٨

(٣) المصدر نفسه

(٤) المصدر نفسه – ٢/٤٢١، ٣/٤٩٢، ٤/٨٠٢، ٤/٥٨٠، ٤٦٠، ٧٦٤، ٨٠٢

(٥) المطرب – ص ٢١٢، وفيات الاعيان – ١/٣٠٤

٤٦ • الحميدى (ت ٤٨٨ هـ /١٠٩٥م)

الامام الحافظ ابو عبد الله ، محمد بن ابي نصر فتوح بن عبدالله الازدى الاندلسي(١)، اصله من قرطبة ، روى عن شيوخه كأبي محمد بن حزم الظاهرى(٢) ويبدو انه لم يكن محدثا او فقيها بل كان اديبا وشاعرا وناقدا.

الف الحميدى مجموعة كبيرة من المصنفات وقد تناولتها المصادر والمراجع التي بين ايدينا مما تدل على معرفته وحفظه منها كتاب (الجمع بين الصحيحين البخارى ومسلم ، التذكرة ، الذهب المسبوك في وعظ الملوك ، نوادر الاطباء ، تفسير غريب ما في الصحيحين ، بلغة المستعجل ، تسهيل السبيل الى علم الترسيل ، وكتاب (جذوة المقتبس)(٣) ذكر فيه ولاة الاندلس ومشاهيرها من رواة الحديث والادب ، ويعد من اهم كتبه التي اعتمدها القاضي عياض في كتابه المدارك •

اقتبس القاضي عياض من الحميدى تسعة نصوص ويبدو ان تلك النقولات كانت من كتابه الجذوة لان معظمها وردت خالية من أسم المصدر الذى نقل عنه ، واتخذت تلك النقولات صيغة واحدة (الحميدى) وبالفاظ منها (قال ، ذكره ، ذكر ، قال فلان قال لي الحميدى ، نحو قوله قال الشافعي

---

(١) جذوة المقتبس – المقدمة ، انظر – وفيات الاعيان –٤/٢٨٢

(٢) المصدر نفسه ، بغية الملتمس – ص١١٣ ، كشف الظنون – ١/٥٨١

(٣) المصدر نفسه ، بغية الملتمس – ص ١١٣ •

قال لي الحميدى (١).

كان القاضي عياض في اقتباساته ناقلا حرفيا مباشرا مختصرا للنص وناقدا، وقد خلت اقتباساته من الاسناد اذ ترجم فيه لعدد من الفقهاء ورواة الحديث من الاعلام المالكية . وتبدو معظم اقتباساته وردت متطابقة مقارنة مع كتاب جذوة المقتبس للحميدى وعلى النحو الاتي:-

ترتيب المدارك	جذوة المقتبس
٢/٤٢١، ٤٩٢، ٤٩٤	٢٨٢، ٢٥٤، ٢٨٢
٣/٢٣، ١٣٥، ١٥٨، ٣٩ ،	٢٥٤، ٢٨٢
٣/١٤٨ ، ١٤٩، ٥٨٠	١٤٩، ٣٤٦
٤/٧٦٤، ٨٠٢ ،٥٤٢	٤٣، ٢٨٢

---

(١) المدارك - ١/٣٦٨

٤٧ - الحسن بن اسماعيل الضراب (٣١٣-٣٩٢ هـ/٩٢٥-١٠٠٢م)[١]

ابو محمد ، الفقيه المصري المحدث راوي المجالسة عن الدينوري[٢] على الرغم من اعتماد القاضي عياض في كتابه المدارك عليه كما صرح قائلا واكثر نقولي على كتابي الضراب والتستري)[٣] الا انه لم يترجم له واكتفى بذكر مصنفا له في فضائل مالك[٤] ومن مصنفاته الاخرى التي ذكرتها المصادر كتاب (المروة)[٥].

اقتبس القاضي عياض عنه سبعة واربعين نصا ولم يذكر اسم المصدر الذي استقى منه معلوماته في المدارك وقد وردت بعبارة (الضراب ، ابومحمد الضراب ، ابو محمد الحسن بن اسماعيل الضراب ، وبلفظ (انشد ، ذكر ، قال)[٦] وكان القاضي عياض ناقلا حرفيا مستشهدا ببعض الابيات الشعرية التي قيلت عن الامام مالك في فترة حياته وبعد مماته[٧] ومختصرا في العبارات وان اغلب نقولاته خلت من الاسناد وبدت متطابقة مقارنة بالمصادر التي تحدثت عن الضراب[٨].

---

(١) المدارك -٣١/١، ٤٤، جامع بيان العلم وفضله - ص ٥٢

(٢) شذرات الذهب - ١٤٠/٣، لسان الميزان -١٩٧/٣ ، ايضاح المكنون -٣٣١/٢.

(٣) المدارك -٤٥/١

(٤) المصدر نفسه - ٤٤/١

(٥) سير اعلام النبلاء- ٢٨٢/١٠ ، ايضاح المكنون - ٣٣١/٢

(٦) المدارك -٢٤٧/١ ، ٢٤٨

(٧) انشد ابو محمد الضراب قائلا:

اذا ما عدّت العلماء يوما ... فمالك في العلوم هو الضياء

تبوأ ذروة العلماء قوم ... فهم كالارض وهو لهم سماء

المصدر نفسه - نفس الصفحة

(٨) شذرات الذهب -١٤٠/٣، لسان الميزان-١٩٧/٢، معجم المؤلفين -٢٠٧/٣

٤٨ . ابو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م)

ابن الصيرفي الامام العالم المتبحر الحافظ عثمان بن سعيد بن عثمان الاموي اللاحق بالتقديم عند اهل المغرب والمشرق[١] وعنه اخذ عالم كثير وحصل النفع به ، كان اماما في علم القرآن وروايته وتفسيره ومعانيه واعرابه[٢] .

صنف بعض المؤلفات الحسنة المفيدة اذ كان متفننا في مختلف العلوم مثل الحديث والعلوم والفقه ومن تصانيفه ((الممتع والتسير في القراءات السبع))[٣] وكتاب ((جامع البيان في القراءات السبع)) و (تفسير القراءات السبع) و (تفسير كبير ، و (طبقات القراء) خاضعون لتصانيفه[٤] .

اقتبس القاضي عياض منه تسعة عشر نصا ، صرح في احدى عشر منها الى انها من كتابه (طبقات القراء) وقد وردت بصيغة ((ابو عمرو الداني في طبقات القراء ، المقرئ في طبقاته ، ابو عمرو في طبقات

---

(١) تذكرة الحفاظ - ١١٢٠/٣ ، شجرة النور الزكية - ص ١١٥

(٢) نفس المصدر ، كتاب السنن الابين - ص ٣٠ - ٣١

(٣) الكتاب مطبوع ومتداول في الوقت الحاضر

(٤) شجرة النور الزكية - ص ١١٥

المغرشين)[١] وبلفظ (قال ، ذكر ، روى عنه) وكان القاضي عياض ناقلا حرفيا مباشرا ومختصرا وتبدو معظم نقولاته خالية من الاسناد عدا قلة منها اسندت الى راو واحد او احد شيوخ القاضي عياض وكانت اقتباساته متطابقة من خلال كتابه ((التيسير في القراءات السبع وعلى النحو الاتي:

ترتيب المدارك	التيسير في القراءات السبع
٢٨٢/١ ، ٣٠٠ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠	٩ ، ١٣ ، ٦ ، ١٢
٥٧٢/٤ ، ٦٠٥ ، ٧٨٥	و ، ١٤ ، ١٣

وقد اقتبس القاضي عياض ايضا نصوص في التراجم من كتب التاريخ والطبقات ولكون النصوص التي اقتبسها القاضي عياض قليلة فقد ارتأيت ان أشير اليها دون الترجمة المطولة لاصحابها مع مطابقة النصوص المقتبسة مع المصدر الموجود واحيانا لم يشر الى المصدر الذى استقى عنه معلوماته.

اقتبس من ابي بكر بن حماد اربعة نصوص بصيغة (ابو بكر بن حماد) وبلفظ (قال)[٢] فضلا عن هذا ابو جعفر الطبرى اقتبس منه اربعة نصوص بصيغة (ابو جعفر الطبرى ، الطبرى) وبلفظ (كتب عنه ، قال)[٣] كذلك الرقيق القيرواني اقتبس منه اربعة نصوص اشار فيه الى اسم المصدر الذى استقى منه معلوماته نحو (الرقيق في تاريخه ، وبلفظ(قال)[٤] وابو بكر الصولي اقتبس منه اربعة نصوص تضمنت الصيغة الاتية (الصولي) وبلفظ (قال)[٥] والتنوخي وردت بصيغة (الحسين بن علي التنوخي ، ابو

---

(١) المدارك - ٨٣/٣ ، ١٧١ ، ١٧٨ ، ٦٢١/٤

(٢) المدارك -٦٢٧/٢

(٣) المصدر نفسه -٧٠/٣

(٤) المصدر نفسه -٤٨٨/٤

(٥) المصدر نفسه - ٢٨٧/٣

علي الحسين بن علي التنوخي) وبلفظ (ذكر)(١) وكذا الحال بالنسبة لابي الحسن بن علي اللواتي(٢) وابو عبدالله الصيرفي(٣) واصبغ بن خليل(٤) والدينوري(٥) وابن سعيد الاندلسي(٨) وفي بعض الاحيان يذكر المصدر الذى استقى عنه معلوماته على الرغم من انه نصا واحدا على سبيل التمثيل: ذكر عريب الكاتب في تاريخه(٧) ونحو هذا .

كما اقتبس من البعض الاخر ثلاثة نصوص على سبيل التمثيل: الداودى ذكره بصيغة (احمد بن نصر الداودى) وبلفظ (قال)(٨) وابن عبد الرؤوف إذ ذكر المصدر الذى استقى عنه معلوماته بصيغة (ابن عبد الرؤوف في طبقاته) وبلفظ (قال) (٩) كذلك البلخي اخذ عنه بصيغة (ابو عبدالله البلخي) وبلفظ (ذكر ، قال)(١٠).

اما البعض الاخر فقد اقتبس عنهم نصين دون ذكر المصدر الذى استقى عنه معلوماته على سبيل التمثيل البرنكاني(١١) وابن عجلان الاندلسي(١٢) وغيرهم واقتبس احيانا نصا واحدا من كل من ابن سعد(١٣)

---

(١) المصدر نفسه - ٢٨٠/٢
(٢) المصدر نفسه - ٦٢٢/٤
(٣) المصدر نفسه - ٥٨٧/٤
(٤) المصدر نفسه - ١٦٠/٣
(٥) المصدر نفسه - ٥٥١/٢ ، ٨٦/٣
(٦) المصدر نفسه - ١٩٨/٣ ، ٢٢٦
(٧) المصدر نفسه - ٥٩٥/٢
(٨) المدارك - ٥٢٣/٤
(٩) المصدر نفسه - ٥٥٤/٤
(١٠) المصدر نفسه - ٤٢٥/٢
(١١) انظر ترجمته في المدارك - ٤٤/١
(١٢) المصدر نفسه - ٦١٣/٢
(١٣) المصدر نفسه - ٢٤٨/٣

وحسين بن عاصم[١] واخرين يطول ذكرهم .

واخيرا تضمنت اقتباساته الاشارة الى جماعة ذاكرا موطنهم في بعض الاحيان نحو قوله (قال بعض القرطبيين)[٢] او ذاكرا اكثر من عالم واحد من اعلام الاثر على سبيل التمثيل (قال غير واحد من العلماء بالاثر)[٣] او (قال بعض العلماء)[٤] وغيرها .

---

(١) المصدر نفسه - ٤٢٩/٢

(٢) المصدر نفسه - ٨١٤/٤

(٣) المصدر نفسه - ٦٠٩/٢

(٤) المصدر نفسه - ٥٩٥/٢

ثانيا : موارده عن كتب الحديث

١. الامام احمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ/٧٨٠ - ٨٥٥ م)

ابو عبدالله احمد بن هلال الشيباني البغدادي ، امام المحدثين وشيخ الاسلام وسيد المسلمين في عصره، الحافظ الحجة (٢) ذكره ابن حاتم (كان صاحب فقه ، وصاحب حفظ ، وصاحب معرفة)(٣) صنف في الحديث وعلله ورجاله(٤) اشتهر بكتابه (المسند الصحيح) الذى جمع فيه من الحديث ما لم يتفق لغيره)(٥) ، كما وصفه الحافظ المديني ان كتاب المسند في الحديث لابن حنبل اصل كبير ومرجع وثيق لاصحاب الحديث انتقى من احاديث كثيرة ومسموعات وافية فجعل اماما ومعتمدا وعند التنازع ملجأ ومستندا(٦) وله كتاب (العلل)(٧) وكتاب (فضائل الصحابة)(٨) .

اقتبس القاضي عياض عنه تسعة وثلاثين نصا الا انه لم يصرح في ذكر المصدر الذى اخذ عنه معلوماته بل اكتفى بالصيغ الاتية (احمد بن حنبل، احمد، احمد بن حنبل عن فلان)(٩) وبلفظ (قال ، اثنى ، كتب عنه ،

---

(١) حلية الاولياء - ٢٧١/٢، وفيات الاعيان - ٦٤/١

(٢) تذكرة الحفاظ - ٤٣١/٢ ، تقريب التهذيب - ٥٠١/٢

(٣) مقدمة الجرح والتعديل - ٢٩٤ ، جامع بيان العلم وفضله -٦٢ ص

(٤) الخطيب البغدادي -١٣١/٢ ، وعن مصنفاته انظر : ٧٣/٤ ، ٣٩١/٦.

(٥) وفيات الاعيان -٦٤/١

(٦) التذكرة والتبصرة -٢١/١ ، كشف الظنون -ص ١٤٣٢

(٧) مطبوع - تحقيق طلعت قوج اسماعيل جراح - (انقرة - ١٩٦٣ م).

(٨) البصائر - العدد السابع - ص ٤٩

(٩) المدارك -٥٢٢/٢ ، ٥٨٠ ، ٣٨٧

روى عنه ، كما قال في روايته) نحو قوله (كما قال في روايته لمحمد بن ادريس الشافعي[1].

وكان القاضي عياض في نقولاته ناقلا حرفيا مباشرا وتبدو معظم اقتباساته كانت متطابقة مقارنة مع كتاب المسند وعلى النحو الاتي:

ترتيب المدارك	المسند
٣٧٦/٢	٣/٤ ، ١٦٤/١
٣٩٩/٢	٤٦٣/٢
٢٦٩/٢	٢٤٤/٤
٤٥٥/٢	٣٤٤/٤

(١) نفس المصدر - ٣٨٢/٢

٥٢ـ الامام البخاري (١٩٤ ـ٢٥٦ هـ /٨٠٩ ـ ٨٦٩م)

ابو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري الجعفي

وصف ابن الاثير بـ (صاحب المسند)(١) وأشاد به الذهبي اذ قال (شيخ الاسلام وامام الحفاظ ... وكان رأسا في الذكاء، رأسا في العلم ،(٢) وصفه ابو نعيم فقيه هذه الامة ، وقال ابن خزيمة ، ما تحت اديم السماء اعلم بالحديث منه واحفظ ـ وقد روى عنه خلائق كثيرون ورحل رحلات واسعة في طلب العلم الى الامصار.

صنف مؤلفات عدة منها كتاب (الجامع الصحيح) في علم الرجال وكتاب (التاريخ الكبير والاوسط والصغير)(٣) الى جانب ذلك كتاب (الثقات والضعفاء) (٤) وغيرها. وتعد كتبه من الموارد المهمة التي اعتمدها القاضي عياض في الحديث .

اقتبس القاضي عياض من البخاري تسعة وعشرين نصا وقد تطابقت بعض النصوص مع كتابه (صحيح البخاري) وقد اشار الى ثمانية عشر نصا من كتابه (صحيح البخاري)(٥) وذكر اربعة نصوص على انها من كتاب التاريخ ، وقد وردت بصيغة (البخاري ، البخاري في التاريخ ، البخاري وغيره ، البخاري ومسلم) وبلفظ (ذكر ، قال ، خرج عنه ، حكي ، قاله) (٦).

وكانت بعض نقولاته تتعلق بالاحاديث النبوية الشريفة وتخريجها

---

(١) الكامل في التاريخ ـ٧/٢٤٠، وفيات الاعيان ـ٤/١٨٩، (عده السبكي من اجل كتب الاسلام ، وافضلها بعد كتاب الله) . الطبقات الكبرى ـ ٢/٢١٥

(٢) تذكرة الحفاظ ـ ٢/٥٥٥

(٣) الرسالة المستطرفة ـ ص ١٢٨ ـ ١٢٩

(٤) نفس المصدر ـ ص ١٤٧

(٥) المدارك ـ ١/٢٨٩

(٦) المصدر نفسه ـ ٢/٢٨٢ ، ٢٨٥ ، رحلة التجاني ـ ص ١٤٢ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣١٦

، وكان قسم من هذه الاقتباسات مسند اسنادا قصيرا ينتهي بلفظ ((رواه البخاري)) و ((اخرجه البخاري)) وقد يحدد مكان الاقتباس نحو (قال البخاري في الصحيح)[١] ، وجل اقتباساته تتعلق بتراجم المحدثين وما قيل فيهم من جرح وتعديل ، وذكر ثقافتهم ، مكانتهم العلمية ، وفيات بعضهم ، وقد تطابقت بعض الاقتباسات مقارنة مع ((صحيح البخاري)) وعلى النحو الاتي :

ترتيب المدارك	صحيح البخاري
٥٤/١، ٦٩، ٣٦٩	٢٨٩/٢ ، ٦٢ ، ١٨٣/٣
٢٨٨/٢	١٠١/٣
١٣٨/٣ ، ١٨٢ ، ١٨٩	٥٤/٢ ، ٦٧، ٢٨١/٣، ٢٨٢

---

(١) المدارك – ١/ص ٣١٦

٥٣- الامام مسلم (٢٠٤ - ٢٦١ هـ/٨١٩- ٨٧٤ م)

هو ابو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري الامام الحافظ ، حجة الاسلام[(١)] ، طلب الحديث منذ الصغر ، واكثر منه حتى اصبح احد حفاظ الدنيا[(٢)] اشتهر بكتابه ((الجامع الصحيح) وعرف به[(٣)] وقيل انه الفه من ثلاثمائة الف حديث مسموعة[(٤)] وكتاب (مشايخ شعبه)[(٥)] والطبقات[(٦)] وغيرها[(٧)].

اقتبس القاضي عياض من (صحيح مسلم) سبعة عشر نصا ، اكثرها تتعلق بالاحاديث النبوية الشريفة وتخريجاتها ، وتنتهي بعبارة ((رواه مسلم)) و((اخرجه مسلم)) و ((خرج عنه مسلم)) و ((خرج عنه البخاري ومسلم)) و ((اخرجه مسلم في الصحيح)) و ((اخرجه مسلم والبخاري في الصحيحين))[(٨)]

وقد تطابقت معظم الاقتباسات مع صحيح مسلم وعلى النحو الاتي:

ترتيب المدارك	صحيح مسلم
١٨/١	١٣٤/١
١٧١/٣ ، ١٧٨	١٢٨/١
٦٢١/٤ ، ٧٩٢ ، ٨١٥	١٢٨/١ ، ٥٥ ، ١٣٥

---

(١) التذكرة -٥٨٨/٢
(٢) وفيات الاعيان - ١٩٥/٥
(٣) تاريخ بغداد - ١٠٠/١٣
(٤) التذكرة - ٥٨٩/٢
(٥) المصدر نفسه ٥٩٠/٢
(٦) الفهرست - ٢٨٦
(٧) التذكرة - ٥٩٠/٢
(٨) المدارك - ٨٢/١ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩/٢

٤٠ النسائي (٢١٥-٣٠٣هـ/٨٣٠-٩١٥م)

ابو عبد الرحمن بن شعيب بن علي النسائي الحافظ صاحب (السنن)(١)

اقتبس منه القاضي عياض احدى وعشرين نصا ، تناولت العبارات التالية (قال النسائي ، جمع النسائي) نحو قوله (جمع النسائي) نحو قوله (جمع النسائي احاديث قد يخلط فيها احمد)(٢) ، وتناولت بعض الاحاديث النبوية الشريفة ، وان معظمها مسندة باسناد قصير ، وقد تطابق قسم من هذه الاقتباسات مع سنن النسائي .

ترتيب المدارك	سنن النسائي
٢٦/١ ، ٢٨ ، ١٣٠	٢٢٣/٢ ، ١٦٥/١ ، ١٩٤/٢
١٣٤/١ ، ١٣٣ ، ١٤٣	١٠١/١ ، ١٩١/١ ، ٢٢٧/٢
٣٠٠/١	١٨١/٢ ، ١٨٢
٣٩٩/٢	١٢٦/١ ، ١٥٨ ، ١٩٩
٥٦٩/٤	١٤٧/٢ ، ١٥٠ ، ٢٠٩ ، ٢١٧

---

(١) تذكرة الحفاظ - ٦٩٨/٢

(٢) المدارك - ٥٧٠/٢ ، ٥٨١

٥٠ ابن ابي دليم (٣٥١ هـ /٩٦٢ م)

ابو محمد، عبدالله بن محمد بن عبدالله القرطبي (١) كان نبيلا للحديث ضابطا لروايته (٢) روى عن قاسم بن اصبغ واسلم بن عبد العزيز ، ومحمد بن عبد الملك بن ايمن (٣)، تولى وظيفتي القضاء واحكام الشرطة لمدينة البيرة ايام الخليفة الحكم المستنصر بالله (٤).

صنف كتاب طبقات من روى عن مالك ، وذكر اتباعهم من اهل الامصار (٥) وقد اعتمده القاضي عياض اذ ذكر (وقد نقلنا منه الكثير في كتابنا هذا) (٦) يعني المدارك ٠

اقتبس القاضي عياض منه مائة وتسعة واربعين نصا ، صرح بها جميعها من كتابه في المالكية وكما يبدو انه لم يكن له مصنف اخر استقى القاضي عياض معلوماته عنه ، وقد اتخذت نقولاته عن ابن ابي دليم عيغ وعبارات منها (ابن ابي دليم في المالكية ، ابن ابي دليم في هذه الطبقة ، ابن ابي دليم وغيره ، ابن دليم ، ويلفظ (قال ، ذكر ، ذكرها ، عده) (٧) وكان القاضي عياض بهذا الشكل ناقلا حرفيا للنص مزيدا عليه احيانا ومختصرا منه في بعض الاحيان، ناقدا له وقد خلت من السند عدا قلة منها نسبت الى احد رواته او شيوخه وتناولت المقتطفات المقتبسة تراجم لاعلام المالكية في ذكر نسبهم ووظائفهم ، اقوال العلماء فيهم ، بعض قصصهم وحكاياتهم ، شيوخهم ما قيل فيهم من جرح وتعديل ، واخير يختمها بذكر وفياتهم ٠

---

(١) ابن الفرضي - ٢٧١/١

(٢) المدارك -٣/٤٤٠

(٣) ابن الفرضي -٢٧٢/١ ، المدارك -٣/٤٤٠

(٤) المدارك -٣/٤٤١

(٥) المصدر نفسه - ٢١/١ ، ٤٤١/٣

(٦) المصدر نفسه -٣/٤٤١

(٧) المصدر نفسه -٣/٦٠ ، ٩٣ ، ١٥٣ ، ٤٦٠

٦٠ ابو بكر الابهري (٣٧٥ هـ /٩٨٥م)

محمد بن عبدالله بن صالح ، من الطبقة السادسة من اهل العراق(١) سكن وتفقه ببغداد وحدث بها عن جماعة منهم ابو بكر بن الجهم الوراق ، ورايت سماعه بخط الاصيلي في كتابه ، من صحيح البخاري ومن مجلد ابن سفهود ، وغيرهم من العراقيين والشاميين(٢) وعنه انتشر مذهب مالك في الاندلس ، ولم يكن له قط الا العلم ولّي في جامع المنصور ببغداد ستين سنة ادرس الناس وافتاهم واعلمهم سنة نبيه (ص) (٣) .

صنف مؤلفات جاة منها في (شرح مذهب مالك ، والاحتجاج له ، الرد على من خالفه ، الرد على المزني ، كتاب الاصول ، فضل المدنية على مكة ، مسألة الجواد والدلائل والملك)(٤) ومن حديثه كتاب العوالي ، الامالي)(٥) وغيرها .

اقتبس القاضي عياض منه احدى وعشرين نصا ، لم يذكر المصدر الذي نقل عنه معلوماته ، وكانت بصيغة (ابو بكر الابهري ـ الابهري)وبلفظ (قال ، شرح)(٦) واسندها بالاحاديث ، وقد وردت خالية من الاسناد .

---

(١) الديباج ـ ص ٢٥٥

(٢) المدارك ـ ٤/٤٦٦

(٣) المصدر نفسه ـ ٤/٤٦٧

(٤) المصدر نفسه ـ٤/٤٧٠ ، الديباج ـ ص ٢٥٥

(٥) المصدر نفسه

(٦) نفس المصدر ـ ٢/٥٢٤

٧. محمد بن يحيى بن مفرج (٣١٥ -٣٨٠هـ/٩٢٧-٩٩٠م)

ابو عبدالله الفقيه، مولى الامام عبدالرحمن بن الحكم القرطبي(١) سمع بقرطبة من قاسم بن اصبغ كثيرا ومن ابن ابي دليم والخشني واحمد بن عبادة الرعيني، رحل الى المشرق سنة (٣٣٧ هـ/٩٤٨ م) فسمع بمكة من ابي سعيد بن الاعرابي ولزمه وسمع بالمدنية واليمن ومصر من جماعة يكثر تعدادهم ، وبلغ عدد الشيوخ الذين لقيهم وروى عنهم في جميع الامصار التي دخلها مع من كتب عنه بالاندلس مائتي شيخ وشيخا(٢).

كان حافظا للحديث اذ تفرد بعلمه(٣) وكان من اعلم اهل الاندلس به ، واقواهم عليه ، واوثقهم فيه)(٤) اطنب في وصفه ابن الفرضي نحو قوله (كان عالما بصيرا بالرجال ، صحيح النقل ، جيد الكتاب على كثرة ما جمع ، والبت الاختلاف اليه والسماع منه سنة (٣٦٩ هـ/٩٧٩م)، اجاز لي جميع ما رواه غير مرة ، وكتب لي ذلك بخطه ولاخي)(٥) الى جانب ذلك له من المصنفات الجليلة(٦).

اقتبس القاضي عياض منه ثلاثة وعشرين نصا ، لم يصرح في اسم المصنف الذى اقتبس عنه وقد وردت نقولاته بصيغة (ابو عبدالله بن مفرج الاندلسي ، ابن مفرج) نحو قوله في ابن شاهين (قال ابن مفرج وهو بصري ثقة عابد)(٧) ، وبلفظ (قال ، قال القاضي ، ذكر) نحو قوله قال القاضي ابن مفرج في محمد بن عبدالله البزاز(٨) .

---

(١) المدارك - ٤٣٥/٣ (٢) المصدر نفسه ، تذكرة الحفاظ - ١٠٠٧/٣
(٣) المصدر نفسه (٤) المصدر نفسه
(٥) تاريخ العلماء والرواة بالاندلس - ٩٣/٢
(٦) المدارك - ٤٣٥/٣ (٧) المصدر نفسه -٣٩٩/٢
(٨) المصدر نفسه -٥٦٥/٤

٥٨ الدار قطني (٣٠٦ – ٣٨٥ هـ/٩١٨ – ٩٩٥ م)

ابو الحسن علي بن عمر بن مهدى بن مسعود الدار قطني البغدادى، الامام ، شيخ الاسلام ، حافظ الزمان ،(١) ، فريد عصره ، ونسيج وحده ، انتهى اليه علم الاثر والمعرفة بعلل الحديث واسماء الرجال(٢) .

له من المصنفات الفائقة التي يطول ذكرها اذ صنف (السنن ، وكتاب المؤتلف والمختلف في اسماء الرجال)(٣) وكتاب العلل الذى قيل عنه (لم ير مثله في فنه ، رتبه على المسانيد في اثني عشر جزءا)(٤) وكتاب (الضعفاء والمتروكين)(٥).

اقتبس القاضي عياض من الدار قطني تسعة عشر نصا ، وان معظم نقولاته كانت من مختلف مصنفاته اذ لم يذكر مصنفا واحدا استقى منه معلوماته ، وقد وردت بالصيغ الاتية (الدار قطني) وبلفظ (قال ، ذكر، حدث ، قاله فلان والدار قطني)(٦) وتناولت المقتطفات المقتبسة اعلام المالكية من الفقهاء والمحدثين واحيانا يذكر لنا حديث او مسألة عن احد المترجم لهم ويوثقها بحديث نبوى او آية قرآنية كما ورد في ترجمته لاسحاق بن اسماعيل قال (وقد قال الله تعالى: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين)(٧) وكان القاضي عياض ناقلا حرفيا مختصرا وناقدا في بعض الاحيان ، ومعظم نصوصه وردت خالية من الاسناد .

---

(١) التذكرة – ٩٩١/٣

(٢) تاريخ بغداد – ٣٤/١٢ ، طبقات الشافعية – ١٦٥/١

(٣) طبقات الشافعية – ١٦٦/١

(٤) الرسالة المستطرفة – ١٤٨ ، تاريخ الادب العربي – ٢١١/٣ ، ٢١٢

(٥) الطبقات الكبرى للسبكي – ٦/٢ ، ١٠٤/٤

(٦) المدارك –٥٦٨/٢

(٧) المصدر نفسه – ١٧٤/٣

ثالثا : الموارد المعاصرة :

فضلا عن المؤلفات السابقة التي اعتمدها القاضي عياض في كتابه المدارك والتي عدت المصدر الاول لموارده . اضاف موارد اخرى كانت قريبة لعصره ، شيوخه الذين كانوا من المصادر المهمة اذ زودته بما كان ينقصه كتابه هذا وذلك من خلال مساهماتهم الفكرية والثقافية .

١. المشاهدة والملاحظة الذاتية :

اشار الى مشاهداته ولقاءاته وعلاقاته الشخصية بالمترجمين برز ذلك بشكل واضح اعتبارا من الطبقة الرابعة وذلك نتيجة الاتصالات الشخصية بهؤلاء العلماء ومشاهداته للبعض منهم كقوله في ترجمة سراج بن عبدالله الاموى (لقيته رحمه الله بقرطبة)[١].

وقد تجلت تلك الصورة باعتنائه بالالفاظ الدالة على المعاصرة الزمنية نحو قوله ((شيخنا الحافظ ابو علي الغسالي) و (شيخنا ابو محمد بن عتاب)[٢] وغالبا ما يشير الى مشاهداته ومشاركته بمراسيم دفن بعض الذين ترجم لهم نحو قوله في ابراهيم بن مسعود التجيبي ((وقد رأيت وفاته أنا رحمه الله)[٣].

٢. السماع والمشافهة :

التقى القاضي عياض بجلة من علماء عصره وشيوخه واخذ منهم بالسماع او القراءة عليهم وحفظ عنهم بعض حكاياتهم واحاديثهم واخبارهم وورت مسندة واتخذت الفاظا عديدة دلت على المشافهة منها (حدثني، قرأت،

---

(١) المدارك - ٨١٧/٤

(٢) المصدر نفسه - ٨٠٨/٤ ، ٨٣٠

سمعت بقراءته ، شافهه نحو قوله (وقد شافهه بعد خروجه) او ((وسمع عليه الصحيحين والمؤتلف والمختلف ، و (قرأت عليه من كتب الشروح)(١) وان البعض الاخر من نقولاته اخذها القاضي عياض من اقرباء ومعاصري المترجم له نحوقوله (حدثنا عنه ابنه ابو الحسين الحافظ) او (وناب منابه شيخنا ابو الحسين سراج ، او (حدثنا غير واحد من شيوخنا)(٢) ونحو هذا .

٢. الاستيضاح والمكاتبة :

نظرا الى معرفة بعض الشيوخ الموجه اليهم السؤال فغالبا ما يسئل عن موضوع او مسألة وفقا لتخصصه فيها كالفقه او الحديث وغيرها نحو قوله (سمعت شيخنا ابا الحسين يقول) (وسألني عن اشياء في نفسه وذاكرته في شيء)(٣) وقد بلغت المراسلات والمكاتبات الجارية بين العلماء في ذلك الوقت مبلغا عظيما لاسيما وان كل واحد منهم يرسل المعلومات الجديدة التي تظهر في بلده ، بغية الوقوف عليها ومتابعة اخبار العلماء(٤) على سبيل التمثيل(وكتب اليه من المشرق ابو نصر النهاوندى يستجيزه،وكتب وهو يستجيز الزمخشري)(٥) على هذا النحو .

---

(١) المدارك – ١٨/١ ، ١٩ ، ٨١٧/٤

(٢) المصدر نفسه – ٨١٦

(٣) المصدر نفسه – ٨١٦ ، الغنية – ١٨٢ ، التكملة – ٢٩/٢

(٤) بشار عواد ، الذهبي ومنهجه – ٣٨٨ ، لزيادة المعلومات انظر: د– حسن الحكيم – ابن الجوزي – رسالة دكتوراه منشورة – بغداد – دار الشؤون الثقافية – ١٩٨٨ م .

(٥) المدارك – ١٩/١

٤. الاجـازات :

اجاز القاضي عياض عدد كبير من شيوخه سواءفي المغرب او فـي المشرق وقد ذكر بعضهم في كتابه موضوع البحث (١) وكان للاجازة العلمية بين الشيخ وتلميذه اثر واضح نظرا الى تعدد العلوم والمعارف وكثرة الرحلات في طلب العلم على سبيل التمثيل :

((رحلته الى المشرق والالتقاءبشيخه ابي علي الصدفي اذ اجاز له جميـع مروياته ، ولقي اعلام الاندلس المهاجرين الى المشرق ، فأجازوا له تأليفهم ومروياتهم))(٢) واحتوت الاجازة على معلومات متنوعة من احاديث الرسـول (ص) وبعض المرويات والاشعار.

٥. الخطـوط :

اهتم القاضي عياض بالاقتباس والنقل من خطوط العلماءسواءمـن شيوخه الذين عاصروه او من هم اقدم منهم وقد تضمنت معلومات عن بعـض اعلام المالكية من رجال الحديث والفقه وتفاسير للقرآن الكريم كما تناولت بعض المعلومات نسب وشيوخ المترجم لهم واحيانا يشير الى ولادتهـم ووفياتهم ، وقد وردت هذه الخطوط بصيغة (قرآن بخط فلان ، وأراه بخطه)(٣) وهذاما يؤكد على ان النقل لم يكن من مصدر معين وغالبا ما يشير الى نقله واراه كان بخطه)) و ((نقلته من كتاب ابن حارث ((كتب الي القاضي ابو الفضل بخطه))(٤) يذكر انه ولد في منتصف شعبان من سنة ٤٧٦ هـ/١٠٨٣م)(٥) ونحو ذلك .

(١) المدارك – ١٨/١ –١٩
(٢) المصدر نفسه –١٩/١
(٣) المصدر نفسه –٤٩٣/٢
(٤) المصدر نفسه – ٢٠/١ ، ٥٤٩ ، ٢٢١/٣، الغنية – ٢٦٢
(٥) المصدر نفسه – ٢٠/١ ، ٢١ ، ٤٩٣/٢

٦٠ كتب الرجال المعاصرة والمصنفات التاريخية :

تناولت اقتباسات القاضي عياض مصادر معاصرة له او قريبة العهد به واغلب هذه المؤلفات كانت لشيوخه الذين اجازوه وتتلمذ عليهم او من كانت له علاقات صداقة معه من معاصريه امثال ابي علي الغساني، الصدفي ، وسيكون الحديث عن المصادر التي استقى منها اكثر من سبعة نصوص ، اما ما قل عن ذلك سوف اكتفي بالاشارة الى ذكره وقد رتبت وفق تواريخ وفياتهم وعلى النحو الاتي :

١٠ ابو نصر النهاوندى (دون سنة وفاة) (١)

عبدالملك بن ابي مسلم المعروف بـ (الامام) له سماع من شيوخه البغداديين كأبي الفوارس وابي الوفا ابن عقيل الواعظ وشارك الشيخ القاضي ابا علي بن سكرة في اكثر شيوخه (٢) له رحلة الى مكة سمع فيها من ابي نصر البندنيجي وأبي علي الطبرى وأفاد منه الناس بعلمه (٣).

اقتبس القاضي عياض منه سبعة نصوص على الرغم من انه لم يذكر له مصنفات علمية . ولكن على ما يبدو انه اخذ عنه في الفقه والحديث وقد وردت بصيغة (ابو نصر النهاوندى ، النهاوندى) وبلفظ (كتب ، نحو قوله (كتب الي اثناءها من المشرق ابو نصر النهاوندى يستجيزه) (٤). وتبدو اغلب نقولات القاضي عياض حرفية مختصرة ومباشرة وتخلو من السند .

---

(١) المدارك - ١/ص ١٩

(٢) الغنية - ٢٣٦

(٣) نفس المصدر - نفس الصفحة

(٤) المدارك -١/١٩ ، ورد في كتابه الغنية ((كتب الي جميع رواياته من ذلك الجمع بين الصحيحين لابي نصر الحميرى عنه) - ٢٣٦ .

٢٠. ابو علي الغساني (٤١٧ – ٤٩٨ هـ/١٠٢٦ – ١١٠٤م)

الحسين بن محمد بن احمد المعروف بالجياني الاندلسي[(١)] وصف بأنه شيخ الاندلس في وقته ، واتقنهم للرواية ، مع الحظ الوافر من الادب والنسب ، والمعرفة باسماء الرجال ، وسعة السماع[(٢)] وذكره ابن الابار (اخر المسندين بقرطبة)[(٣)] سمع من جلة من علماء ومشايخ عصره كأبي عمر بن عبد البر والفقيه ابي عبدالله بن عتاب والقاضي الباجي[(٤)] الى جانب ذلك كانت له صحبة مع القاضي ابي مروان بن سراج .

صنف كتاب (تقييد المهمل) و ((تمييز المشكل)[(٥)] وصفه بأنه كبير الفائدة واتقن كتب اللغة والغريب .

اقتبس القاضي عياض منه عشرين نصا ، لم يذكر المصدر الذى نقل عنه معلوماته وقد تضمنت الصيغ الاتية ((ابو علي الغساني الحافظ ، الجياني الغساني ، ابو علي الجياني ، شيخنا ابو علي الغساني) وبلفظ (قال ،حدث، عنه)[(٦)]

وكانت معظم نقولاته حرفية ومباشرة خالية من السند .

---

(١) المدارك – ١٩/١

(٢) الغنية – ص٢٠١ ، فهرسة ابن عطية – ص٥٦ ، افادة النصيح – ١٧ ،١٣٠، الديباج – ٣٣٢ .

(٣) المعجم – ص٨٦

(٤) نفس المصدر

(٥) المصدر نفسه

(٦) المدارك – ٨١٥/٤ ، ٨٠٨ . واضاف القاضي عياض (كتب الي يجيزني فهرسته الكبرى ، وجميع رواياته وتكرر ذلك اكثر من مرة ومن ذلك كتاب البخارى ومسلم والموطأ الملخص ومصنف ابي داود وغير ذلك) – الغنية – ص٢٠٢ .

٣- ابو عبدالله محمد بن عيسى التميمي (٤٢٩ - ٥٠٥ هـ/١٠٣٧ - ١١١١م)(١)

فاسي الاصل ، ينتسب الى مدينة تاهرت ، يعرف بـ (ابن الدقاق .. له ثلاث رحلات الى الاندلس (٢) سمع من ابن القصيرة وابو العباس الدلائي وابي القاسم الباجي وابو علي الجياني وغيرهم(٣) اطنب العلماء في الافتخار به اذ كان كثير الكتب حافظا لها وعارفا بالفقه من اعقل اهل زمانه بعيدا عن الصيت عند الخاصة والعامة (٤).

لم يذكر القاضي عياض اقتباساته منه بل اكتفى بالقول (تعلم الفقه في حياته بمدينة سبتة على القاضي ابي عبدالله عيسى واخذ عنه)(٥) ولم يدون لنا مصدرا او مصنفا له نقل عنه وذكره بصورة موجزة في كتابه (الغنية) معجم شيوخه .

---

(١) المدارك - ١٨/١

(٢) الغنية - ص ٩٩ ، الصلة - ١٠٥/٢ ، المعجم - ١٠٦ ، ازهار الرياض - ١٥٩/٣ . ووصفه القاضي عياض (كان من احسن القضاة سيرة وانزههم واجراهم على الطريقة القويمة فمضى فقيرا واحتفل الناس بجنازته) النبوغ المغربي - ٩٥/١

(٣) نفس المصدر - نفس الصفحة

(٤) المصدر نفسه

(٥) المدارك - ١٨/١

٥٤ ابو الحسين بن سراج (ت ٥٠٨ هـ /١١١٤م)[١]

الحافظ اللغوى الاديب[٢] من اهل قرطبة وكان والده ابو مروان سراج بن عبدالله من موالي بني امية وخاصتهم[٣] زعيم وقته وأمام اهل طريقته ، اكثر في الاخذ والسماع عن شيوخه وكان قد روى عن ابيه الحافظ ابي مروان والفقيه ابن عتاب واليه كانت الرحلة في وقته بعد ابيه[٤] وحاز الامامة وكان رجل وقته فهما وعلما وحفظا واتقانا مع التقدم في ثمرة الادب النثر والنظم[٥] كما حفظ الكثير من كتب الادب وخاصة كتاب ابن الفرج الاصبهاني

نعتته اغلب المصادر التي تحدثت عنه[٦]. اقتبس القاضي عياض عنه احدى عشرة نصا الا انه لم يشر الى المصدر الذى نقل عنه معلوماته وقد وردت بصيغة (ابو الحسين الحافظ ، شيخنا ابا الحسين ، ابو الحسين المذكور، شيخنا الوزير ابي الحسين سراج ابن عبدالملك بن سراج الحافظ ، وبلفظ (حدثنا ، كان ، وهو القائل ، سمعته يقول)[٧] وقد تضمنت نقولاته ترجمة لاعلام المالكية وبصورة خاصة لجدهم سراج ابن قرة الكلابي

---

(١) المدارك - ٨١٧/٤

(٢) المصدر نفسه - ٨١٥/٤

(٣) المصدر نفسه - نفس الصفحة

(٤) المصدر نفسه - ٨١٧/٤

(٥) بث الصنائع لا تحفل بموقعها في أمل شكر المعروف او كفرا

المصدر نفسه - نفس الصفحة

(٦) المعجم - ٢١٥ ، أزهار الرياض - ١٦٠/٣

(٧) المدارك - ٨١٥/٤ ، ٨١٧

صاحب رسول الله (ص) الشاعر المشهور ولابيه ابي مروان الحافظ امام الاندلس في وقته في علم لسان العرب مشيرا الى اشعارهم ورحلاتهم .

كان القاضي عياض في نقولاته ناقلا حرفيا مباشرا ومختصرا نحو قوله (لقيته رحمه الله بقرطبة وقرأت عليه من كتب الشروح وغيرها كثيرا)(١) فضلا عن ذلك قال (رحلت اليه سنة ٥٠٧ هـ فسمعت عليه غريب الحديث للخطابي وقرأت الدلائل لقاسم بن ثابت السرقسطي والغريبين للهروى وغيرهما وقد كلفني عند رحلتي عنه من قرطبة الى مرسية ان اخذ له خط ابي علي الصدفي باجازته اياه لجامع الترمذى وسمعت منه اشياء كثيرة واجازني جميع مروياته ورواية ابيه ، كما جرت بيني وبينه مراسلات مستغربة ، نثرا ونظما)(٢) ونحو هذا .

---

(١) نفس المصدر ـ ٨١٧/٤

(٢) الغنية ـ ٢٦٢ ، خريدة القصر ـ ٤٨٤/٣ ، طبقات المفسرين ـ ٣٥١/١ ، بغية الوعاة ـ ٥٧٦/١ ، مجلة البصائر ـ العدد ـ ٧ ـ ص ١٦٣ .

٥٥ ابو عبدالله بن فلحون الخولاني (٤١٨- ٥٠٨ هـ/١٠٢٧ - ١١١٤ م)(١)

احمد بن محمد بن عبدالله المعروف بـ (ابن الحمار) من اهل اشبيلية (٢) .

اقتبس القاضي عياض منه سبعة نصوص ولكنه لم يصرح في ذكر المصدر الذى نقل عنه ووردت بصيغة (محمد بن الحمار الخولاني ، ابن الحمار الخولاني ، وبلفظ (قال)(٣) وكان القاضي عياض في اقتباساته ناقلا حرفيا مباشرا نحو قوله في ابي عمر الطلمنكي قال ابن الحمار الخولاني (كان من الفضلاء الصالحين)(٤) فضلا عن ذلك ذكره القاضي عياض في معجمه اذ التقى به واجازه جميع مروياته نحو قوله (٥) وهكذا .

٥٦ ابو عبدالله بن احمد بن التغلبي (٤٣٩ - ٥٠٨ هـ/١٠٤٧- ١١١٤م)

محمد بن علي قاضي الجماعة (٦) عده القاضي عياض من اجل رجال الاندلس وزعيمها في وقته . كان قد تفقه بأبيه وسمع منه كما سمع

---

(١) المدارك - ١٩/١

(٢) الغنية - ١٧٢ ، البغية - ١٦٦ ، العبر - ١٦/٤ ، أزهار الرياض -١٥٧/٣ راجع عنه : د- طاهر احمد مكي - دراسة مصادر الادب - ص ٥٢٣.

(٣) المدارك - ٧٥٠/٤

(٤) نفس المصدر

(٥) لقيته باشبيلية واجازني جميع رواياته وناولني بعضها كما حدثني بـ (الموطأ) عن ابي عمر وعثمان بن سعيد سماعا عليه واجازني فهرسة ابيه الكبيرة وكان واسع الرواية ، - الغنية - ص ١٧٢

(٦) المصدر نفسه - ص ١١٦

من ابي عبدالله بن عتاب واجازه ابن عبد البر الدلائي (١) .

تولى وظيفتي القضاء والشورى بمدينة قرطبة في اول حكم المرابطين (٢) .

لم يذكر له القاضي عياض مصنفا الا انه اقتبس منه اكثر من سبعة نصوص وقد وردت بلفظ (سمعت عليه ، وروى ايضا ، لقيته، جالسته) (٣).

---

(١) المصدر نفسه ، الصلة - ٥٨٠ ، بغية الملتمس - ٥١ ، العبر في خبر من غبر - ٤٧/٤ ، دول الاسلام - ٤٤/٢ ، وفيات ابن قنفذ - ص ٢٧٠

(٢) نفس المصدر - ص ٩٩ - ص ٩٩

(٣) نحو قوله (لقيته بقرطبه سنة (٥٠٧ هـ /١١١٣ م) وجالسته كثيرا ، سمعت عليه الموطأ ، ورواية يحيى بن يحيى الليثي) - المصدر نفسه .

٠٧ ابو القاسم بن النحاس (٤٢٧ - ٥١١ هـ / ١٠٣٥ - ١١١٧م) (١)

خلف بن ابراهيم بن خلف بن سعيد المعروف بـ (ابن الحصار) الفقيه المحدث من سكان اشبيلية (٢).

لم يذكره القاضي عياض في كتابه المدارك اذ اكتفى مختصرا ذكر اسمه وأبيه وممن رحل اليه للاندلس للاخذ عنه (٣) وكان مطولا في وصفه من خلال مصنفه الاخر (الغنية) نحو قوله : (حدثني بكتاب الموطأ عن ابي عمرو عثمان بن سعيد وسمعت عليه واجازني فهرسة ابيه الكبيرة وكان واسع الرواية (٤) .

كان القاضي عياض ناقلا حرفيا مختصرا وناقدا في بعض الاحيان نحو قوله (لم تكن عنده كتب ولا معرفة) (٥)

٠٨ ابو اسحاق ابن احمد اللواتي (ت ٥١٣ هـ/١١١٩م)

ابراهيم بن جعفر الفقيه المعروف بـ (الفاسي) (٦) كان من اهل الفقه والتفنن في المعارف ، له صحبة مع القاضي ابي الاصبغ بن

---

(١) المدارك - ١٨/١

(٢) الغنية - ١٧٢ ، أزهار الرياض - ١٥٧/٣

(٣) المدارك - ١٨/١

(٤) حكي القاضي عياض عنه (لقيته باشبيلية واجازني جميع مروياته وناولني بعضها وروى لي جميع ما اجازه ابو ذر الهروي) - الغنية - ص ١٧٢ .

(٥) نفس المصدر

(٦) المدارك - ١٨/١

سهل اذ تفقه عليه وسمع منه ومن المقرئ ابي محمد بن سهل(١) كما تولى وظيفة منصب القضاء في مدينة سبتة وخطبتها (٢).

لم يدون لنا القاضي عياض مصنفا مع العلم انه اقتبس منه خمسة نصوص في الفقه وردت بلفظ (صحبته ، قرأت عليه)(٣) ونحو هذا .

---

(١) الغنية – ١٨٦ ، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة – م ١ – ق ٢/٧٦٤ ، الصلة – ١/١٠١ ، أزهار الرياض – ٣/١٥٧

(٢) المصدر نفسه

(٣) نحو قوله (صحبته كثيرا وقرأت عليه كتاب الموطأ ورواية يحيى بن يحيى الليثي و (شرح غريب الحديث) لابي القاسم بن سلام و(الملخص للقابسي) – الغنية – ص١٨٦.

٩. ابـو علـي بن فيرة الصدفـي (٤٥٤ - ٥١٤ هـ /١٠٦٢ - ١١٢٠م)

الحسين بن محمد المحدث القاضي السرقسطي ، وهو احد اعلام المشرق الذى رحل اليه القاضي عياض للاخذ عنه وكان قد شافهه وسمع عليه كتـــاب (الصحيحين ، المؤتلف والمختلف ، ومشتبـه النسبة ،(٤) اما في علم الحديـث فقد سمع منه كتاب (الشهاب في المواعظ والاداب)(٥) وبذلك اجازه جميـع رواياته .

اقتبس القاضي عياض منه في كتابه المدارك تسعة نصوص ، لم يذكـر المصدر الذى نقل عنه معلوماته وتضمنت نقولاته الصيـغ الاتية (ابو علـي الصدفي ، ابو علي الصدفي الحافظ ، شيخنا قاضي قضاة الشرق ابا علـــي الصدفي الحافظ) وفي بعض الاحيان لا يذكره منفردا بل مع احد شيوخـــه المعاصرين له نحو قوله (ابو علي الجياني الغساني) والصدفي الحافظـان)

---

(١) المدارك - ١٨/١

(٢) نفس المصدر - نفس الصفحة

(٣) وقابل اثناء انتظاره له ما كان قد بلغه من كتبه بأصولها.
المصدر نفسه .

(٤) لعبد الغني بن سعيد الازدى القدسي (ت ٤٠٩ هـ/١٠١٨م)
المصدر نفسه - ص ١٩

(٥) للقضاعي المصرى (ت ٤٥٤ هـ/١٠٦٢م)
المصدر نفسه - لزيادة المعلومات انظر :
Anwar g-Chemjne - Muslim Spain its History and Culture
-P-279.

وبلفظ (حدثنا ، قال قال لي ، سألت عنه)(١) وكان القاضي عياض ناقلا حرفيا مباشرا ومختصرا اقتباسات عنه في المدارك على الرغم من انه كان مطولا في كتابه (معجم شيوخه) نحو قوله(٢). ونتيجة بلوغه القمة في الحياة العلمية والاجتماعية نرى تعدد تلامذته واتباعه في الاصقاع المغربية والمشرقية كافة .

---

(١) المدارك – ٨٠٤/٤ ، ٨١٦ ، فهرسة ابن عطية – ٢٤ ، الديباج – ص ٢٣٠

(٢) وقد جمعت شيوخه في كتاب المعجم الذى صنفته ذكره واخباره وشيوخه واخبارهم وهم نحو مائتي شيخ) .

الغنية – ص ١٦٢ ، راجع عنه مجلة معهد المخطوطات العربية –١٩٧٢م – المجلد (١٩) – ٢٤/١ ، انظر ايضا :

Muslim Spain its H;story and Culture -P-279.

أبو الوليد احمد بن رشد (ت ٥٢٠ هـ/١١٢٦م)

١٠. ابو الوليد احمد بن رشد (١) تولى وظيفة زعيم الفقهاء في وقته باقطار الاندلس والمغرب قاضي الجماعة في قرطبة (٥٠١ هـ/١١٠٧م) واليه كانت الرحلة للتفقه من اقطار الاندلس (٢).

الف من التصانيف في مذهب مالك واصحابه كتاب (البيان والتحصيل ، المقدمات ، المدونة الكبرى وأجزاء مختلفة من شتى انواع العلوم والمعارف (٣)

اقتبس القاضي عياض منه سبعة نصوص ، ولم يصرح في ذكر المصدر الذي استقى منه نقولاته وقد تضمنت الصيغ الاتية (احمد بن رشد ، ابن رشد)

---

(١) المدارك – ١٨/١ ، راجع عنه : عيون الانباء في طبقات الاطباء – ص ٥٣٠ ، انظر :
S-M- IMAMUDDIN-P- 135, 192

(٢) الغنية – ص ١٢٢ ، الصلة – ٤٧ ، المعجم – ٣٧ ، الذيل والتكملة – ٢٥٦ ، فهرسة ماوراه عن شيوخه – ١٢٢ ، المغرب في حلي المغرب –١٦٢/١ ، المعجب – ٢٤٧ ، أزهار الرياض – ٦١/٣ ، هدية العارفين – ٨٥/١ ، فهرست الرصاع – ١٣٨ ، تاريخ المن بالامامة على المستضعفين – ٤٩٥ص هامش رقم (٢) ، المدخل –١٤٠/١

(٣) المصدر نفسه ، انظر : عبد القادر الصحراوي – ص ٣٩ ، وانظر ايضا :
The moors in Spain and Portugal - P - 77-180

(١)
وبلفظ (كتب) نحو قوله (كتب عنه احمد بن رشـــد)

كان القاضي عياض في اقتباساته ناقلا حرفيا مختصرا وتبدو اغلب نقولاته متطابقة من خلال كتاب مؤلفات ابن رشد على النحو الاتي :

ترتيب المدارك	مؤلفات ابن رشد
٢٠/١ ، ٢٢ ، ٣١	٤/١ ، ٣٩ ، ١٦٦
٣٣٣/٣	٥
٧٥٨/٤ ، ٧٩٢	١٥ ، ١ ، ٤ ، ٢٢

---

(١) روى عنه أبا عبدالله محمد بن القاضي عياض نقلا عن والده نحو قوله (جالسته كثيرا وسايلته واستفدت منه وسمعت بعض كتابه في (اختصار المبسوطة) ـ المصدر نفسه ـ الفنية ـ ص ١٢٢.

١١. ابو بكر الطرطوشي (٤٥١- ٥٢٠ هـ/١٠٥٩ - ١١٢٦م)(١)

محمد بن الوليد من مدينة طرطوشة(٢) المعروف بـ (ابن ابي رندقة) القرشي الفهري الاندلسي الاديب فقيه الاندلس(٣).

رحل الى المشرق سنة (٤٧١ هـ/١٠٧٨م) وان كان مالكيا لكنه اخذ هناك عن ائمة الشافعية كأبي بكر الشاشي وابن سعيد الجرجاني وآخرين(٤) وله رحلات عديدة الى مكة والعراق اذ تفقه وسمع بالبصرة من ابي علي التستري اما في بغداد فلقد اخذ عن شيخه ابي محمد التميمي الحنبلي وينهي رحلاته هذه في الاستقرار بمدينة الاسكندرية والانقطاع الى التدريس والاقراء(٥) وأصبح اماما تتوارد عليه طلبات الاجازات من طرف تلميذه القاضي عياض وامثاله.

---

(١) المدارك - ١٨/١، انظر تفصيلاته في فهرس الفهارس - ٤٦٨

(٢) قصبة على صخرة عظيمة سهلة وعلى المدينة سور صخر من بناء بني امية على رسم اولي قديم ومن اهلها الفقيه الامام الزاهد ابو الوليد الطرطوشي صاحب التعليقة في الخلاف كان زهده قد غلب على علمه). الروض المعطار - ص٣٩١ ، تاريخ الادب الجغرافي - ص ٢٩٩

(٣) الغنية - ص ١٣٠ - المعجب - ص ٤٧ ، خريدة القصر - ٢٩٠/٣، عنوان الدراية - ص٣١٦ ، نفح الطيب - ٢٩٠/٢ ، أزهار الرياض - ١٦٣/٣ ، معجم مقيدات ابن خلكات - ص٣٤٨.

(٤) المصدر نفسه ، الحوادث والبدع - ص ٣ ، تحرير الاحكام - ص ٤٩ ، احمد بدوي - الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام - مصر - ص٣٢٦

(٥) المصدر نفسه ، انظر :

ترك لنا ثروة علمية من المصنفات والرسائل منها على سبيل التمثيل : (سراج الملوك ، اصول الفقه ، تعليقة في مسائل الخلاف ، السعود في الرد على اليهود ، في بر الوالدين ، كتاب الحوادث والبدع ، رسالته في تحريم الغناء ، تحريم جبن الروم)(١).

اقتبس القاضي عياض منه سبعة نصوص ، ولم يشر الى المصدر الذى استقى منه معلوماته وقد ذكرها بالصيغ الاتية (الامام الطرطوشي ، الامام ابو بكر الطرطوشي) وبلفظ (قال ، ذكر ، ذكر استاذنا)(٢) .

تناولت المقتطفات المقتبسة الاعلام المالكية ذاكرا نسبهم ، رحلاتهم ووظائفهم ، مكانتهم العلمية ، شيوخهم وفياتهم نحو قوله في ابي الوليد الباجي (ذكر استاذنا ابو الوليد الباجي)(٣) وكان القاضي عياض في اقتباساته ناقلا حرفيا مباشرا وتبدو معظم نقولاته خالية من السند ومتطابقة مقارنة مع كتاب الطرطوشي (سراج الملوك) وعلى النحو الاتي .

ترتيب المدارك	سراج الملوك
٣٨٢،٧٥٢،٢٨٢،١٣٠،٣٨/١	٨٠،٢٦٨،٢١،٨٣
٣٧٢/٢	٢٧٥
٦٣،٢٢٧/٣	٨٠،٣٣١
٦٩٦/٤	٣١٥،٧٦

---

(١) نفس المصدر

(٢) المدارك - ٨٠٤/٤ وذكر في مصنف اخر له (كتب الي يجيزني جميع رواياته وتصانيفه) افادة النصيح - ص ١٤ ، نفح الطيب - ٢٩٠/٢ ، هدية الغنية - ص ١٣٠ ، الحلل السندسية - ٣/ص ١٢-٢٠ ، مجلة العارفين -٨٥/١ .

(٣) المصدر نفسه -٨٠٤/٤ ، مجلة كلية الاداب - العلات - ١٢٥/٢ - ٣٩ ، مجلة المجمع العلمي العراقي - م ١٥ - ١٩٦١ م - ص ١٤٩ الثقافية - م

١٢. ابن السيد البطليوسي (٤٤٤-٥٢١ هـ/١٠٥٢-١١٢٧م)(١)

ابو محمد عبدالله البلنسي الاستاذ العالم امام النحو والاداب والشارح للحديث والفقه والاصول والانساب (٢) وقد وصفه القاضي عياض شيخ الادباء في وقته (٣) كان حجة ثقة ضابطا.

له من المصنفات عدة اشتهر بها منها كتاب (ادب الكتاب ،شعر المعرى ، شرح الموطأ سماه بـ (المقتبس) وكتاب ((سبب اختلاف الفقهاء)) وغير ذلك(٤) وفوق كل ذلك كان شاعرا ومن شعره (٥).

اقتبس القاضي عياض منه سبعة نصوص ولكنه لم يذكر المصدرالذى اخذ عنه نقولاته ويبدو انه اقتبسها من شتى مصنفاته وقد وردت بصيغة (ابن السيد ابو عبدالله البطليوسي ، ابو عبدالله البطليوسي) وبلفظ (اخذ ، قال ، نحو قوله ((رحلت الى الاندلس واخذت من اعلامها ابن السيد عبدالله البطليوسي))(٦) وكان القاضي عياض في نقولاته هذه ناقلا حرفيا مختصرا ومباشرا وكانت معظم نقولاته خالية من الاسناد.

---

(١) المدارك -١/١٨

(٢) المطرب - ٢٢٥ ، وفيات الاعيان - ١/٢٧٥

(٣) الغنية - ٢١٨ ، البلغة - ١١٤ ، فهرس مخطوطات المسجد الاحمدى بطنطا -٦٢ ، لزيادة المعلومات راجع : اطروحة الماجستير العلاقات الثقافية بين المغرب والاندلس في عصر الموحدين - ٦٢ .

(٤) المصدر نفسه

(٥) اخو العلم حي خالد بعد موته وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى يظن من الاحياء وهو عديم

(٦) اجاز القاضي عياض جميع رواياته ومصنفاته.
الغنية - ٢١٨ ، بروكلمان - ١/٥٤٧

١٣ه ابو محمد بن عتاب (٤٣٣ – ٥٢٦ هـ/ ١٠٤١ – ١١٣١م) (١)

عبدالرحمن بن محمد ابن محسن الجذامي القرطبي ، كان القاضي عياض قد رحل الى الاندلس لغرض اللقاء به والاخذ عنه (٢) في مدينتي قرطبة وسبتة الاندلسيتين، وله سماع من ابيه وابي القاسم الطرابلسي واجازه ابو مروان بن حيان وابو عمر بن عبد البر (٣) واليه كانت الرحلة للسماع بقرطبة اخر عمره لعلو سنده وانقراض طبقته (٤).

له من التواليف كتاب (الرقائق سماه (شفاء الصدور) (٥).

اقتبس القاضي عياض منه تسعة عشر نصا لكنه لم يصرح في الاشارة الى المصدر الذي نقل عنه معلوماته وقد وردت بصيغة (شيخنا ابو محمد بن عتاب ، ابن عتاب ، وابو محمد بن عتاب) وبلفظ (قال ، حدث ، اثنى عليه) (٦) ونحو هذا .

كان القاضي عياض ناقلا حرفيا مختصرا ومباشرا وبهذه الصيغة بدت اغلب نقولاته متطابقة خالية من السند .

---

(١) المدارك – ١٨ ، ١٩

(٢) المصدر نفسه ، الغنية – ٢٢٣ ، طبقات المفسرين – ١/٢٨٥ ، فهرست ابن عطية – ٨٠

(٣) المصدر نفسه

(٤) المصدر نفسه

(٥) المصدر نفسه ، راجع عنه – القرطبي ومنهجه في التفسير – ٧٠

(٦) حكي القاضي عياض (لقيته ب (قرطبة) وقرأت عليه (صحيح البخاري و(الملخص للقابسي ، وسمعت جميع المدونة والمختلطة ، وسمعت عليه (الموطأ) رواية يحيى بن يحيى الاندلسي وحدثني في جامع عبدالله ابن وهب وناولني (طبقات علماء الاندلس) لابن الفرضي وأجازني جميع مروياته من ذلك ما جمعته (فهرسة ابيه) . الغنية – ٢٢٣

١٤. ابو عبدالله بن الفرج المازرى (٥٣٦ هـ/١١٤١م)

محمد بن ابي الفرج المعروف بـ (الذكي ، الصقلي دخل العراق وسكن اصبهان[١] الفقيه الحافظ المتقدم في علم المذهب واللسان[٢] وبعد دخوله بغداد وجد مذهب مالك بها قد درس[٣].

صنف تواليف علمية حسنة منها في علوم القرآن كتاب (الاستيلاء) وله تعليق كبير في المذهب وخرج على انه الف سؤال[٤] وذكر القاضي عياض مصنفا له سماه (المعلم في شرح مسلم)[٥] كما فرس في الادب وعلم لسان العرب .

اقتبس القاضي عياض منه ثلاثة عشر نصا ولكنه لم يصرح في ذكر المصدر الذى استقى عنه معلوماته وقد تضمنت نقولاته الصيغ الاتية (ابو عبدالله المازرى ، المازرى ، شيخنا الذكي) وبلفظ (كان، اخذ ، حكى، الف)[٦] وهكذا .

---

(١) المدارك – ٧٩٢/٤ ، فهرس الفهارس – ٤٦٨/١

(٢) المصدر نفسه – نفس الصفحة ، انظر :

Abu bakr al- turtusi - p- 99

(٣) المصدر نفسه

(٤) المصدر نفسه

(٥) واضاف القاضي عياض (له شروح كثيرة منها كتاب التلقين للقاضي ابي محمد وشرح البرهان لابي المعالي وكتاب الواضح في قطع لسان النابح وكشف الغطاء عن لمس الخطأ وفتاوى ورسائل كثيرة) الغنية – ١٣٢ ، الروض الباسم – ٤٨/١

(٦) المدارك – ٧٩٢/٤ – ٧٩٣

كان القاضي عياض ناقلا حرفيا مباشرا مختصرا اذ ترجم لبعض اعلام المالكية ذاكرا نسبهم ، مكانتهم العلمية ، شيوخهم ، ما قيل فيهم من جرح وتعديل نحو قوله يحكى (انه كان كثير ما يسي الادب واتهموه بالكذب)(١) الا ان المعروف عن القاضي عياض ينهي الرواية التي يشك بها بعبارة والله اعلم ، والله اعلم بالسرائر ، لا اله غيره (٢) وتبدو معظم نقولاته متطابقة وغير مسندة .

---

(١) نفس المصدر

(٢) المصدر نفسه – ٧٩٣/٤

١٥٠ الزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ /١١٤٣م)

ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي ، الامام الكبير في التفسير والحديث والنحو وعلم البيان[١] كان امام عصره من غير مدافع تشد اليه الرحال في فنونه[٢]

صنف التصانيف البديعة منها (الكشاف في تفسير القرآن العزيز ولم يصنف قبله مثله[٣] .

اقتبس القاضي عياض منه سبعة نصوص لم يذكر المصدر الذى اقتبس منه وتضمنت الصيغ الاتية (الزمخشرى) وبلفظ (رفض) نحو قوله (كتبت اليه من مدينة سبتة ليستجيزني فرفض اجازتي)[٤] كما وان القاضي عياض لما بلغه رفض الزمخشرى اجازته قال (الحمد لله الذى لم يجعل لمبتدع علي فضلا)[٥] وعلى ما يبدو ان رفض الزمخشرى اجازة القاضي عياض لا تعني التقليل من مكانته العلمية والثقافية وذلك انه من المعروف ان الزمخشرى رفض مثل طلب عياض رفض قبله طلب ابي طاهر السلفي على الرغم من الحاجة الشديدة له[٦] وكان القاضي عياض ناقلا حرفيا مباشرا ومختصرا .

---

(١) وفيات الاعيان – ١٦٨/٥

(٢) المصدر نفسه – نفس الجزء والصفحة

(٣) المصدر نفسه

(٤) لانقطاعه الى العبادة وترك الدنيا .

المصدر نفسه – ١٩/١

١٦. احمد بن محمد بن احمد السلفي الاصبهاني (٤٦٢ -٥٧٦ هـ/١٠٩٩ - ١١٨٠م)

صدر الدين ابو طاهر الجرواني ، نزيل الاسكندرية ، احد الحفاظ المكثرين ، سمع الحديث ببلده ورحل في طلب العلم ولقي اعيان المشايخ ما لا يحصى(١) واصبح ((أوحد أهل زمانه في علم الحديث واعرفهم بقوانين الرواية والتحديث ، جمع بين علو الاسناد وعلو الانتقاد ، وبذلك تفرد عن ابناء جنسه (٢) .

صنف السلفي تصانيف جليلة منها ((المشيخة البغدادية))(٣) وهي معجم لشيوخه الذين التقى بهم في بغداد وسمع منهم ما رووه من احاديث واخبار وقصص ونوادر . و ((معجم مشيخة اصبهان))(٤) و (معجم السفر)(٥) وهو معجم شامل لتراجم مشايخ الحديث ممن تصدر لافادته ، رواية وتدريسا ، وضم تراجم كثيرة لعلماء شتى سواء ممن التقى بهم خلال رحلاته او في مدرسته في مصر(٦) .

---

(١) ابن عساكر - تاريخ دمشق - ٤٤٩/١

(٢) التذكرة - ١٣٠١/٤ ، فهرس الفهارس - ٦٣٧/٢

(٣) راجع عنه : النسخة المصورة بالفستات في مكتبة المجمع العلمي العراقي - عن النسخة الخطية في خزانة الاسكوريال - مدريد - رقم (١٧٨٣) زودنا بروكلمان بوجود نسخ خطية اضافية .
Brock.G.L.S. I.-P - 624

(٤) تذكرة الحفاظ - ١٢٩٩/٤ ، كشف الظنون - ٢٢٨/١

(٥) كتاب مطبوع - تحقيق د - بهيجة الحسني - (العراق - ١٩٧٨ م)

(٦) مقدمة معجم السفر - ٩٦ ، ٩٨

اقتبس القاضي عياض من السلفي سبعة نصوص انفرد في ذكر واحد من بين الثلاثة ولا نعرف ايا منها وجاءت بصيغة (السلفي ، ابو طاهر السلفي ، وبلفظ (قال ، ذكر ، روى عنه)[1] وكان القاضي عياض ناقلا حرفيا وتبدو معظم نقولاته متطابقة مقارنة مع كتاب السلفي معجم السفر وعلى النحو الاتي :

ترتيب المدارك	معجم السفر
١/١٨ ، ١٩	١٩ ، ٢١٤
١/٢٩ ، ٣١	٢٢٦ ، ١٤٩
١/٤٥ ، ٢٧٧	٨٥

---

(١) المدارك ــ ١/١٩

الفصل الرابع

أ . أهمية كتاب المدارك العلمية الفكرية والحضارية

ب . المادة التاريخية

ج . اختصاراته

الفصل الرابع

أ . أهمية كتاب المدارك العلمية (الفكرية) والحضارية :

يعد كتاب القاضي عياض ترتيب المدارك وتقريب المسالك اشمل ما كتب عن المالكية في المغرب والمشرق خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري والنصف الاول من القرن السادس الهجري وللاسف فأن اجزاء كثيرة منه فقدت ، وتتضح اهميته بكونه قدم لنا روايات تاريخية موثقة لتاريخ المغرب والاندلس وقد حظيت تلك النصوص بأهتمام الباحثين والدارسين لتاريخ المغرب والاندلس وذلك لدقتها أذ نراه على صعيد المنهج يرسم برنامجا يلتزم به من خلال اعتماده على مجموعة من المصادر(١) التي ذكرها في مقدمة كتابه اذ اشار الى قائمة الكتب المدونة التي عاد اليها وهذا ما يوفر على الباحث وقته لغرض الحصول عليها .

اعتمد القاضي عياض منهجا دقيقا في جميع ما كتب اذ اعتمد الحروف على الترتيب المغربي في النقد والتحليل حيث اطلع على منهج الكتابة التاريخية لمن سبقوه من المؤلفين والمصنفين والكتاب . وكان لا يشدد في الاسناد كثيرا . كما انه اعتمد على رواة ثقات امثال ابي الوليد الباجي(٢) والخطيب البغدادي(٣) والشيرازي(٤) وابن الفرضي(٥) وابن عبد البر القرطبي(٦) ورتب مادته التاريخية ترتيبا منسقا وبعيدا عن خروج الحديث ولذا نرى ان اغلب مروياته موثقة بالنصوص التاريخية لكونه يحمل فكرة

---

(١) المدارك ٣١/١
(٢) المصدر نفسه - نفس الصفحة
(٣) المصدر نفسه
(٤) المصدر نفسه
(٥) المصدر نفسه
(٦) المصدر نفسه

واضحة عن العلم الصحيح الذي لا مصدر له غير السنة كما تصورها مالك وجمع مرادها، وكما دعمها رجال الحديث بمروياتهم .

والظاهر ان انتشار علم القاضي عياض في المغرب اصبح الاساس للثقافة التي بدأت تروج في المغرب منذ بداية القرن السادس الهجري ، اذ بلغ الذروة في المنهجية العلمية التي بنيت على اسس واضحة .

ومعروف ان القاضي عياض رتب كتابه على شكل طبقات واختار له خطة معينة في شرح اصول المذهب المالكي ابتداءا من عهد مالك حتى نهاية فترة حياته وكان هدفه الحرص على التشبث باسلوب واضح في التفكير بعيد عن الاحتمالات والشكوك .

لقد كان القاضي عياض من ائمة وقته اذ كان له الحظ الواسع في تفسير القرآن الكريم وشرح معانيه كما اهتم بالحديث والفقه لذلك يمكننا القول ان مدرسة الحديث تبلورت في شخصية تلك العبقرية التي كيفت شؤون الحياة بما لها من جاه وثروة لدراسة الحديث .

ومن الجدير بالذكر ان القاضي عياض لم يكن محدثا وفقيها فحسب وانما كان نحويا واديبا شاعرا مجيدا خطيبا فصيحا حافظا للغة . كما انه لم يفصل الادب عن العلوم الاسلامية بل ان ثقافته تجلت بأسلوبه الفني والادبي كما نلاحظ ذلك فيمن سبقه من العلماء كابن حزم وابن الفرضي والخطيب البغدادي واخرين .

نستنتج من خلال ما ذكرته المصادر والمراجع واشادت بوصف والمنصفين في مدحه على ان دوره لم يقتصر بكونه عالما واستاذا كبيرا تدبيرا

التي سادت بلاد المغرب والاندلس منذ بداية العصر الوسيط وما زالت سائدة حتى يومنا هذا اذ ما زال كتابه ترتيب المدارك يتمتع بقيمته وفائدته العلمية الكبيرة . اضف الى ذلك ان علم القاضي عياض يمثل صورة واضحة للثقافة الاسلامية اذ خلف منهجا علميا لاعلام المالكية في انحاء العالم الاسلامي كما امتاز بسمات اساسية في التأليف ودراسة النصوص لما اتصف به من العمق والتحقيق والتدقيق والاستنتاج والتحليل والشمول والموضوعية وايثار الحق . وان كتاب المدارك قدم لنا جوانب عديدة ومهمة من التفكير المغربي عن بعض الاعلام المغاربة الذين سبقوه اذ جمع المعلومات التاريخية والفقهية والادبية . فضلا عن هذا كان يمثل ذخيرة ثمينة لمعرفة حالة الحركة العلمية بالمغرب في القرون الاولى . اما من حيث الاسلوب فقد امتاز كتابه بمقدمته الطويلة وذلك لتتناسب مع جلال الكتاب وما بذله من جهد فيه ، كما انه كان يفيض في مدح المدينة باعتبرها دار الوحي ومأزر الدين ، ومتبوأ الشرع ومهبط الملائكة ، ومهاجر النبي (ص)(١).

لقد عد ترتيب المدارك في مقدمة اعمال القاضي عياض لانه يرسم ملامح العلاقات الثقافية بين المغرب وغيرها من الاقطار. كما تتجلى فيه دراسة جوانب مهمة من التاريخ العربي الاسلامي لشمال افريقية . وانه يحوي اسماء اعلام المذهب المالكي وبلدانهم وثقافتهم ومنزلتهم العلمية فضلا عن شيوخه وتلامذته ، وما قيل فيهم من جرح وتعديل . غير ان اروع ما فيه باعتقادنا هو في ترجيح مذهب مالك وفي الدفاع عن المذهب اذ جمع

(١) المدارك - ١/ ص١٠٣

فيه الحجج المنطقية وحرص ان تأتي هذه الحجج خاضعة لمنهج دقيق وواضح وبأسلوب فني متين .

ذهب الباحث حسن احمد محمود الى القول ((وهذا مذهب مالك قد تألق نجمه وبسط رواته على المغرب كله))(١).

كما نراه في كتابه يقدم لنا صورة واضحة عن الاحوال الفكرية والعلمية والثقافية في العالم الاسلامي خلال الحقبة التي عاش فيها وعُدّ من كتبه العظيمة الفائدة لانه سد به فراغا كبيرا في كتب الطبقات والتراجم .

لقد كان في كتابه هذا قدوة لغيره من اتباع المذاهب الاخرى اذ استهله بمقدمته في ترجيح مذهب مالك وبيان الاسس التي بنى عليها والمقارنة بينه وبين المذاهب الاخرى ، ثم تبع ذلك بترجمة واسعة للامام فيما يتعلق بحياته الشخصية والعلمية كما شرع في ذكر تراجم علماء المذهب مرتبا لهم على الطبقات ناهجا في ذلك المنهج العلمي النقدي نحو قوله في محمد بن يحيى بن لبابة ابن اخي ابن لبابة الشهير : قال بعضهم : ولم يكن له علم بالحديث وكان ينحرف عنه ، قال عياض : اما قلة علمه بالحديث فظاهرة ، واما انحرافه عنه فلا ، بل يميل اليه في تواليفه ، واذا اعتمد على نظره في مسألة او ضعف فيها قول المدنيين ، كثيرا ما يقول : الا ان يأتي بذلك اثر صحيح .

فضلا عن ذلك تحدث عن اهمية المدينة كمركز من مراكز العلم والفكر في العالم الاسلامي كما وضحها صاحب المدارك باظهار فضل اهلها

---

(١) قيام دولة المرابطين - ص ٣٥٢

في العلم والامتياز الذى حظي به القاضي عياض هو انه كان يجمع بين مختلف انواع العلوم والفنون فكان مفسرا ومحدثا وفقيها وأديبا وشاعرا ونسابة وخطيبا ومؤرخا ولعل ذلك ما يفتقر اليه اصحاب التراجم . والقاضي عياض شخصية مرموقة في المغرب والمشرق فلم تكن شخصيته محدودة الافاق ، ذو ثقافة واسعة وشهرة ذائعة وانتاجه وعطاؤه في كل جانب من جوانب الحياة العلمية يشهد بتفوقه وبراعته ، في التفسير ومعانيه والحديث ومصطلحاته والفقه ودلالته .

ولا غرو ان يكتسب هذا الموسوعي الاهتمام من جميع المتخصصين بالفقه والادب والشعر والنظم والحديث والخطابة والبلاغة حتى انه يوضع في مصاف ابن خلدون رغم انه يسبق ابن خلدون بما يزيد عن القرنين ونصف القرن من الزمن وكما هو معروف مدى اهتمام الباحثين والعلماء بابن خلدون .

ومما نجده جديرا بالذكر الانتباه الى مخلفات القاضي عياض حتى اصبحت المؤلفات التي كتبت عنه تمثل موسوعات كبيرة يرجع اليها الدارسون والباحثون والطلبة وانتفع به من العلماء من لا يحصى كأبي جعفر بن المضاء اللخمي وابن بشكوال صاحب كتاب (الصلة) وابي زيد بن القصير . نخلص الى القول انه لم يكن في هذا المقام كاتب لتراجم الاعلام في المذهب المالكي وانما يتعداه الى ابعد من ذلك وخصوصا فيما يتعلق بدور المغرب الحضاري والفكري حتى قيل ((لولا عياض لما عرف المغرب)) فتأهل بذلك ليكون القدوة التي يحتذيها علماء الاسلام في المشرق والمغرب ونموذجا عاليا لعلماء عصره .

لقد ترك من جوانب الثقافة ومعالم الحضارة ما يخلد اسمه ويسجل ذكره ، ولعل من المفيد القول ان هناك بعض الاشارات الى ما خلفه القاضي

عياض من آثار معمارية مثل انشائه رباطا للعبادة في جبل المنيا (١) كما سعى الى توسيع البناء في جامع سبتة (٢) . فضلا عما جاء عند بن القاسم السبتي العزفي ان القاضي عياض كان قد انصرف الى بناء مسجد في مدينة قلهرة التي تقع في داخل ميناء الناظور الذى ابتناه المرابطون في المحارس (٣) والطوالع (٤). كما وردت ما عرف بزقاق عياض (٥) .

---

(١) المدارك - ١/ ص ٢٠ ، محمد بن القاسم العزفي - كتاب اختصار الاخبار عما كان بثغر سبتة من سني الاثار - ص ١٨٢ .

(٢) اختصار الاخبار - المصدر نفسه - نفس الصفحة

(٣) اختصار الاخبار - المصدر نفسه

(٤) وهي جمع طالعة ومعنى اطلع على افتعل اى اشرف عليه وعلم به والمَطلع موضع الاطلاع من المكان المرتفع الى المنخفض .
الفيروز ابادى - القاموس المحيط - بيروت - م ٥٩/٣ ، وانظر المقرئ المنومي - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - بيروت - ٣٧٥/١ ، واضاف القابسي لقوله :
الطالع الكبير ، الغد النظير ، طالع سبتة ، وهذا الطالع من اعجب الطوالع لكونه يكشف البرين ويشرف على العدوتين البباديس .
اختصار الاخبار - المصدر نفسه .

(٥) اذ سميت بهذا الاسم مما يدل على وفاء المدينة لشيخها . المصدر نفسه - ص ٣٥

ولقد شدت مكانته العلمية الجليلة في نفوس جميع المسلمين في كل عصر وقطر من خلال انتاجه العلمي ، كما يتضح لنا ان الشهرة التي حصل عليها القاضي عياض في كتابه المدارك لم تكن كونه شخصية دينية فقط بل لانه جمع ما افترق في غيره. فضلا عن هذا ان شهرته العلمية ومكانته الثقافية وكفاحه في سبيل العقيدة والمذهب كل ذلك اعطاه مكانة خاصة وتقديرا عظيما.

لقد كان عالما من اعلام المالكية بالمغرب درس المذهب المالكي دراسة واعية كما درس العلوم الرائجة في عصره. نستنتج من ذلك ان كتابه المدارك يمثل موسوعة للحضارة العربية الاسلامية شهدها القرن السادس الهجري.

فضلا عن النصوص والاقوال التي وردت بخصوص سيادة المذهب المالكي على سائر المذاهب الاخرى في المغرب والاندلس وبناء على اشارة ابن خلدون ((ان الخليفة المعز لدين الله الفاطمي كان منحرفا عن مذهب الرافضة ، ومنتحلا للسنة ، غير انه كان يخفي ذلك ، فلما واتته الفرصة اظهر عداءه للرافضة)) اذ كان من العوامل المساعدة في اقرار المذهب المالكي.

يمكننا ان نستنتج انه لا يوجد سبب واحد لسيادة المذهب المالكي في بلاد المغرب وانما تأثير جملة عوامل سياسية واجتماعية ولعل اهمها.

١. ان الدول الاسلامية التي تعاقبت على الحكم في بلاد المغرب العربي شجعت في تدعيم المذهب المالكي سوى الدولة الموحدية التي كانت تدعو الى الاصلاح الديني وترفض منهج السلف في الاعتقاد وتتهمه بالجمود.

٢. منذ قيام دولة الادارسة (١٧٢ - ٣٧٥ هـ) في بلاد المغرب العربي كانت تعمل على تدعيم اسس المذهب المالكي ليصبح المذهب الرسمي للدولة.

٣٠ ان اتصال بلاد المغرب بالاندلس منذ فترة مبكرة كان عاملا مساعدا في اقرار المذهب المالكي .

٤٠ انسجامه مع المذهب الاشعري الذي يرفض فكرة الخوارج .

٥٠ لعل كتاب الموطأ الشهير لمالك بن انس عد المرجع الاول في الفقه المالكي نظرا الى ارتباطه بالسنة النبوية الشريفة .

٦٠ الرحلات كالرحلة لاداء فريضة الحج ولطلب العلم الى موطن الامام مالك بن انس كانت في غاية الاهمية لاسيما في اقرار المذهب المالكي وتثبيته بصورة نهائية في بلاد المغرب .

٧٠ توثيق اواصر العلاقة بين الدولة الاموية في الاندلس منذ قيامها وبلاد المغرب العربي لابعاد الخطر الشيعي الفاطمي دون مراعاة العقيدة او مذهب .

٨٠ الكفاح السياسي للفقهاء وعلى رأسهم القاضي عياض في تسخير جميع امكاناتهم لاقرار المذهب المالكي والتصدي للمذاهب والفرق الاخرى التي حالت دون اقراره اذ لعب القاضي عياض دورا مهما في احوال بلاده حيث انه لم ير الاحقية لقيام الدولة الموحدية التي كان يعتبرها مغتصبة لحق المرابطين ويبدو انه السبب الذي جعله يتشبث بالدولة المرابطية لانها قامت على اسس اصلاحية خصوصا وان الفقهاء كانوا متذمرين من سوء أحوال البلاد وإذ قامت الدولة المرابطية بعدة اصلاحات في الحياة الاجتماعية فحاربت أصحاب النحل وقاومت الانحلال الخلقي .

٩٠ صفة البساطة التي تجمع بين المجتمع المغربي والحجازي من الناحية الاجتماعية مما جعل المذهب المالكي اقرب الى تفكيرهم وبيئتهم .

١٠. فضلا عن هذا النشاط السياسي وهذه الحيوية من عالم ترك المؤلفات العديدة وخرج على يده عدد كبير من علماء المغرب والاندلس الذين تصدوا للبحث والتأليف في كل ما يتعلق بأصول هذا المذهب واحكامه وبرزت في شخصيات علمية ذات مكانة مرموقة في تاريخ الاسلام وكان لها دور كبير في خدمة الفكر العربي من امثال ابن فرحون في كتابه الديباج المذهب وابن الدباغ صاحب كتاب معالم الايمان ومحمد بن مخلوف صاحب كتاب شجرة النور الزكية واخرين .

د - المادة التاريخيـــــــة :

على الرغم من ان كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض يدور حـــول طبقات المالكية اذ ترجم فيه لعدد لا يحصى من هؤلاء ذاكرا نشأتهم واحوالهم الفكرية والثقافية وحكاياتهم وما قيل فيهم فضلا عن ذلك احتوى موضوعـات تاريخية في غاية الاهمية اذ نهج في ذك نهج المؤلفين الذين سبقوه فـــي كتب التراجم في تدوين المادة التاريخية واحيانا تفضيلها. وشغل الجانب التاريخي اكثر اهتمامه وكان يأخذ معلوماته التاريخية في كتابه المدارك من بعض شيوخ عصره وعلمائه واتضحت في تكوين مادته التاريخية ونستدل علـى سعة اطلاعه على مصنفات من سبقه من المؤرخين والعلماء فضلا عن هذا تحصيلـه العلمي الذي اكسبه خبرة بروايته عن مشايخ عصره كما جاء في كتابه الغنيـــة (معجم شيوخه) اذ انه لم يقتصر في طلبه للمعلومات التاريخية على شيوخـه في مدينته سبتة بل سعى عن طريق الرحلة الى المغرب والاندلس في كســب العلم من بعض الشيوخ في هذه المدن مما اغنى معارفه وأذكى خبراته فـــي طلب الحقيقة وهي صفات اهلته لان يكون مؤرخا وبهذه الصيغة كان قد نهـــج منهجا تاريخيا واضحا اذ تناول في كتابه المدارك مختلف الجوانب الاداريـة والسياسية والعسكرية والثقافية و العلمية والاجتماعية التي شكلت الجانـب الحضاري في كتابه حتى عده المؤرخون والمستشرقون موسوعة علمية حضاريـة في التاريخ الاسلامي .

ومن الناحية الادارية والقضائية فقد امدنا بمعلومات وافرة ومهمة عن سياسة بعض الولاة بخصوص من تولى اكثر من منصب اداري في الدولة او اعفي منها على سبيل التمثيل ذكر في ولاية اسد بن الفرات منصب وظيفتي القضـاء

والامارة (١) اذ ورد في الرواية التي ذكرها القاضي عياض قول زيادة الله بن الأغلب لاسد بن الفرات ((وليتك الامرة ، وهي اشرف ، وأبقيت لك اسم القضاء، فأنت امير قاضي)) (٢) فضلا عن ذلك موضحا فيه النواحي القضائية والمسائل الفقهية التي كان ينظر فيها القضاة (٣) وذكر لنا كثرة من العلماء ممن تولوا منصب وظيفة القضاء في مدينته (٤) منهم على سبيل التمثيل شبطون بن عبدالله الانصارى (٥) او في بلد اخر من غير مدينته كما جاء في ترجمته الى داود بن جعفر بن المغير القرطبي الذى تولى قضاء مدينة قلنبرية (٦) وزودنا بمعلومات من ولي منصب وظيفة القضاء اكثر من مرة واحدة واعفي منه (٧) منهم على سبيل التمثيل هارون بن عبدالله الزهرى البغداد قال المصعب الزبيرى (ولاه المأمون قضاء المصيصة ثم صرفه ، ثم قضاء الرقة، ثم صرفه ، ثم قضاء عسكر المهدى ببغداد ، ثم صرفه ، ثم قضاء مصر ، فلم يزل على قضائها الى ان صرف اخر ايام المعتصم (٨) ومن عرض عليه منصب وظيفة القضاء فأبى (٩) كما جاء في ترجمة سحنون بن سعيد التنوخي اذ قال ولده محمد بن سحنون ((ولي سحنون القضاء بعد ان ادير عليه حولا ، واغلظ عليه اشد الغلظة) (١٠) .

---

(١) المدارك ـ٢/٤٧٦

(٢) المصدر نفسه ـ ٢/٤٧٧

(٣) المصدر نفسه ـ٢/٤٧٨ ، ٥٥١ ، ٥٦١ ، ٥٧١ ، ٥٧٦

(٤) المصدر نفسه ـ ٢/٥٠٩

(٥) المصدر نفسه

(٦) المصدر نفسه ـ ٢/٥١٠

(٧) المصدر نفسه ـ ٢/٣٤٠ ، ٥١٦ ، ٣٤٠

(٨) المصدر نفسه

(٩) المصدر نفسه ـ٢/٥٩٦ ، ٣٤٣ ، ٣٦٢

(١٠) المصدر نفسه .

كما عكس لنا صورة واضحة عن فتاويه (١) وسيرته وفضله في القضاء (٢) ومن تولى منصب وظيفة القضاة (٣) على سبيل التمثيل ترجمته لابي الحسين عمر بن محمد بن يوسف بن يعقوب بن اسماعيل بن حماد (٤). وفضلا عن ذلك وردت معلومات عن بعض المسائل الفقهية (٥) . اما في الجانب السياسي وضع لنا اخبار بعض من ترجم له من الناحية السياسية ذاكرا سيرته في الحكم (٦) واخبار بعضهم مع الملوك وشهوتهم في الحق (٧) وما اشتهر من مناظراته مع الفرق واخباره في ذلك (٨) ومناظراته في مجالس احد الملوك او الخلفاء كما جاء في ترجمة ابي بكر الباقلاني (٩) وتعظيم الكبار له (١٠) او اخباره مع الدول القائمة (١١) في بلاد المغرب والاندلس . ويمكن القول ان المترجم له امتلك شخصية قوية ومؤثرة اذ امتاز بسعة ثقافته واطلاعه ونضج افكاره مما اهله على ما يظهر لان يكون قريبا من بعض الخلفاء الذين عاصرهم اذ كانت علاقته ودية معهم .

---

(١) المدارك - ٦٤٢/٤
(٢) المصدر نفسه - ٥١/٣ ، ٤٠٧
(٣) المصدر نفسه - ٢٧٨/٢ ، ٢٢٦/٣
(٤) المصدر نفسه - ٢٧٨/٤
(٥) المصدر نفسه - ٤٧٦/٢
(٦) المصدر نفسه - ٥٤٢/٣ ، ٣٦٤/٣
(٧) المصدر نفسه -٥٩٣/٢ ، ٦٦٢/٤
(٨) مناظراته في مجلس ملك الروم وفي مجلس عضد الدولة
(٩) المصدر نفسه - ٥٩٤/٤
(٩) المصدر نفسه - ٥٩٤/٤
(١٠) المصدر نفسه - ٣٢٥/٣
(١١) كالدولة العامرية او دولة بني عبيد
المصدر نفسه - ٥٢١/٤

وفي الجانب العسكري زودنا بمعلومات عن بعض المعارك والغزوات التي خاضها الجيش الاسلامي لنشر راية الاسلام مثل حملة صقلية (١) وحملة سردينية (٢) وحملة الربض (٣) ذاكرا عدد الجيوش والقادة الذين رابطوا في الثغور نحو قوله في ترجمة اسد بن الفرات قال بعضهم كنا في غزاة مع بعض الخلفاء وكنا معه في اهل الثغور اثنى عشر الفا (٤) مستشهدا في اغلب الاحيان بالآيات القرآنية على سبيل التمثيل قال ابن الفرات (بالرسل حادثهم وبهم نجعلهم ناقضين) قال الله تعالى (فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون) (٥) من الجدير بالذكر انه كان يصف ما يدور اثناء القتال من صهيل الخيل وضرب الطبول وحمل اللواء) (٦) كما عكس لنا صورة واضحة عن بعض الملوك ممن كان يقود الجيش في المعركة واصفا تفوقهم في العدد نحو قوله (حكي سليمان ابن سالم ان اسدا لقي ملك صقلية في مائة الف وخمسين الفا) (٧) .

---

(١) المدارك - ٤٧٧/٢

(٢) المصدر نفسه - نفس الصفحة

(٣) المصدر نفسه - ٣٥٦/٢

(٤) المصدر نفسه - ٣٣٨/٢

(٥) سورة محمد - الاية ٣٥ ، انظر : المصدر نفسه - ٤٧٦/٢

(٦) المصدر نفسه - ٤٧٧/٢

(٧) المصدر نفسه - نفس الصفحة

وفي الناحية الثقافية والعلمية يمكننا ان ندرك حقيقة ان عهد القاضي عياض في مدينته سبتة هو استمرار لما كان عليه في عهد المنصور محمد ابن ابي عامر المعافرى مؤسس الدولة العامرية في الاندلس ممن سبق عصره. اذ كان العصر الذى عاش فيه صاحب ترتيب المدارك حافلا بأفانين العلم والمعرفة وبكل لون من الوان الثقافة والادب ومن الطبيعي ان يكون الامراء والولاة قد ساهموا مساهمة ثقافية في سبيل تنشيط حركتها ورفع مكانتها اذ أشار الى المناظرات الفكرية والرسائل المتبادلة التي كانت بين كبار رجال الدولة والعلماء من القضاة والفقهاء (١) ذاكرا سيرتهم في التعليم (٢) ومكانتهم من العلم وثناء الجلة عليهم (٣) مشيرا احيانا الى فصول من كلامه في العلم (٤) ذاكرا مجالس العلماء والفقهاء التي تتم فيها الاقبال على الدرس والسماع والاملاء (٥). وامدنا بمعلومات ممن كان يعلم اليتامى والفقراء لله عز وجل وبدون اجر (٦) كما ورد في ترجمته الى وهب بن مسلم القرشي واصفا احيانا الناحية العمرانية (٧) نحو قوله في ترجمة وهب ((وفي المسجد قناديل تزهر احسن شي واشدها ضياء اذ طفيت منها قنديلا بلا انطفا)) (٨).

---

(١) المدارك ـ ٤/٥٨٩

(٢) المصدر نفسه ـ٣/٤٩٩

(٣) المصدر نفسه ـ ٤/٤٨٨ ، ٤٩٢

(٤) المصدر نفسه ـ٤/٥١٢ ، ٥٢٧

(٥) المصدر نفسه ـ٢/٤٢١ ، ٤/٥١٨

(٦) المصدر نفسه ـ ٢/٤٢١

(٧) المصدر نفسه ـ نفس الصفحة

(٨) المصدر نفسه

كماتطرق القاضي عياض الى توضيح بعض مظاهر الحياة الاجتماعية

اذ القى ضوءا مفيدا عن احوالهم والمستوى المعاشي لهم متمثلا من زيهم واطعمتهم واشربتهم وزهدهم في الدنيا وفضائلهم نحو قوله في ترجمة سعيد بن سحنون قال القاضي عياض نقلا عن ابن حبيب (خرج سحنون علينا يوما وعليه برنس ، وكان يلبس الشاشية والطويلة)(١) وقول ابن معتب واصفا طعام (كان يشترى سحنون كل يوم ربع رطل لحما ، يفطر عليه ، ثم تركه اقتداء بالصالحين في مطعمهم) (٢)) ونقل لنا القاضي عياض ما جاء عن رواية ابن حبيب عنه قال (فلما جئته قرب الي غذاءه ، خبز شعير وزيتا قديما)(٣) ووصف حالهم وزهدهم في الدنيا نحو قوله في ترجمة ابي اسحاق الجنبياني قال ابو القاسم (كان ابو اسحق يأكل البقل البرى والجراد اذا وجده وكان قوته الذى يأكله من الشعير بنخالته)(٤) وكان يلبس خرق المزابل يجمعها ويغسلها)(٥)فضلا عن هذا وصف لنا شعائرهم في الطلاق والزواج(٦) اضافة الى جوانب اجتماعية اخرى نحو قوله في (طلب ابن وهب من مالك كحلا فقال لجارية اعطي من الكحل لصديقي المصرى)(٧) ٠

يتضح لنا ممن سبق ان مظاهر الحياة الاجتماعية في عصر القاضي عياض هي استمرار لما كانت عليه صورة الحياة الاجتماعية في العصر الذى سبقه متمثلا في الطبقة العاشرة الاخيرة من شيوخه او ممن ادرك عصره٠

(١) المدارك ـ ٥٩٤/٣
(٢) المصدر نفسه ـ ٥٩٥/٤
(٣) المصدر نفسه ـ نفس الصفحة
(٤) المصدر نفسه ـ٥٠١/٤
(٥) المصدر نفسه ـ نفس الصفحة
(٦) المصدر نفسه ـ ٣٣٠/١
(٧) المصدر نفسه ـ ٤٢٩/٢

كما القى القاضي عياض بعض الضوء في الجانب الاقتصادي اذ زودنا بمعلومات مفيدة موضحا بعض الاجراءات الاقتصادية التي كان يتبعها الوالي او صاحب الديوان وكيفية التصرف بها نحو قوله في ترجمة عبد الرحمن بن القاسم الحنفي قال القاضي عياض (وكان ابوه في الديوان وعنه ورث ابن القاسم المال الذي انفقه في رحلته الى مالك واعطى سعدا منها خمسين دينارا)(١) كما وصف لنا اسعار بعض المواد نحو قوله في ترجمة البهلول بن راشد قال (دفع البهلول الى بعض اصحابه دينارين ليشترى له بهما زيتا يتقد به واعطاه بالدينارين من ذلك الزيت ما يعطى بأربعة دنانير من نتي الزيت)(٢) واسعار بيع الكتب نحو قوله قال محمد بن عبد الحكم (بيعت كتب ابن وهب بعد موته بثلاثمائة دينار)(٣) ووردت في رواية اخرى بثلاثمائة وستين دينار)(٤) . كما وردت اشارات بخصوص الوديعة(٥) نحو قوله (ومن كتاب الفقيه ابي مروان بن مالك القرطبي) قال ابن القاسم العتقي خرجت الى الاسكندرية ومعي وديعة فارسينا في موضع مخوف فأثرت السهر لحفظ الوديعة) وفي رواية اخرى ذكر قيمة تلك الوديعة (كانت عشرة الاف)(٦) .

الى جانب ذلك امدنا بمعلومات عن الصدقة والفيء على سبيل التمثيل

---

(١) المدارك - ٤٢٨/٢

(٢) المصدر نفسه -٣٣٧/٢

(٣) المصدر نفسه - ٤٢٨/٢

(٤) المصدر نفسه

(٥) المصدر نفسه - ٤٤٢/٢

(٦) المصدر نفسه

قال سحنون (قمت يوما في المسجد الحرام اشرب مـاء، فقال ابن القاسم من ابن تشرب قلت ؟ اليس لي في الفيء قدر اشرب به ماءقال واي فيء بمكة انما هي صدقات)(١) . وحدثنا بأسماء العملة الزائفة والمتداولة منها نحو قوله : قال حسين بن قاسم (كنت عند ابن وهب فوقف على الحلقة سائل فقال يا ابا محمد ، الدرهم الذى اعطتني بالامس زائف)(٢)وقوله في المثقال(٣) على سبيل التمثيل (كان يتفق كل يوم على مائدته عشرة مثاقيل(٤) .

---

(١) المصدر نفسه - ٤٤٤/٢

(٢) المصدر نفسه - ٤٢٨/٢

(٣) المصدر نفسه - ٤٥١/٢

(٤) المصدر نفسه

اختصاراته :

كتب بعد القاضي عياض عدد من علماء المالكية الذين تأثروا بطريقته ولاسيما في كتابه (ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك) منهم يوسف بن عباد الاندلسي (ت ٥٧٥ هـ)(١) ، كما سار على منهجه ابن برهان الدين ابراهيم ابن علي بن محمد بن فرحون المدني (ت ٧٩٩هـ)(٢) الذي تولى القضاء بالمدينة سنة ٧٩٣ هـ فسار فيها احسن سيرة ولم تأخذه في الله لومة لائم واظهر مذهب مالك بعد خموله فهابته الرعية وانتصف من الظالم ، ولعل اهم تصانيفه كتاب الديباج(٣) ومن مؤلفاته الاخرى (شرح مختصر ابن الحاجب سماه بتسهيل المهمات في شرح جامع الامهات ، وكتاب تبصرة الحكام في اصول الاقضية ومناهج الاحكام وكتاب الحسبة وكتاب المنتخب في الطب والادوية المفردة(٤) وكما لكتابه الديباج المذهب اهمية كبيرة في تراجم علماء المالكية ، وظهر اثره واضحا عند تلميذه احمد بابا

---

(١) له كتاب طبقات الفقهاء من زمن عبد البر سنة ٤٦٣ هـ الى وقته المدارك - ١/ص ٣٢ ، لزيادة الفائدة انظر :
مجلة المجمع العلمي العراقي - م١ - ص ١٣٠ و ١٤٠ ، ورقات عن الحضارة المغربية - ص ٣٩٥ .

(٢) الديباج - المقدمة ، طبقات المفسرين - ٢/ص ١٤٢

(٣) لمعرفة اعيان المذهب (المذهب المالكي) اذ كثير ما يأتي ابن فرحون بأقوال القاضي عياض بحذافيرها ، وقد اعيب عليه لانه زاد في بعض تراجم الفقهاء الذين جاءوا بعد عياض كما انه لم يترجم لفقهاء كثيرين ترجم لهم القاضي عياض) المدارك - ١/ص ٣٢ ، وذكر لنا الداودي (كتاب ترتيب طبقات ابن فرحون وما زاد عليها من طبقات المفسرين - ٢/ص ١٤٢ ، لزيادة المعلومات راجع : المقتضب - ص ١٩١ ، ديوان الصب والجهام - ص ٤٩ .

(٤) كشف الظنون - م ٢ / ص ١١٠٦

التنبكتي (1)، لاسيما وانه اختصر كتاب الديباج لابن فرحون وذيل عليه باسم نيل الابتهاج (2). فضلا عن كتابه هذا كان له عشرات التصانيف منها الكشف والبيان في حكم اصناف مجلوب السودان حول مسألة الرق، وكتاب كفاية المحتاج الى جانب هؤلاء اهتم باختصارات المدارك للقاضي عياض احمد بن محمد بن علوان التونسي الاصل (3)، حكي عنه التنبكتي قائلا ((وقفت له على اختصار المدارك بخطه)) (4) فضلا عن احد اصحاب القاضي عياض وتلميذه ابن حماد او حمادة السبتي له كتاب مختصر المدارك (5)، ذكره المرى في الدليل مشيرا الى انه زاد عليهما زوائد مفيدة، ثم بعد مدة وقفت على سفر في مجلد ضخم فيه اختصار المدارك يقول صاحبه قال محمد (أظن انه ابو عبدالله محمد ابن عياض صاحب التعريف) ويشير الى القاضي عياض اليحصبي بحرف (ض) مبتور من الاول والاخير ولعله لابي

---

(1) ابن الحاج احمد بن عمر بن محمد بن ابي بكر بن عمر الصنهاجي، اسره السعديون سنة ١٠٠٢ هـ، وبعد ان افرج عنه اقبل عليه العلماء وطلبة العلم فكان يدرس بجامع الشرقاء بمراكش اكثر من احد عشرة سنة.
نيل الابتهاج بهامش الديباج – ص ٩، المدارك – ١/ ص ٣٢، بلاد شنقيط – ص ٥٠٣.

(2) المصدر نفسه – المقدمة، ورقات عن الحضارة المغربية – ص ٢٣٥، مجلة المجمع العلمي العراقي – م ٣٩ – ١/ص ١٣٠ و ١٤٠، مجلة المناهل – احمد بابا التنبكتي – العدد – ٦ – السنة الثالثة – ١٩٧٩م – ص ١٤٤.

(3) الشهير بالمصرى (ت بالاسكندرية سنة ٧٨٧ هـ/١٣٨٥ م) المدارك ١/ص ٣٢، نيل الابتهاج – ص ٩، دليل مؤرخ المغرب العربي – ص ٢٧٠.

(3) المصدر نفسه، أشار المنوني الى تأليف التونسي المصرى – اذ توجد مخطوطة – خ – م – ز – ١٧٥ان كتبها احمد بابا التنبكتي من خط المؤلف – مبتور الاول يسيرا مثلا ش، ورقات عن الحضارة المغربية – ص ٢٣٥.

(5) المدارك – ١/ص ٣٢

دماد السبتي المشار اليه (١). كذلك اشار الشيخ محمد ظافر في كتاب اليواقيت الثمينة في اعيان مذهب عالم المدينة انه وقف على اختصار للمدارك دون ذكر اسم لصاحبه ، وقال انه يوجد في المكتبة الازهرية او الشائع انه بدار العلوم (٢) . كما اختصرها الحسين بن عتيق بن الحسن بن رشيق المصري (٣) . ولعل اشهر من كتب متأثرا بهؤلاء جميعا وبآثارهم الباقية ، صاحب كتاب شجرة النور الزكية (٤) ، وهي اختصار للمدارك من جانب وتحوي زيادات واستدراكات عليها من جانب اخر ، وكان قد ترجم لعدد من المعاصرين والمتأخرين من فقهاء المالكية واهتم بصورة خاصة بتراجم التونسين من اصحاب المذهب المالكي .

---

(١) دليل مؤرخ المغرب العربي - ص ٢٧٠ ، نيل الابتهاج بهامش الديباج - ص ٩ .

(٢) المدارك - ١/ص ٣٢

(٣) المصدر نفسه - ١/ص ٣٣ ، دليل مؤرخ المغرب العربي - ص ٢٧٠

(٤) الشيخ محمد بن مخلوف قاضي المنستير من المتأخرين .

الخاتمــــة

وما انتهجه في كتابـــه في رسالتنا عن القاضي عياض وموارده

((ترتيب المدارك وتقريب المسالك في مذهب مالك)) يتجلى انعكاس لصورة

جلية عن معالم الفكر في العالم الاسلامي ، فمثله لا يمكن تجاهل الاثـــر

الذى تركه في التطورات الفكرية والتجاهدات العقائدية المقامة مثل صـرح

شامخ على رواسي لا تميـد .

وفي هذا الصرح لم تفلح دعوات الداعين الى النيل منه او توسيع

ثغرات حللوا لها للنفاذ منها ، بل سدها بكل سداد واحكم مقولاته في تفنيدها

، وبذلك يكون في تعضيده للمالكية قد نا ٔبحملها المثقل ، ولكنه استطـاع

، وأنئـذ ظل علمه يرفرف منارا وهديا لاهل العلم في مشارق العالم الاسلامي

ومغاربه . لقد اعطت افكاره ومهارته التي اودعها كتابه (ترتيب المدارك)

اساسا لفهم المالكية وارسائها بحيث اصبحت على مدى اقل من نصف قرن ، حركة

فكرية ذات ثوابت راسخة في الوجدان الاسلامي ، وطفق انصارها ومريدوهــا

ينشرون تعاليمها في اقاليم بعيدة عن مهدها ، وبدا (ترتيب المدارك)) مرآة

نرى فيها حشودا من طبقات علماء المالكية وفقهائها ومحدثيها ومتكلميهـا

واصحاب الاثر والنظـر فيها ونسمع هديرهم في بلدان العالم الاسلامي واقطاره

وامصاره شرقا وغربا وصداهم يتناغم مع السمع ابتداء من اهل الحجاز والعراق

والشام ومصر والاندلس وافريقية والمغرب الاقصى ، وهو انما يفعل ذلك _ كمـا

نوهت رسالتنا _ انما ينطلق من مفهوم تأثيرهم في رحاب الفكر في هـــذه

الآفـاق ، غير اننا نجوز لانفسنا القول ، ما كان القاضي يفعله من طـرف

ظاهر او خفي ، باستباق اهل المشرق وفي طليعتهم اهل مدينة الرسول (ص) في هذا التأثير ، فهي ((بلد الوحي بها أحل الحلال وحرم الحرام)) .

وهكذا تتوظف ، رسالتنا - عن ترتيب المدارك ، في شرح مستفيض عن تحديات القاضي عياض ، خصوم المالكية ، اذ يتبين للقارئ ، المنهج الذي جرى عليه في طبقاته وتراجمه وفي موارده ، باسلوبه المترفع وبمنطقه المجرد ، موضحا آراء المالكية ومستنداتهم الشرعية .

ولم يقف قاضينا عند ذلك بل تجاوز الحد في سرد نقط الضعف ومواطنه في الفروع لدى المذاهب الثلاثة مستجمعا من كل مذهب منها اكثر مما جمع احدهم على المالكية ، لذلك استجلت رسالتنا ، ما شرعه بأقامة الحجة على وجوب تقليد مذهب مالك وتقديمه على غيره .

ولا غرو ان نستخلص من دراستنا ، اعتبارا ، لا يعدم الانصاف والدقة ، ان كتاب (ترتيب المدارك)) ليس معجما لتراجم المالكيين وطبقاتهم واتباعهم في رحاب العالم الاسلامي فحسب وانما هو من اهم كتب تاريخ الحضارة الاسلامية .